كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس
سبورتنج - إسكندرية

وكلَّمهم أيضًا بأمثالٍ

القمص لوقا سيداروس

اسم الكتاب: وكلَّمهم أيضًا بأمثال.

اسم المؤلف: القمص لوقا سيداروس.

الناشر: مكتبة كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس - سبورتنج

المطبعة: مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط

موبايل: ٢١٥٢٨٥٦ ٠١٢ & تليفاكس: ٤٥٩٦٤٥٢ ٠٣

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/١١٩٥٦

الترقيم الدولي: I.S.B.N.: 977 - 392 - 191 - 3

سيداروس ، لوقا.

وكلمهم أيضًا بأمثال / لوقا سيداروس . - الإسكندرية :

كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس ، ٢٠٠٩ .

٣٥٢ ص ؛ سم .

تدمك ٣ ١٩١ ٣٩٢ ٩٧٧

١ - الأمثال المسيحية.

أ - العنوان:

٢٧٢/٦٨

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

مقدمـة

✥ **"هــذا كُلُّــهُ كلَّــم بــه يســوع الجمــوع بأمثــال، وبــدون مَثــل لم يكــن يُكلِّمهــم، لكــي يــتم مــا قِيــل بــالنبي القائــل: سـأفتح بأمثـالٍ فمـي، وأنطـقُ بمكتومـاتٍ مُنـذُ تأسـيس العـالم" (مت ١٣ : ٣٤ ـ ٣٥).**

أي أن يُعلِّم رب المجد يسوع بأمثـال فهذا جاء تكميلاً لنبوة قديمة نطق بها داود النبي في (مزمور ٧٨ : ٢)، قبل مجيء المسيح بأكثر من ألف سنة. فلم تكن مصادفة إذن أن يُعلِّم السيد المسيح بأمثـال، بـل لقد كـان هذا مـن أعمـال التدبير الإلهـي الذي سبق فأنبأ بـه الأنبياء ولـم يتوسَّط الـرب بمثل إلا لكون السامعين. كانت لهم عيون ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون ولا يفهمون.

✥ وقـد حَـوت أمثـال الـرب أسـرار ملكـوت اللَّه، وأسـرار مكنونة قبل كون العالم لم يعرف بها بنو البشر.

◆ وقد طلب التلاميذ الأطهار إلى السيد المسيح في أكثر من مرة قائلين: "فسِّر لنا المثل"، وكان الرب يقول لهم علانيةً: "لكم أُعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات". أي أن الرب أعطى تلاميذه في كل مكان وكل زمان أن يتمتعوا بمحبة الرب وينظروا ملكوته بوجه مكشوف. "ونحن ناظرين إلى الرب بوجه مكشوف"، وذلك بعد أن رُفِعَ الحجاب، وسقط البُرقع الموضوع على القلوب الذي أبطله المسيح بظهوره وصليبه، حيث انشق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل لأنه حتى الآن مازال البُرقع موضوع على قلوب كثيرة حين يقرأون الأسفار كما كان في أيام موسى، لأنهم لم يستطيعوا أن ينظروا إلى بهاء وجه موسى مع أنه زائل.

◆ أمَّا عطية المسيح للتلاميذ فقد قامت برفع البُرقع المادي بما لا يقاس. كشف المسيح كل الأسرار وقال: "الذي يُحِبُّني يُحبُّه أبي وأنا أُظهر له ذاتي"، فصارت المعرفة الفاضلة لنا من الله والتي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة إذ عرَّفنا بسر مشيئته التي أنعم بها لنا في المحبوب. صارت ليست كحكمة البشر أو فلاسفة وحكماء هذا الدهر الذين يُبطَلون، بل صارت لنا اختبارًا لنور الحياة الذي

أشْرق في قلوبنا لإنارة معرفة محبة الله في وجه يسوع المسيح.

❖ هكذا جاءت أمثال الرب بسيطة، غاية في البساطة، عميقة، غاية في العمق. سريَّة حاوية لأسرار الملكوت لا يَفْهم قصدها الإلهي إلا الذين أُعطى لهم.

فليس من الصواب أن يُعمِل الإنسان فكره ويُجهِد عقله في فَهْم أمثال الرب، لأن هذا الطريق لا يوصِّل الإنسان إلى شيء بل يَجدُر به أن يفتح باب قلبه ليَقبِل كلمة الحياة القادرة أن تُجدِّد الذهن وتُغيِّر الحياة.

❖ فلنحرز إذن ونقترب بالروح ونطلب أن يفتح ذهننا لكي نفهم الكُتب فيلتهب قلبنا فينا ونثمر للَّه.

❖ بين يديك أيها الحبيب هذه الكُتيّبات الصغيرة من سلسلة "**وكلَّمهم أيضًا بأمثال**" وهي عبارة عن تأملات في مجموعة من الأمثال التي نطقَ بها الرب يسوع، نُقدِّمها كمثل للتمتع بالإنجيل بعيدًا عن العقلانيات والجدل، وقد تكون هذه المقالات نافعة أو تفتح لك بابًا فعّالاً في

قراءتك للإنجيل. راجين من الله أن تكون بركة وسبب بركة، بشفاعة أم النور القديسة مريم وطلبات جميع القديسين آمين.

١٥ هاتور ١٧٠٣ ش - ٢٤ نوفمبر ١٩٨٦ م

تذكار شهادة القديس مارمينا العجائبي

القمص لوقا سيداروس

{١}
مثل قاضي الظلم (لو ١٨ : ١ ـ ٨)

"وقال لهم أيضًا مثلاً في أنهُ ينبغي أن يُصلَّى كل حين ولا يُملَّ، قائلاً: كان في مدينة قاضٍ لا يخاف اللّه ولا يهاب إنسانًا. وكان في تلك المدينة أرملةٌ. وكانت تأتي إليه قائلة: أَنصفني من خَصمي! وكان لا يشاء إلى زمانٍ. ولكن بعد ذلك قال في نفسه: وإن كنت لا أخافُ اللّه ولا أهابُ إنسانًا، فإني لأجل أن هذه الأرملة تُزعجُني، أُنصفها، لئلا تأتي دائمًا فَتَقْمعني! وقال الرب: اسمعوا ما يقول قاضي الظلم. أفلا يُنصِف اللّه مختاريه، الصارخين إليه نهارًا وليلاً، وهو متمهِّلٌ عليهم؟ أقول لكم: إنه يُنصفهم سريعًا! ولكن متى جاء ابن الإنسان، ألعلّه يجد الإيمان على الأرض؟" (لو ١٨ : ١ - ٨).

الصلاة كل حين:

تُرى إلى أي مدى أراد الرب أن يُشجِّعنا على الصلاة حتى أنه ضرب لنا هذا المثل. فالصلاة علاوة على أنها شرف لا نستحِقه وامتياز يغبط من يحصل عليه ... وهي عمل الملائكة وأم جميع الفضائل إلا أننا كثيرًا ما نفشل في

الصلاة لعوامل كثيرة. على أن الرب الحنون يُشجِّعنا بكل وسيلة حتى لا يُغلق باب السماء دوننا... فنحن حينما نُصلِّي نكون في حضرة القدير وهذا الوجود فيه هو مُنتهى القصد الإلهي من نحونا...

تُرى لماذا يريدنا أن نُصلِّي كل حين سوى أنه يريدنا مُتحدين به عائشين له وبه وفيه كل حين. وقد جاءَت الوصايا الإنجيلية هكذا متوافقة مع هذه الكلمات، وقد كرَّرها القديس بولس الرسول أكثر من مرة قائلاً: "**صلوا بلا انقطاع**" (١تس ٥ : ١٧)، "**فأطلب أول كل شيء، أن تُقام طلباتٌ وصلواتٌ وابتهالاتٌ وتشكراتٌ لأجل جميع الناس**" (١تي ٢ : ١)، وهكذا فمنذ البداية والصلاة المستمرة هى نبض الحياة الروحية الذي يجب ألاَّ يتوقف لحظة.

حتى أن أحد الآباء يقول: "الذي لا يُصلِّي إلاَّ وقت الصلاة فقط فهو لم يُصلِّ أبدًا ".

"الذي أفرد وقتًا للصلاة ينتهي منها بانتهاء الوقت، قد أغلق على نفسه وصار مُتغربًا عن الحياة بالروح".

وقد جعل الآباء القديسون من الصلاة الدائمة برنامج حياة عاشوها وتذوَّقوا ثمارها وعلَّموها لأولادهم واستودعوها الكنيسة الحية كخبزة روحية تدوم إلى جيل الأجيال.

وقد اقتطعوا لذلك بحسب اختبارهم آيات قصيرة أو طلبات نفاذة في كلمات قليلة كرَّروها بلا شبع... بل أن بعضهم اكتفى بترديد اسم الخلاص الذي لربّنا يسوع المسيح واعتبروها قمة الصلاة. أن تختلط حياتهم بالصلاة القلبية بكل خلجاتها وبكل دقائقها، بل في صحوهم ونومهم، لقد صار اسم يسوع لهم هو الكل في الكل.

على هذا نَفَذت كلمات الرب إلى أعماقهم، فحين سمعوها من فم الرب أنه ينبغي أن يُصلَّى كل حين لم يكفُّوا عن الصلاة أبدًا حتى في أوقات نومهم ظل عقلهم الباطن يستلهم كلمات الصلاة وروح الصلاة... **"أنا نائمةٌ وقلبي مُستيقظٌ. صوتُ حبيبي قارعًا: افتحي لي يا أُختي، يا حبيبتي، يا حمامتي، يا كاملتي! لأن رأسي امتلأ من الطَّلِّ، وقُصَصي من نُدَى الليل"** (نش ٥ : ٢).

الصلاة بإيمان:

وقد بدا واضحًا أن الرب يسوع قصد الصلاة كفعل إيماني بالدرجة الأولى لأنه أنهى كلمات المَثل الإلهي قائلاً: ابن الإنسان متى جاء (في مجيئه الثاني) ألعله يجد الإيمان على الأرض، أي أن الصلاة التي فيها روح اللجاجة والطلبة

بتوسل والثبات أمام الله حتى تنال... هذه الصلاة تكون مسنودة بالإيمان.

لأن المُرتاب لا ينال شيئًا من عند الرب، والرجل ذو الرأيين هو متقلقل في جميع طرقه وقد قال الرسول يعقوب: **"ولكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة، لأن المُرتاب يُشبه موجًا من البحر تخبطه الريح وتدفعه"** (يع ١ : ٦).

وقد تساءل الرب أنه في مجيئه الثاني المخوف، هل سيجد هذا الإيمان على الأرض؟

إيمان الطلب بلجاجة والثقة أنه سيستجيب حتى لو تأنى أو تمهَّل، إيمان الثقة واليقين أننا سننال ما طلبناه منه.

الإيمان الذي يدفعنا إلى الصلاة ويفتح لنا بها باب رجاء في الله.

وهذا هو المثل:

كان في مدينة قاضٍ لا يخاف الله ولا يهاب إنسان؟! لقد شبَّه الله نفسه بأمور كثيرة لكي يُقرِّب إلى الإنسان معنى من المعاني الروحية غير الملموسة لكي يُحضرها للإنسان مرئية وملموسة ومُدرَكة. فمرة يُشبِّه نفسه بالراعي الصالح يرعى خرافه ويبذل نفسه فدية عن الخراف يَحمل الحملان

ويقود المرضعات، ومن خلال هذا التصوير تستطيع أي نفس بسيطة أن تستلهم وتدرك مركزها لدى الله فتقول: **"الرب يرعاني فلا يُعوزني شيءٌ"** (مز ٢٣ : ١). ومرة أخرى شبَّه نفسه بالطائر يجمع فراخه بين جناحين يحمي ويزوّدِ ويُعطي دفء وحياة، حب وحنان، سلام وطمأنينة. وتستطيع النفس أن تُدرِك قدر الحب والعطاء في الله فتلتجئ إليه كالعصفور الصغير تحتمي تحت ظل جناحيه... وتقول قلبي وجسمي يهتفان بالإله الحي. ومرة يُشبِّه نفسه بالعريس الفَرِح بعروسه يخطبها لنفسه ويرى فيها كل ما هو جميل وكل ما هو طاهر ولا يرى فيها عيبًا بل عيناها حمامتان ويقول: **"ها أنتِ جميلةٌ يا حبيبتي، ها أنتِ جميلةٌ! عيناكِ حمامتان من تحت نَقَابكِ. شَعْرُكِ كقطيع مِعزٍ رابضٍ على جبل جلعاد"** (نش ٤ : ١).

وتستطيع النَّفْس أن تكتشف قيمتها الغالية لدى الله وكيف اشتراها لتكون له وتلتصق به وتترك أباها وأمها وأهلها وعشيرتها وتميل بسمعها وتنسى شعبها وتلتصق بعريسها وتفرح به فرح أبدي.

ومرة أخرى يُشبِّه نفسه بامرأة ضاع منها درهمًا، فجلست تفتش عليه، تكنس البيت لعلّه يكون قد توارى تحت تراب

الجسد أو غبار الشهوات جاءت عليه، وقد داسه الناس... ومتى وجَدَته تفرح به وتدعو الجارات للفرح... لعلّ النفس تدرِك إصرار الله على وجود الخاطئ وتفتيشه عليه... لأنه كما يحمل الدرهم صورة الملك وخاتمه هكذا نحمِل ونحن خطاة صورة الله ورسمه واسمه علينا.

وهكذا لا نستطيع أن نحصي التشبيهات التي توسط بها الله، لكن بلغة البشر الضعفاء الأرضيين ومن واقع الحياة اليومية نُدرك لهفة الله وحبه نحونا ومراحمه التي تدركنا وتطلبنا.

أمَّا في هذا المثل فقد بَلغَ التشبيه أعلى درجات العجب، إذ يجعل الرب أمامنا قاضي الظلم لا يخاف الله ولا يهاب إنسان. قاضٍ قاسي القلب مُتحجِّر المشاعر... ولكن إلحاح الأرملة ولجاجتها كسَرت قلبه واستمطرت عطفه كما من الصخر، وكأن الرب يقول: إن كان إلحاح المرأة ولجاجتها قد حننت هذا القلب القاسي فكم بالحري نستعطف قلب الله كُلِّي الحنان؟! وإن استجاب هذا القاضي بسبب الإلحاح فماذا يكون الحال إذ ألحّ المختارون على الله وهو متمهل؟

طبعًا لا وجه للمقارنة ولا وجه للتشابه بين الله كُلِّي الرحمة وكُلِّي الحنان والسخي في العطاء الكريم في التوزيع وبين هذا القاضي الظالم.

ولكن بضدها تُعرَف الأشياء.

فأنت يا أخي حينما تُصلِّي لا تقف أمام هذا القاضي تطلب وتتوسل بل أنت تقف أمام اللّه الرحيم، الكثير التحنُّن الذي لم يَرفض نفس واحدة.

أليس هو القائل: "**تعالوا إليَّ يا جميع المُتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أُريحكُم**" (مت ١١ : ٢٨)، ألم يقل: "**كل ما يُعطيني الآب فإليَّ يُقبِل، ومن يُقبِل إليَّ لا أُخرجه خارجًا**" (يو٦ : ٣٧)، هل قرأت في الإنجيل أنه رد سائلاً أو خيّب رجاء أحد.

نحن نقف لنُصلِّي ونرفع أيدينا نحو العطوف مصدر الحب الذي كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى نازلة من فوق من عنده، الذي يفتح يديه ويشبع كل حي غِنى من رضاه.

لذلك نتشجع جدًا إذ نتقدَّم إلى السخي في العطاء الكريم في التوزيع. نتقدَّم بثقة وإيمان ورجاء ويقين شديد.

وكان في المدينة أرملة:

هنا الذي يخصّنا في موقف الصلاة... وهذا ما يجب أن يكون عليه حالنا ونحن نتقدَّم لنطرح سؤالنا لدى اللّه.

إنَّ الرب يُشبِّه النَّفْس هنا بهذه الأرملة، عادمة القوة، بلا سند وبلا عضد، ولها خِصم رهيب أراد أن يقتنصها ويذل كيانها، استغل فقرها وذلها وحسب ضعفها فرصة لافتراسها.

عدو وخِصم رهيب:

إلى مَنْ تذهب هذه الأرملة؟ وهل لها غير السؤال والصراخ؟ هكذا يكون حال الذين يحسُّون بضعف بشريتهم وافتقارهم إلى الفضيلة، ويشعرون في نفوسهم أنهم عادموا السند والركن في هذا العالم وليس لهم سوى الالتجاء إلى اللَّه. وها هوذا العدو يجول كأسد زائر مُلتمسًا أن يبتلع واحد وها هو يَظلم ويغتصب ويريد أن يفترس. هل وقفنا أمام اللَّه هذا الموقف في الصلاة... موقف المضغوط وليس أمامه منفذ سوى طاقة مفتوحة في السماء.

هل تشبّثنا بالرب كيعقوب أب الآباء إذ أحسّ أنه إذا تركه فلا بركة ولا حياة ولا سلام فتمسّك به قائلاً: **"لا أُطلقُك إن لم تباركني"** (**تك ٣٢ : ٢٦**)، ولكننا نُصلِّي كأننا لسنا في عوز، وببرودة مشاعرنا تدلّ إمّا على عدم وقوفنا على حقيقة حالنا أو أننا قد استغنينا ولا حاجة بنا إلى شيء.

لنضع أمامنا المرأة الكنعانية والعدو كاد يفترس ابنتها فلم

تجد سوى المسيح تصرُخ وراءه: يا سيد يا ابن داود ارحمني. وها القديس بطرس الرسول يرد على الرب عندما رجع كثير من التلاميذ إلى الوراء قائلاً: "**يارب إلى من نذهب؟ كلام الحياة الأبدية عندك**" (يو ٦ : ٦٨).

إذن نتقرّب إلى الرب بهذا الانكسار وهذا الاحتياج. شعور بالعوز يشدنا إلى فوق وضغطات العدو تَدفعنا دفعًا. ألم يكن هذا منظر موسى وجميع بني إسرائيل عندما أدركهم العدو فرعون بخيول ومركبات على مشارف البحر الأحمر.

ألم يكن هذا هو موقف داود رجل الصلاة عندما قال: "**ضاع المهرب مني، وليس من يسأل عن نفسي. فصرخت إليك**" (مز ١٤٢ : ٤)، ألم يكن هذا هو حال يونان إذ غطّته اللُّجج وضاقَ به الحال فصلَّى يونان إلى الرب إلهه من جوف الحوت قائلاً: "**دعوت من ضيقي الرب، فاستجابني**" (يون ٢ : ٢).

ما أجمل صلاة الشاعر بالاحتياج، والذي تأكد في ذاته أنه ليس غير الله وأنه لا معين ولا سند ولا ذراع البشر. ألم يكن هذا هو حال حنة أم صموئيل فصلَّت بانفعال شديد حتى ظنّ عالي الكاهن أنها سكرى؟! إنها صلاة مقتدرة حقًا في فعلها.

لم يكن يشاء إلى زمان:

كان هذا هو الموقف المبدأي لقاضي الظُلم من الأرملة المسكينة، أراد الرب بهذا أن يُثبت هذه الحقيقة في ذهننا، فإن لم يشأ فإلى زمان بحسب التدبير ولكنه لا يرفض كل الرفض.

وفي هذا يقول البار داود النبي: "**إلى متى يارب تنساني إلى الانقضاء؟ حتى متى تصرف وجهك عني ؟**" (مز ١٢ : ١ قبطي).

إنَّ الرب لا يتباطئ، ولكنه هناك الوقت المناسب لاستجابة صلواتنا بحسب التدبير لقد تأنى على المرأة الكنعانية، لماذا؟ لسبب ما قصده في نفسه.

وما هى النتيجة... أعطاها وأظهر إيمانها أنه عظيم ومجَّد الأمم بسببها. إذن لا بد أن يرسخ في ذهننا أن تدبير الله وقصده من نحونا هو كل الصلاح وكل الخير.

ولكننا بسبب القلق وقلة الإيمان نتعجّل الأمور... لقد طلب إخوة يسوع أن يَصنع أمامهم آيات لأنهم لم يكونوا بعد يؤمنون. وكان ذلك الوقت مناسبًا لهم، أمَّا هو فقال لهم وقتكم حاضر في كل حين أما هو فلم تكن قد أتت بعد.

لابد أن تؤمن أن ساعة استجابة الصلاة ستحين حتمًا... لذا يجب علينا أن نتوقعها بالصبر... وهذا نافع لنا جدًا.

كان مناسبًا لإبراهيم أب الآباء أن يُنجِب ابنًا في شبابه

المُبكِّر ولكن لم يحدث... وصلَّى إبراهيم وتأنى الرب على طلبته حتى فات أوان البشر وانقضى زمان القدرة البشرية وصار إبراهيم مُماتًا وهكذا مُستودع سارة، ولكن في الوقت المُعيّن صارت استجابة الصلاة ووُلِدَ إسحق ابن الموعد.

هكذا صار أيضًا مع زكريا الكاهن لأنه حينما كَمُل الزمان المعروف والمُحدَّد من قِبّل الله أرسل إليه جبرائيل الملاك يحمل بشارة استجابة الصلاة قائلاً: **"لأن طِلبَتَكَ قد سُمِعت"** (لو ١: ١٣). إذن خير لنا ألاَّ نتعجّل الأمور بل لنثق حينما نُقدِّم سؤال الصلاة أننا سنحصل على عوننا في حينه.

هكذا قال الرب إن قاضي الظلم لم يَكُن يشاء إلى زمان، ولكن ماذا صنع الإلحاح واللجاجة التي صارت من الأرملة وهي متوسلة تأتيه كل يوم؟

لقد عجَّل الإلحاح بالاستجابة.

لقد أوصانا الرب ألا نُكرِّر السؤال باطلاً كالأمم الذين يظنون أن بكثرة كلامهم يُستجاب لهم.

الموضوع ليس التكرار الباطل ولا مُجرّد الكلمات التي قد تبدو أحيانًا مُنمقة ومُرتبة.

إن القوة كل القوة في القلب اللحوح الحار بالروح الذي

يقتدر في لجاجته أن ينتزع المراحم الإلهية.

والقوة كل القوة في القلب المُنكسِر والمتواضع الذي يتراءى أمام الله في هيئة الأرملة المسكينة التي لا ملاذ لها سوى حضن الله.

عندما وقفت القديسة حنة أم صموئيل النبي في موقف الصلاة عينها كان منظرها هكذا عجيبًا... كل خلجات نفسها وكل مشاعرها بكل ما حوت من حرمان ومسكَنة وانكسار كانت تسكبها أمام الرب حتى عَجَز الكلام عن التعبير.

"وكان إذ أكثرتِ الصلاة أمام الرب وعالي يُلاحظ فَاهَا. فإن حَنة كانت تتكلم في قلبها، وشفتاها فقط تتحركان، وصوتها لم يُسمَع، أن عالي ظنها سَكْرَى. فقال لها عالي: حتى متى تسْكَرين؟ انزعي خمركِ عنكِ. فأجابت حنة وقالت: لا يا سيدي. إني امرأةٌ حزينة الروح ولم أشرب خَمرًا ولا مُسكِرًا، بل أسكُب نفسي أمام الرب" (١صم ١: ١٢ـ ١٥). كان الرب إلى هذا الحين قد أغلق رَحِم حنة عن الإنجاب... فلمَّا بلَغت اللجاجة إلى هذا الحد صارت الاستجابة في حال الصلاة نفسها من فم رئيس الكهنة الذي نطق بالروح قائلاً: **"اذهبي بسلام، وإله إسرائيل يُعطيك سؤْلَكِ الذي سألتِهِ من لَدُنهُ"** (١ صم ١ : ١٧).

"والرب ذكرها. وكان في مدار السنة أن حنة حبلت وولَدَت

ابنـًا ودعـت اسمـه صـموئيل قائلـة: لأنـي مـن الـرب سـألته" (١ صـم ١ : ١٩ ــ ٢٠). مـن لنـا بـروح الصـلاة هـذه إذ صـارت نفوسنا عواقر لا من جهة الجسد بل من جهة كل فضيلة.

ومن لنا باللجاجة الجسورة هذه التي لا تفارق الهيكل حتى تنال سؤل قلبها.

الله يـنعم علـى الكنيسـة كلهـا بهـذا الـروح ويجـدده فـي أحشـائنا. إن المثـال الآخـر الـذي يبـرز واضـحًا فـي الإنجيـل ويقف شـامخًا كنمـوذج فريـد للإيمـان وسؤال الصـلاة بلجاجـة هو المرأة الكنعانيـة هذه التـي تمهل الـرب عليها ولـم يشأ أن يسمع صـراخها متوسلة بسؤال الصـلاة بـذات كلمـات الأرملـة في المثل: ارحمني، ابنتي مجنونة جدًا. لأنـه كـان بابنتهـا روح نجس وقد أجَّل الرب استجابة الطلب وهي لم تكف ولم يقف أمامهـا غرابـة جنسـها، إذ كانـت أُمميـة ولا منعهـا عـن متابعـة توسلها. ضجر التلاميذ ولا حتى حين سمعت من الرب قولـه: **"ليس حسنًا أن يؤخذ خُبز البنين ويُطرح للكلاب"** (مر ٧ : ٢٧). بل زادهـا كـل ذلـك تمسكًا وإصـرارًا علـى روح التضـرُّع والتوسـل قائلة: **"والكلاب أيضًا تحت المائدة تأكل من فُتـات البنين!"** (مر ٧ : ٢٨).

يا لعظَمة الإيمان وقوة اليقين واقتدار اللجاجة في الصلاة،

قد قُهِر العدو الشيطان وخرج صريعًا أمام هذا الجبروت الروحي والثقة في شخص يسوع المسيح ابن داود القادر أن يُخلِّص إلى التمام.

اللّه... ومختاريه:

قال الرب يسوع تعقيبًا على المثل: "أفلا يُنصِف اللّه مختاريه، الصارخين إليه نهارًا وليلاً، وهو متمهِّلٌ عليهم؟ أقول لكم: إنه يُنصِفهم سريعًا، هذا هو تفسير المثل، فالذين يصرخون إليه نهارًا وليلاً هم مُختاري اللّه. الذي قال الرسول بولس لأجلهم: "**من سيشتكي على مُختاري اللّه**". أي أن كل شكوى الشيطان وافترائه وحربه ضدهم هى هزيلة وضعيفة، لأنه إن كان اللّه معنا فمَنْ علينا.

هؤلاء هُم المختارون الذين سيسمعون الصوت الإلهي الحنون في يوم الدينونة العظيم: "**تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المُعَدَّ لكم**" (مت ٢٥ : ٣٤).

إذن إن كانوا مُختارين فلماذا يتمهّل عليهم؟

قال الرب إنه يُنصفهم سريعًا... إنه متمهِّل ولكن يُنصف سريعًا. قيل إن الأسد لكي يُدرِّب أشباله الصغار على الصيد والاقتناص يُحضِر لهم فريسة حية (غزال مثلاً) ويطلقها

أمام الصغار فيبدأون في الهجوم عليها، بينما يقف الأسد مُراقبًا من بُعد، ولكن لكون الأشبال صغيرة فإن الفريسة تقوى عليهم وتبدو كأنها تغلبهم، ويظل الأسد يراقب حتى اللحظة الحرجة، هنا يتدخل ويحسم الموقف بضربة قاضية يسددها للفريسة...

والتشبيه مع الفارق، الله يُراقب حروبنا، ويعرف ضيقنا ويسمع أنيننا، ونحن أولاده ومُختاريه، ويعرف قوة الشيطان وشكواه، ومكائده وفخاخه. ويتمهَّل الله على مختاريه، ليقوى إيمانهم ويشتد عودهم، إنه لا يتخلّى مُطلقًا، ولا يتركنا إلى الانقضاء بل على العكس يكثر التطلع علينا بقوة، ويسمع ليس فقط صُراخنا بل من أجل شقاء المساكين وتنهُّد البائسين الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانيةً.

والآباء القديسون علموا يقينًا أنه يَستجيب لهم في حال صراخهم، أنا صرخت والرب سمعني (صلاة الساعة السادسة)، وكما قال يونان: **"دعوتُ من ضيقي الرب، فاستجابني. صرختُ من جوف الهاوية، فسَمِعتَ صوتي"** (**يونان ٢ : ٢**).وقد بَلَغت به الثقة في استجابة الرب لصلاته حين يقول: **"ولكنني أعودُ أنظر إلى هيكل قُدسكَ"** (**يونان ٢ : ٤**).

نعم أنه ينصِفهم سريعًا، أنه لا يتباطئ عن مواعيده كما

يظن قوم التباطؤ، ولكنه يتأنى. أمَّا بالنسبة للأبرار المختارين فأناة اللَّه تُظِهر بِرّهم بالأكثر وثقتهم ويقينهم وتُزكي إيمانهم. أمَّا بالنسبة لأولاد العالم، فيزدادون قساوة واستهتارًا ويقولون: " أين هو موعد مجيئه؟!"، ولكن أناة اللَّه تنتظر. وكما يقول الرسول إنما لكي تقتاد للتوبة، فاللَّه يريد أن جميع الناس يخلُصون.

والآن لنرجع إلى بداية المثل "وقال لهم مثلاً في أنه ينبغي أن يُصلَّى كل حين ولا يُمَل". لنتشجّع بكلمات ربنا يسوع ونُصلِّي بلا انقطاع ونطلب بلجاجة وإلحاح... نطلُب ملكوت اللَّه وبره، نطلُب تكميل خلاصنا وزيادة إيماننا وثبات رجائنا، نطلُب الاتحاد به وفيه والحياة له ومن أجله، نطلُب من أجل بنيان الكنيسة، وخلاص كل أولادها، نطلُب بإلحاح كثير "**اُطلبوا تأخذوا، ليكون فرحكم كاملاً**".

ولا نملّ بل لنثق أننا سيكون لنا كل ما طلبناه لأنه إن طلبنا شيئًا باسمه فيكون لنا. آمين.

{ ٢ }

مثل الابن الضال (الابن الشاطر)

(لو ١٥ : ١١ - ٣٢)

"وقال: إنسانٌ كان له ابنان. فقال أصغرهما لأبيه: يا أبي أعطني القِسْم الذي يُصيبُني من المال. فقَسَم لهما معيشته. وبعد أيامٍ ليست بكثيرةٍ جمع الابن الأصغر كل شيءٍ وسافر إلى كورةٍ بعيدةٍ، وهناك بذَّر ماله بعيش مُسرفٍ. فلما أَنفَقَ كل شيءٍ، حَدَثَ جوعٌ شديدٌ في تلك الكورة، فابتدأ يحتاج. فمضى والتصق بواحدٍ من أهل تلك الكورة، فأرسله إلى حقوله ليَرعى خنازير. وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخُرنُوب الذي كانت الخنازير تأكله، فلم يعطهِ أحدٌ. فرجع إلى نفسهِ وقال: كم من أجيرٍ لأبي يَفضُلُ عنه الخُبز وأنا أهلك جوعًا! أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له: يا أبي، أخطأت إلى السماء وقُدامك، ولست مستحقًا بعدُ أن أُدعى لك ابنًا. اجعلني كأحد أَجْرَاك. فقام وجاء إلى أبيه. وإذ كان لم يزل بعيدًا رآه أبوه، فتحنن وركض ووقع على عُنقه وقبَّله. فقال له الابن: يا أبي، أخطأت إلى السماء وقُدامك، ولست مستحقًا بعد أن أُدعى لك ابنًا. فقال الأب لعبيده: أخرجوا الحُلَّة الأولى وألبسوه، واجعلوا خاتمًا في يده، وحذاءً في رجليه، وقدِّموا العِجل

المُسمَّن واذبحوه فنأكل ونفرح، لأن ابني هذا كان ميتًا فعاش، وكان ضالاً فوُجد. فابتدأوا يفرحون. وكان ابنه الأكبر في الحقل. فلما جاء وقَرُبَ من البيت، سَمِعَ صوت آلات طربٍ ورقصًا. فدعا واحدًا من الغلمان وسأله: ما عسى أن يكون هذا؟ فقال له: أخوك جاء فذبح أبُوك العجل المسمَّن، لأنه قَبِلهُ سالمًا. فغضب ولم يُرِدْ أن يدخل. فخرج أبوه يطلب إليه. فأجاب وقال لأبيه: ها أنا أخدمك سنين هذا عددها، وقطُّ لم أتجاوز وصيتك، وجديًا لم تُعطني قط لأفرح مع أصدقائي. ولكن لمَّا جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني، ذَبَحت له العجل المُسمَّن! فقال له: يا بُنيَّ أنت معي في كل حين، وكل ما لي فهو لك. ولكن كان ينبغي أن نفرح ونُسرَّ، لأن أخاك هذا كان ميتًا فعاش، وكان ضالاًّ فوُجِدَ" (لو ١٥ : ١١ - ٣٢).

مثل الابن الشاطر

لقد فتح الرب يسوع بهذا المثل باب التوبة والرجوع إلى حضن الآب... فتح هذا الباب بدون أدنى تحفُّظ، فتحه على مصراعيه أمام الخُطاة والأثمة و... ولجميع الناس وجعله باب رجاء مهما تعاظمت الخطايا، لأنه حيثما كثُرت الخطية

ازدادت النِعمة جدًا.

والمثل يوضِّح عمل التوبة في المسيحية، وكيف أن التوبة والرجوع تقلب الأوضاع رأسًا على عقب. فأحزان الابن في الكورة البعيدة انقلبت أفراح ومسرات، ووحشة الغربة والمعاناة النفسية والبُعد تغيَّرت بالتوبة إلى حضن سرور الأب وقبلات وعواطف يصعب التعبير عنها، والثياب الرثة التي جاءت عليها كراهة رائحة رعي الخنازير تبدَّلت بالتوبة إلى الحلة الأولى، وصك العبودية للخدمة المرذولة والدخول تحت نير سيد قاسٍ، كل هذا تغيّر إلى خاتم البنوة في اليد للتصرُّف بحرية وسلطان. ناهيك عن الأفراح التي صارت في بيت الأب بحسب مسرّته إذا قَبِل ابنه صار فرح يُشبِه فرح السماء بقبول خاطئ واحد يَفرح قلب الله بعودته.

البنوة أساس التوبة:

لقد احتوى هذا المثل أنبل المشاعر التي يهتز لها كيان الإنسان... (فتعطفات) أبوية رحيمة وشفقة حانية وغفران فائق للعقل وحركات الأحشاء الأبوية التي صوَّرها لنا الرب يسوع عندما رسم لنا صورة الأب "إذ رآه من بعيد تحنن وإذ لم يكن بعيدًا ركض إليه ووقع على عنقه وقبله..".

وبنوة راجعة نادمة، رافضة في التراب تشتهي أن تضع نفسها موضع العبيد من أجل ما ارتكبته في حق الأب والسماء معًا. ولكن الذي يرتفع بهذا المثل إلى هذا المستوى الرفيع من المشاعر هو أن العلاقة والرباط بين الاثنين هو رباط بنوة وأبوة، لأنه لو كانت العلاقة التي تربطهما دون هذا المستوى لاختلف الحال بالطبع.

فلو أن خادمًا جحد سيده ومضى إلى الكورة البعيدة ثم عاد نادمًا لاختلف الأمر تمامًا.

أو لو كان الأمر يتعلّق بوكيل يعمل كموظف ثم بعد أن عُزِل من الوكالة رجع مستعطفًا لاختلف الأمر أيضًا.

ولكنّنا بالمسيح ارتقينا إلى هذا المقام السامي وحصلنا على نعمة البنوّة... نحن الذين كنا قبلاً في الظلمة أما الآن فنور في الرب. الذين كنا غير مرحومين أما الآن فمرحومون. على هذا الأساس - أساس البنوة – يصير الرجوع إلى الآب هو الوضع الصحيح والطبيعي.

إذ لا توجد قوة في الوجود تستطيع أن تقف أمام ابن يريد الرجوع إلى حضن الأب.

إن الابن الراجع صرخ قائلاً: أخطأت يا أبتاه، فحالما سمع الأب هذه المناداة المحبوبة إلى قلبه جدًا لم يدع ابنه

يكمل عبارات الاعتذار والندم، ولسان حال الأب يقول: من حيث أني مازلت أبيك... فلا تندم ولا يحزن قلبك وطالما أنت تناديني أبتاه... فلا توجد عقبة أو مشكلة... كل شيء هين وكل المشاكل لها حلول يكفي أنك مازلت تشعر أنك ابني وأسمع صوتك ينادني يا أبتاه.

فنحن نرجع نطلب غفرانًا، عفوًا عن أزمنة الجهل... قلبنا يتجه نحو الآب وعيوننا نحو مسكننا الذي في السماء الذي فقدناه وقتًا سالكين بحسب شهواتنا ومنقادين للجسد.

وأساس رجوعنا وركيزته الأولى هو الخطوة والدالة التي لنا عند الآب بالمسيح إذ صرنا أولاد الله بالمعمودية المقدسة.

قلب الأب من نحونا:

كشف المسيح بهذا المثل مقدار ما لنا من مكان في قلب الآب، ومركزنا الذي صرنا فيه مقبولين في كل يوم وفي كل ساعة إن اقتربنا إلى الآب باسم يسوع المسيح الابن الوحيد.

وكلمات المسيح - كابن وحيد للآب... وواحد مع الآب في الجوهر – هى في الواقع إعلان وكشف عن حقيقة ليس من سبيل إلى معرفتها بدون المسيح... لأن المسيح كشف لنا سر

الآب الذي لم يَعرِف به بني البشر، ولم يُعلن لحكماء ولا لفهماء... **"أحمدُك أيها الآبُ ربُّ السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء... وأعلنتها للأطفال. نعم... هكذا صارت المسرَّة أمامك"** (مت ١١ : ٢٥ ـ ٢٦).

"اللَّه لم يَرَهُ أحدٌ قطُّ. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خَبَّرَ" (يو ١ : ١٨).

"لا أحدٌ يعرف الآب إلاَّ الابن " (مت ١١ : ٢٧).

فالمسيح إذن حينما يكشف لنا قلب الآب من نحونا بحسب معرفة المسيح كابن وحيد للآب وواحد معه وفيه... معناه أنه يُعرِّفنا بالآب ويُصالِحنا معه في شخصه.

وحركات الأب وعواطفه نحو الابن الراجع كما ترجمها المسيح في المثل عميقة غاية في العمق.

فلما رآه أبوه تحنن:

هذه الحركة القلبية والأحشاء الرحيمة ندركها ونحسها ونتلامس معها على مستوى النفس والعاطفة في حياتنا اليومية، ولكن عندما تكون كلمة "تحنن" مختصة بالآب فالفرق شاسع ورهيب إذ يكون إدراك كمالها مستحيل، لأن كل ما لله هو لا نهائي غير محدود. إذن المسيح كشف أمام

الإنسان الراجع حنان الأب غير المحدود وغير الموصوف حين قال "لما رآه أبوه تحنن"، هنا نرى أن أول ما يتقبله الابن الراجع وهو يلج دائرة الترائي أمام الأب... يتقبل دفق من الحنان نحوه، إذ هو راجع ليتراءى أمام الله كابن بالمسيح لله الآب.

ولكن يلزم أن يتراءى التائب الراجع أمام الآب... لما رآه أبوه راجعًا من الكورة البعيدة فتح له أحضان القبول، لما رآه نادمًا على الشر رافضًا الخطية أظهر له حبه الحاني، لما رآه في ثيابه الرثة وحالته البائسة استجلب المراحم وحرك الأحشاء، لما رآه تحنن... إنها أمور لا يُنطق بها.

وهذا معناه أننا لا يجب أن يحجبنا الخجل أو يمنعنا عن المثول أمام الآب، وليس من المعقول أن ننتظر حتى يتغير حالنا وتتبدل ثيابنا... هذا مستحيل... إنما نحن نُقبِل إلى الآب بنفس حالنا التعس وخطايانا ودنس ثيابنا... نقترب إليه في هواننا وعار خطايانا... وهو أمين في محبته، صادق في مواعيده...

فلا يستنكف أحد من أن يعترف بخطاياه مهما تعاظمت، وليس بغريب منظر الازدراء الذي صرنا إليه... ولكن الغريب والمستغرب لدى الآب وصفوف السمائيين هو بقاؤنا في

الكورة البعيدة متغرِّبين عن الرب.

وركض... ووقع على عنقه:

هل يجوز لنا أن نتأمل هذا المنظر ليس بمقاييس الجسد ولكن بعمق الروح قارنين الروحيات بالروحيات.

فإن كان الابن الراجع يخطو نحو الأب، فمسرة الأب بالرجوع ترجمها المسيح هكذا: أن الآب يركض لملاقاتنا، أي أن مسرة الآب وفرحه بلقائنا يفوق أضعاف مضاعفة فرحنا ومسرتنا برجوعنا. فإن كنا نسير نحوه بخطوات متثاقلة من جراء الجسد والخطايا نجر وراءنا ثقل ماضينا وضيق حاضرنا فإن الآب يركض نحونا يَسنِد الضِعف، ويُشجِّع صِغار النفوس ويطلب ويُخلِص ما قد هلك، أي المحسوب في عداد الهالكين.

فالذي يسير نحو الله خطوة سيجد أن الله يركض نحوه مائة خطوة. آه لو تفطنت النفس ووعت حركة الآب من نحوها وهي في حال خطاياها؟!

الله يسعى دائمًا نحو الخطاة... "مددت يدي طول النهار" ألم يسْعَ الله نحو الإنسان بكل وسيلة متكلمًا مع الآباء بالأشياء بطرق متنوعة.

ألم تدركنا مراحم الله حين سعى نحونا، فأرسل ابنه الوحيد في الجسد يطلب الضال ويسترد المفقود ويحمل خطايا العالم ويقبل الموت حتى الصليب عوض الخطاة... ماذا ننتظر بعد هذا؟ إن كل ما يَدور حولنا كل يوم من أحداث وملابسات وظروف مدبرة تقودنا للتوبة والرجوع هى في الواقع حركة أبوية لا تكف عن طلب الضال "هل يُسر الله بموت الخاطئ؟!" الله لا يشاء ذلك مطلقًا ولكنه يسر برجوعه لكي تحيا نفسه... إنه يطلبنا بكل طريقة حتى يجدنا... يُحرك قلبنا ومشاعرنا لنقبل دعوته للرجوع... حقًّا ما أرق قلبه نحونا.

ووقع على عنقه وقبله:

من يستطيع أن يُصوّر لنا مشاعر هذا الابن الراجع حينما احتواه حضن الأب؟!!

ما أبشعكِ أيتها الخطية لأن بسببكِ يُحرم الإنسان من حنان الأبوة الرحيمة.

لقد ظَن في بادئ الأمر أن الوجود في ظل الأب والخضوع لوصاياه قيود وعبودية، واشتهى الابن أن يَنفك من هذا الرباط بأي ثمن وقد بلغ الزيف والخديعة غايتها حينما

زينت الخطية نفسها وأغوت هذا الابن وسحبته بعيدًا عن بيت الأب لكي تفترسه وهو منفرد ووحيد في أرض غربته، ولكن الحقيقة كانت على خلاف ما ظَن... فالخطية خاطئة جدًا وكريهة جدًا. وقد اختبرنا مُرها وأجرتها المميتة. الحقيقة أن الراحة والسلام والفرح الحقيقي كائن في الوجود في الآب وفي عمل مشيئته الصالحة الطوباوية.

ولقد ظَهر البُعد المخيف للخطية في هذا المنظر حينما وقع الأب على عُنق ابنه... هذا العُنق الذي خَضع لقيود العبودية... الخطية رباط يُحيط بعنق الإنسان فيُستعبد ويصير عبدًا للخطية... "من يفعل الخطية هو عبد للخطية". وقوع الأب على هذا العنق وقبلات محبته هى التي تفك النفس من نير العبودية المرير. الذي يُسلم نفسه للشيطان والشر والخطية يصير حتمًا عبدًا للشيطان والخطية... ويصير ذليلاً كل أيامه.

الكنيسة تُسمي الشيطان في صلواتها "الغير الرحيم" هذه حقيقة... من يقع تحت نير الشيطان لا يجد رحمة.

وقبَّله:

سَرَت قُبلة الأب في أحشاء الابن الراجع كقوة خلاص تُجدد القوة وتمسح آثار الدنس... أحس الابن الراجع بأنه يستعيد

بهذه القبلة كرامة بنوته للأب... لقد تغرب كثيرًا عن قبلة الأبوة الحانية حين استبدلها بقبلات الغش والشهوات الكاذبة.

إن قُبلات الآب فيها شفاء للنفس... كم تغربت النفس... كم صارت مثل أرض عادمة الماء... كم عطشت واشتهت وعادت عَطشى. أيضًا حينما توسلت ومدت يدها تستعطف الآبار المشققة، كم جاعت إلى خبز العبودية وراحت تطلب حتى الخرنوب... ولكن لم يُعطِها شبع ولا ملأ فراغها... لقد كانت نفس الابن بها جوع مُبهم وعطش خفي نحو شيء فقدته زمانًا ولكن لا يعوضه شيء من أمور هذا العالم... كان جائعًا إلى قبلة الأب. ما أبغضك أيتها القُبلات الغاشة التي فَرِحت بها حينًا متلذذًا بالخطية... ما أقبحك يا قبلات الشهوات الغبية. ما أحقرك يا محبة الذات ورفقاء السوء... الآن ارتفع القناع وظهرت شناعة الدنس خبز الخطية الذي كان لذيذًا ولكن لا يمكن أن يَظهر قُبح هذه الأشياء إلا في النور، ولا تسقط مِن نَظر الإنسان إلى الأبد إلا حينما يَقبل قُبلات الآب الطاهرة وحب قلبه الإلهي الذي لا يُعبّر عنه.

افرحوا معي:

إن الفرح هو فرح الأب برجوع ابنه الذي كان محسوبًا ميتًا فعاش وضالاً فوجد.

أما فرح الملائكة والسمائيين فهو نابع من فرح الآب، مُستمد منه... يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب... إن رجوع الابن يمثل تكميل مسرة الآب ومشيئته الطوباوية الصالحة نحو الإنسان، لأنه لا يسر بموت الخاطئ ولا يشاء ذلك، ولكن عندما يتمسك الإنسان بمشيئته الذاتية ويسلك ضد إرادة الله ويتبع أهواءه ويسلم نفسه بذاته لإرادة عدو الخير يصير بعيدًا ومنفيًا ورافضًا لمشورة الله.. واللحظة التي يرجع الإنسان فيها إلى نفسه ويهجر كورة الخطية ويتجه بقلبه نحو أورشليم يكون قد تلاقت مشيئته بمشيئة الآب فيفرح قلب الآب.

ميتًا فعاش، وضالاً فوجد:

الخاطئ في عرف الروح ميت، والتوبة هى الحياة.

التوبة إذن هى اختبار القيامة من الأموات... بدأها الابن الضال بهذه الكلمة "أقوم وأرجع إلى أبي".. دخل الموت إلى العالم.. ومن قِبَل الخطية صار الموت، بالمخالفة انفصل الإنسان عن مصدر الحياة، وبإرادته الذاتية جَلب على نفسه حكم الموت... وفي آدم مات الجميع... سقط الجنس البشري. المسيح جاء ليُقيم الساقطين ويَحل المربوطين.

وكما ملك الموت بالواحد صارت الحياة بالمسيح الواحد. وكما في آدم يموت الجميع هكذا بالمسيح يحيا الجميع. وكما بإنسان واحد صار الموت كذلك بالمسيح كانت القيامة.

التوبة إذن ليست جُهدًا بشريًا أو تقوى وبر إنسان أو أعمال نُسك... كل هذه الأعمال في ذاتها لا تُحسب شيئًا بل تُحسب على الإنسان على سبيل دين.

كل هذه الأعمال في ذاتها لا تُقيم من الأموات ولا تُحيي من عدم. **ولكن التوبة هى قبول روح قيامة من الأموات في المسيح يسوع، إذن خارج المسيح لا توجد توبة.**

الإنسان اليهودي كان يعمَل بالناموس ويُكمل الوصايا، ولكنه كان محكومًا عليه من الناموس كمتعدي ولم يكن للناموس أن يقيم من الأموات... بل حكم الناموس وأغلق على الكل تحت الخطية... إن كان روح المسيح ساكنًا فينا فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيينا أيضًا بروحه القدوس الساكن فينا. التوبة إذن هى ثمرة عمل روح الله فينا.

هو يُبَكِّت على الخطية ويدفعنا إلى البر ويؤهلنا لكي لا نُدان مع العالم. الحياة حسب الروح والخضوع لمشيئته ومرضاته هى التوبة المقبولة لدى الآب.

إذا استجاب الإنسان لمطالب الروح وأخضع مشيئته لتبكيته فإنه يَقوم للحال يتراءى أمام اللَّه الآب مدفوعًا بحرارة التوبة التي هى من صميم عمل الروح القدس.

الإنسان يموت إذا اتبع أهواء الجسد... الخضوع لمشيئة الجسد محسوبة موتًا... من يزرع للجسد فمن الجسد يحصد موتًا، الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا اللَّه. اهتمام الجسد هو موت. الروح القدس هو الذي يُحيي... يَشفع فينا بتنهدات لا يُنطق بها... يرشدنا إلى جميع الحق... يأخذ مما للمسيح ويعطينا.

اخرجوا الحلة الأولى والبنوة:

هكذا قال الآب الحنون لعبيده الواقفين حوله فرحين معه باستقبال ضالتهم... والعبيد يصنعون إرادة الآب عند سماع صوت كلامه. ألوف ألوف وقوف قدامه... وربوات ربوات يقدمون له الخدمة... عندما تذكر الابن منظره وهو في منفى الخطية بعيدًا عن حظوة الوجود في حضرة الأب... رجع إلى نفسه قائلاً: كم من أجير عند أبي يفضل عنه الخبز... لقد جعلهم الآب خدامًا وأرواحًا متقدة بالحب من نحونا.

لقد صاروا يخدمون خلاصنا بل صاروا خدامًا للعتيدين

أن يرثوا الخلاص.

إن الحلة الأولى تلبسها النفس بيد الملائكة... أوليس الكهنة خدام العهد الجديد محسوبين ملائكة الكنيسة؟!!

عندما نادى الرب يسوع لعازر من داخل القبر... قال لتلاميذه الأطهار: "**حلوه ودعوه يذهب**"، لقد أعطاهم السلطان أن يحلّو رباطات الموت ويفكوا الخطاة...

ويُعمدوا باسمه لمغفرة الخطايا ويَخلعوا الإنسان العتيق الفاسد ويَلبسوا الجديد الفاخر "أنتم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح" أليست التوبة هى معمودية ثانية؟ إذن هى لبس الحلة الأولى الفاخرة... إنها لبس المسيح، بيد كهنة المسيح (ألبسوه).

⌖ ماذا حدث في الغربة؟ لقد تعرّت النفس من النعمة... خلعت ثياب التنعم فانكشفت وتعرّت في ضياع وخزي ما بعده خزي، وماذا يُحسب الرجوع إلى حضن الآب إلا الدخول في سِتر العلي وفي ظل الإله القدير.

إن ثبوتنا في حال التوبة هو بمثابة اختفاء بشريتنا داخل المسيح فلا يظهر خزي عرينا. كما قال الرب لملاك كنيسة اللادوكية "**أُشير عليك أن تشتري مني ذهبًا مصفّى بالنار لكي تستغني، وثيابًا بيضًا لكي تَلبَسَ، فلا يظهر خزي عُريَتِكَ**".

إن النفس التي تكمل توبتها ورجوعها على هذا الأسلوب وبهذه الروح تَستحق أن تأخذ المكانة الأولى والخطوة الأولى لدى الآب.

⌖ واجعلوا خاتمًا في يده... وحِذاءً في رجليه لقد كانت حلي الذهب توضَع في يد العروس كعلامة للخُطبة أنها صارت لرجل كدليل للملكية أن العريس خطبها لنفسه واشتراها فصارت له.

وهكذا كان ختم البنوة يوضع في يد الأمراء أبناء الملوك لإظهار مركز البنوة أنهم أبناء للأب وورثة للملك..

هل أتت الخطية على الميراث؟ هل ضَيَّعت أيام الغربة حق التمتع بالأب؟ حاشا فالخطية مهما حطمت وأفسدت فالنعمة متفاضلة جدًا "**حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًا**".

لقد قال الرب قديمًا بفم إشعياء النبي للكهنة "**عَزُّوا، عَزُّوا شعبي، يقول إلهكم. طَيِّبُوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كَمُل، أنَّ إثمها قد عُفِيَ عنه، أنها قد قَبِلت من يد الرب ضعفين عن كلِّ خطاياها**" (إش ٤٠: ١ ــ ٢). النعمة لا تُسدِد أجرة الخطية فحسب ولكن النعمة تُعطي ضعفين فتعوض عن السنين التي أكلها الجراد بسنوات شبع وسرور وفيض.

ما أجمل النفس عندما تسترد ما فُقد منها أزيد مما كان، ما أبهاها وقد لَبست المسيح كأنه حُلة جديدة وما أجملها حينما تتحلى بخاتم سلطان البنوة "**الذين قَبِلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد اللّه**" وقد حذت أرجلها التي أدمتها أشواك الخطية باستعداد إنجيل السلام.

العجل المسمَّن:

"**وقدِّموا العجل المُسمَّن واذبحوه فنأكل ونفرح... فابتدأوا يفرحون**" (لو ١٥ : ٢٣ ـ ٢٤).

ها قد حُرِمت النفس من الوليمة أيامًا هذا عددها... واليوم... يوم خلاص ووقت مقبول... آن الأوان للتمتع والفرح وتبدلت ثياب الحزن والحداد لأن الابن كان محسوبًا ميتًا...

إن الكنيسة تدفع بالذين يقبلون التوبة إلى حضن الآب... تدفع بهم إلى وليمتها والذبيحة الإلهية حتى تشبع نفوسهم من دسم النعمة ويفرحون بالسرور وتنعمات القديسين.

فالتناول يتبع سر التوبة والاعتراف...

ما أحوجنا أن نمارس هذه الأمور بالروح فنُدرك مقدار

غنى العواطف الأبوية الرحيمة ومقدار كرامة التوبة وبهاء مائدة الأفراح الإلهية.

ها أن الآب الحنون ينتظر رجوعنا القلبي كل يوم، ها ذراعيه ممدودتان طول النهار "مددت يدي طول النهار" ها إن روحه يدفعنا دفعًا نحو الارتماء في أحضان الآب مبكتًا على الخطية مُشجعًا على البر مُحذرًا من الدينونة.

ها إن وليمة الآب تنتظرنا وثياب البر مغسولة بدم المسيح بيد الملائكة وآباء الكنيسة تنتظر رجوعنا ليُلبِسونا إياها بفرح لا يُنطق به ومجيد، فلا عُذر لا في التأجيل ولا نجاة إن أهملنا خلاصًا هذا مقداره.

رقة المشاعر الأبوية نحو الابن المفقود:

نقرأ في سفر التكوين عن يعقوب أب الأسباط حينما أرسلوا إليه قميص يوسف ابنه مُلطخًا بدم تيس وقالوا، وجدنا هذا حقًا أقميص ابنك هذا هو أم لا، فحقق وقال قميص ابني، وحش رديء أكله افترس يوسف افتراسًا، فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحًا على حقويه وناح على ابنه أيامًا كثيرة، فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال إني أنزل إلى ابني نائحًا إلى الهاوية وبكى عليه أبوه، ثم بعد

سنين طويلة نقرأ أيضًا كيف استقبل يعقوب الخبر العجيب "يوسف حي بعد" فجمد قلب يعقوب لأنه لم يُصدّقهم... فعاشت روح يعقوب... فقال إسرائيل كفى يوسف ابني حيّ بعد... أذهب وأراه. ثم نقرأ عن هذا اللقاء بين الابن الذي كان محسوبًا ميتًا فعاش وبين الأب الذي ذهبت عيناه من كثرة البكاء، **"ولمَّا ظَهَرَ له وقع على عُنقه وبكى على عُنقه زمانًا. فقال إسرائيل ليوسف: أموتُ الآن بعد ما رأيت وجهك أنك حيٌّ بعد"** (تك ٤٦ : ٢٩ ـ ٣٠).

يعجز الإنسان عن متابعة هذا المنظر لكثرة ما يثقل به القلب من مشاعر وما تمتلئ به المآقي من غزير الدموع.

ومن العجب أن الكلمات تأتي متطابقة بين ما ورد في سفر التكوين وبين كلمات المثل في (لو ١٥).

- يوسف حيّ... ابني كان ميتًا فعاش.
- وقع على عنقه وبكى زمانًا.. وقع على عنقه وقبَّله.

لكن تُرى من يستطيع أن يُترجم هذه الكلمات "أنزِل إلى ابني نائحًا إلى الهاوية"... ثم عند سماع الخَبَر أنه حيّ "عاشت روح يعقوب". "كفى ابني يوسف حي بعد".

إنه لا يريد من الدنيا شيئًا، يحتقر كل شيء احتقارًا، لا مركبات ولا خيل ولا خيرات... ولا شيء آخر يكفي أن يراه

وكفى.

وهكذا رسم الكتاب منذ القديم أمامنا هذه الصورة الجبارة لعلها تلقي ضوءًا باهتًا على الحقيقة العظمى أن اللَّه أب، ونحن بالمسيح صِرنا أولاد اللَّه، والآب يفرح برجوعنا إذ نُحسب عنده أننا كنا أمواتًا بالخطايا وأقامنا بالمسيح إلى جِدة الحياة.

مثل من سفر الخروج:

"هكذا يقول الرب: إسرائيل ابني البكر. فقلت لك: أطلِق ابني ليعبدني، فأبيت أن تُطلقه. ها أنا أقتل ابنك البكر" (خر ٤: ٢٢). لم يكن فرعون ليَفهم مشاعر اللَّه كأب نحو إسرائيل الذي كان يدعوه اللَّه "ابني البكر"، لأن إبراهيم كان باكورة الاختيار، أول من دخل في عهد مع اللَّه كعربون للبنوة الحقيقية بالمسيح يسوع.

وكان إسرائيل في قبضة فرعون يسقيه الذُّل ويشقيه العذاب في طين السُّخرة والعبودية القاسية فتقسى قلب فرعون وقال "إسرائيل لا أطلق".

وكان في الضربة العاشرة وهي كمال الضربات، أراد الرب أن يُشعِر فرعون بعمق الألم المتسبب في غياب الابن عن

أبيه فضرب الرب أبكار المصريين من بكر فرعون لبكر الجارية التي خلف الرحى، فصار نحيب وبكاء في كل بيت وكأن الرب بهذه الصورة أراد أن ينير بصائرنا، لكي ندرك مركزنا الذي صار لنا عنده كأولاده "إنه في كل ضيقنا يتضايق وملاك حضرته يخلصنا".

قد لا يفهم العالم ذلك، وقد يتقسى فرعون، ولكن مشاعر الآب نحونا لا تطيق أن يقع أولاده تحت سخرة (عبودية) شيطان أو حبس خطايا أو مذلة نجاسة. ولا يطيق أن يسمع أنين أولاده معذبين من جراء أسواط المُسَخِّرِين تُلهب ظهورهم وهم منحنين تحت أثقال الجسد والعمل لحساب التراب. فإن كانت هذه هى مشاعر الآب في القديم تحت ظلال الرموز وأشباه السماويات، فكم يكون نصيبنا من حب الآب بعد ما صرنا بالمسيح في نعمة البنوة وسمعنا صوته القائل: **"الآب نفسه يحبكم"**.

مثل من سفر صموئيل الثاني (ص ١٨):

قلب داود نحو أبشالوم ابنه:

كان أبشالوم بن داود النبي والملك... كان رجلاً عنيفًا سفاكًا للدماء، بدأ بقتل أخيه أمنون، ثم هرب من وجه أبيه مدة من الزمان عاد بعدها إلى أورشليم، وابتدأ بحيل شيطانية

وعطف زائف على الشعب فاستمال قلب الشعب وراءه ثم دبَّر مؤامرة لخلع داود النبي عن المُلك ليتسلّم هو مقاليد الأمور، وهكذا كان، فهرب داود من وجه أبشالوم حافيًا مغطى الرأس باكيًا، وزاد أبشالوم في شره فصنع الإثم مع نساء أبيه، وفوق كل هذا طلب أن يَقتل أبيه واستشار أخيتوفل الحكيم، وكاد أن يفعل لولا أن الرب حمَّق مشورة أخيتوفل وأبطَلَها فنجا داود من الموت، ولما صارت حرب فاصلة بين رجال داود وقواده والشعب الذين معه ضد أبشالوم وتابعيه وقف داود النبي يوصي قواده وهم خارجين للحرب قائلاً: "ترفقوا لي بالفتى أبشالوم"، يا لقلب الأبوة العجيب!!!

هل تنسى كل هذا الشر الذي لأبشالوم؟

إنه يطلب أن يترفقوا له، إنه ابنه رغم كل الشرور والفظائع التي أتاها... إن البنوة لا تغلبها الخطايا...!!

ثم بعد أن سَمِع داود خَبر موت أبشالوم يقول الكتاب: أن الملك انزعجَ **"وصعد إلى عِلِّيَّة الباب وكان يبكي ويقول هكذا وهو يتمشى: يا ابني أبشالوم، يا ابني، يا ابني أبشالوم! يا ليتني مُتُّ عوضًا عنك! يا أبشالوم ابني، يا ابني".**

هذه هى مشاعر الأبوة الصادقة في قلب إنسان قديس قال الرب عنه: "فتشت قلب داود بن يسّى فوجدته رجلاً بحسب

قلبي". فإن كان هكذا يكون قلب الإنسان فكم وكم يكون قلب الآب السماوي؟

شيء لا نهائي، أغوار لا يمكن وصفها، لُجج حب أقوى من الموت.

وبعد هذا هل تقف قوة في الوجود تَحول دون رجوع ابن إلى حضن أبيه.

إن كل حيل الشيطان تفشل وكل عقباته التي يصنعها في طريقنا ونحن راجعون إلى حضن الآب لا تساوي شيء.

الابن الأكبر:

يقول بعض المفسرين أن الابن الأكبر يمثل إسرائيل... "إسرائيل الابن البكر" فهو لم يفرح بقبول الأمم ورجوعهم إلى الله إذ قد كانت الأمم محسوبة كابن ميت فعاش وضالاً فوجِدَ، وقد أوضح القديس بولس الرسول موقف إسرائيل في رسالته إلى أهل رومية (ص ١١)، وأكد أن رفضهم كان مصالحة للأمم فكم يكون اقتبالهم...

وأكد أن إسرائيل لا بد أنه سيخلُص بعد عصيانه، إذ أن العداوة قد حصلت جزئيًا لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم.

وهذا يبدو واضحًا من مشاعر الابن الأكبر الجافة

وتمسكه في عناد بحقوقه وغيرته التي ليست بحسب المعرفة، انظر ماذا يقول للأب "لم أتجاوز وصيتك قط"، إنه الإحساس اليهودي بالبر الذاتي، إحساس الفريسي الذي يصوم مرتين في الأسبوع ويعطي عُشر كل ماله، إحساس التمسك بالحرف الناموسي.

ثم روح الأجير لا روح الابن إذ يقول: "وجديًا لم تعطني قط" إذ ينتظر مكافأة عن أعماله لأبيه مع أن الأب يقول: "أنت معي كل حين وكل ما هو لي فهو لك".

هذا ما لم يدركه إسرائيل إلى الآن... بل مازال في فكر العداوة والقساوة والجحود.

وعلى أن كلمات الأب "كان ينبغي أن نفرح ونُسَرَّ...".

تصير مكبتة لهذا التصرف البغيض الذي عاشه الابن الأكبر. ألا يبكت عمله هذا فرح الخدام حول سيدهم!؟ إذ ابتدأوا يفرحوا ويذبحوا العجل المسمَّن ويُلبسوا الابن الراجع ثياب الخلاص وجِدة الحياة!!

ولكن قلب الأب الحنون ما أعجبه.

إنه خرج إلى الابن الأكبر يبحث عنه هو الآخر لا يسر الأب إلا عندما يحتوي في حضنه الكبير والصغير وهو لا بد أن يفعل هذا. لقد نزل المسيح يبحث عن الضال ويرد

المطرود، يُجبِر الكسير ويَعصِب الجريح... وبذل نفسه عن الخراف، وكل الخراف. وقدَّم نفسه ذبيحة عن العالم كله ختان وغرلة، عبد وحر، بربري وسكيثي، فالمسيح جاء ليجمع أبناء اللَّه المتفرقين إلى واحد.

فإن كان اليهود قد حصلوا في العداوة ولكنه سيأتي الوقت الذي فيه يستفيقون من غفلتهم ويميلوا آذانهم إلى صوت الآب الحنون ويقبلوا ابنه المُرسَل من السماء ويعودوا إلى الحضن الأبوي والفرح الحنون الأبدي داخل البيت الذي هو كنيسة اللَّه التي اقتناها بدمه.

تأمل في الابن الشاطر
الأسبوع الثالث

تأمل في الابن الشاطر — كما قال الإله القادر
ونص المثل عندك حاضر — اسمع قول رب القوات
فكر في عقله وتفطن — وقال بيت أبي كان لي وطن
والآن ديار الشر صارت لي سكن — أخدم فيها وأصنع السيئات
أصابتني الخطايا والآثام — والآن سأسرع لأبي بلا إحجام

ضـليت ونسـيت لـك أحكـام ولا استحق أن أدعى ابنك بثبات
طبيـب النفـوس والأجسـاد احتضــنه وفي حبــه زاد
عنـدما رجـع لـه باسـتعداد أنعـم عليـه بكـل البركـات
قومـوا يـا كهنـة هيئـوا الحُلـة ليلبســها ابــني ويتحلـى
المعموديــة هــى الحُلــة وهــي أول الخــيرات
كللــوا ابــني بأكاليــل النــور وألبسوه خاتماً من ذهب أوفير
ليكــون بخــتم الــروح مســتور محروسًـا مــن كـل الــزلات

المرد: طوبى للرحما على المساكين ...

{ ٣ }

مثل الغني الغبي

(لو ١٢ : ١٦ - ٢١)

"وضَـرَب لهـم مـثلاً قـائلاً: إنسـانٌ غـنيٌّ أخصـبت كُورتُـهُ، ففكَّـر في نفسـه قـائلاً: مـاذا أعمـل، لأن لـيس لـي موضـعٌ أجمـع فيـه أثمـاري؟ وقـال: أعمـل هـذا: أهـدم مخـازني وأبـني أعظـم، وأجمـع هنـاك جميـع غلاَّتـي وخيراتـي،

وأقول لنفسي: يا نفسُ لكِ خيراتٌ كثيرةٌ، موضوعةٌ لسنين كثيرة. استريحي وكُلِي واشربي وافرحي! فقال له اللَّه: يا غبيُّ! هذه الليلة تُطلَبُ نفسك منك، فهذه التي أعددتها لمن تكون؟ هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنيًا للَّه" (لو ١٢ : ١٦ – ٢١).

لقد ضَرب الرب يسوع هذا المثل على أثر مجيء أحدهم إلى السيد قائلاً: قل لأخي أن يقاسمني الميراث، فقال له يا إنسان من أقامني عليكما قاضيًا أو مُقَسِّمًا؟ وقال لهم: انظروا وتحفَّظوا من الطَّمع فإنه متى كان لأحد كثيرٌ فليست حياته من أمواله، ثم ضرب لهم هذا المثل.

قل لأخي أن يقاسمني الميراث:

هذه قضية كل جيل وكأنها جزء من تكوين الإنسان وطبيعته البشرية الساقطة... كم من نزاعات وعداوات صارت بين الناس بسبب هذا الموضوع... كم أنهى حياة أناس وكم انتهى بالإخوة إلى المحاكم... كم أفسد قلوب وحطم المحبة بين الأشقاء... إذن ما هو السر وراء كل هذا؟! لقد كشفه الرب لتلاميذه وللذين حوله قائلاً: **"انظروا وتحفَّظوا من الطَّمع"** (لو ١٢ : ١٥). إن الطبيعة

البشرية الساقطة ليس فيها شيء من الصلاح... فكأنما هذا الطمع غريزي في تكوين البشر... قد تجده في طفل رضيع... الطبيعة طماعة تؤثر الأخذ على العطاء... تفرح بالأخذ وتجزع من الخسارة... تحب الأثرة والامتلاك وهي حينما تفعل ذلك تكون الذات والأنا وراء كل هذه الأفعال.

لأن الذات البشرية تتضخم في كثرة الممتلكات وتتحصن وراءها، المنفعة الذاتية تعلو كل شيء في طبيعة البشر حتى لو كان على حساب الأخ أو القريب أو الصديق، والطبيعة تفعل كل شيء لأجل الربح والاستحواذ حتى ولو على رقاب الناس ومصالح أقرب الأقربين. الذات تتفاخر بكثرة الماديات، والطبيعة البشرية تعزّ المقتدرين وتتملق الأغنياء كنوع من تأليه الذات، وهكذا وقف هذا الإنسان أمام المسيح بذاته المجروحة من جراء الطمع والإحساس بالظلم لأنه لم يقاسمه أخوه الميراث.

المسيح له المجد لم يأت مصلحًا اجتماعيًا ولا قاضيًا على مستوى الأمور المادية... حاشا... المسيح لم يأتي ليجعل رقعة جديدة في ثياب الطبيعة البشرية البالية لقد جاء ليخلص ويجدد ويعتق.

منهج المسيحية هو إنكار الذات وجحد المشيئة... كأن كان منظر الطبيعة البشرية كما ذكرنا هكذا كئيبًا ومكروهًا فإن المسيح المبارك جاء لكي يعطي طبيعة جديدة **"إذًا إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقةٌ جديدةٌ"** (٢ كو ٥ : ١٧).

وأما النعمة التي سكبها الرب بروحه في إنساننا الباطن. أي طبيعتنا الجديدة... فهي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار.

لذلك فإن النعمة والطبيعة يقفان على طرفي نقيض لأنهما يصدران عن مصدرين مختلفين تمامًا.

فحركات النعمة نازلة من فوق – أي أنها سماوية – بينما حركات الطبيعة تنشأ من أسفل من الذات البشرية الساقطة.

الطبيعة طمَّاعة، أما النعمة فإنها سخية ترتاح في العطاء أكثر من الأخذ بل تفرح بالعطاء.

النعمة تقنع بالنصيب الأصغر ولا ترتاح في التعزيات الخارجية لأن مصدر عزاءها هو الله وحده وفيه تستريح.

النعمة تزدري بالأمور الزمنية وما كان لها ربحًا محسوبًا في العالم تحسبه خسارة. الطبيعة تَطلُب لتمجيد الذات بينما النعمة ترجع كل شيء إلى الله مصدر كل عطية صالحة.

إذن يمكننا أن ندرك وصية الرب يسوع **"انظروا وتحفَّظوا**

من الطَّمع" (لو ١٢ : ١٥).

إن كنا ننحاز للذات ونسلك بحسب الإنسان الخارج ومشيئة الجسد فسنسقط حتمًا في فخ الطمع وعلة الدينونة، ولكن إن كنا بالروح نُميت أعمال الجسد ونُخْضِع نفوسنا للنعمة التي يؤتى بها إلينا بيسوع المسيح، فإننا نتمتع ببركات الخلاص وعمل الله فينا.

الطبيعة تجذبنا إلى العالم بينما النعمة ترفعنا إلى الله، ولكن لينظر كل واحد منا إلى نفسه فإنه كما أن النعمة تتوسل إلى أشر الخطاة لتستهويهم بطرقها كذلك الطبيعة تحاول أن تجذب إليها أكبر القديسين لتعزيهم بشهواتها.

فطريق الجهاد إذن يحفظنا بالنعمة من السقوط في الطمع ومحبة النصيب الأكبر الذي قد يحرمنا من ميراثنا الأبدي.

المثل

إنسان غني أخصبت كورته...

إن رائحة الذات البغيضة تفوح من أول كلمات المثل. وقد اختفى الله تمامًا من سيرة هذا الإنسان الغني... فالخِصب الذي أصاب كورته منسوب إلى ذاته وإلى قدراته وراجع في

النهايـة إلـى ذاتـه ولذَّاتـه ومتعتـه. وعِـوض أن يقـدم الشـكر للّه مصدر الغنى وإله كل عطيـة صـالحة وعوض أن يُقدم باكورة كورتـه إلـى اللّه ليشتم اللّه رائحـة سرور، وعِـوض أن يفكـر فـي الأرملة واليتيم والمسكين فيشعر أن اللّه أعطاه ليعطـي ويُدخِل السرور إلـى آخرين، وعِـوض أن يفرِّق ويعطـي ويقتنـي لـه برًا فكَّر أن يخزن ويحبس الخير عن أهله، وعِوضًا عن أن يتأمل إنـه إن كانـت أزمنـة للشـبع فهنـاك سـنوات للجـوع... وعِـوض عن أن يتفكر في اللّه الذي يُنمي والذي يُثمر... عوض كل هذا فكر في نفسه وفي تمجيد الذات وخزين الخيرات.

ماذا أعمل لأن ليس لي موضع أجمع فيه أثماري.

لقد ضـاقت مخازنـه عـن وفرة الثمر والخير الذي أصـاب في هذه السنة وأراد أن يوسع المخازن لتجمع فيها الخيرات.

ومن عجيب الأمر أن هنـاك بُعد آخر غير منظور ولكنـه مُدرك للسالكين بـالروح، فكلمـا انفتحـت الـذات بكثـرة الخيـرات انحصـر الإنسـان فـي الأنانيـة وتقوقعـت نفسـه فـي الضِـيق ودخل إلى مخابئ الكآبة وصغر النفس، وعلى العكس كلما بَذل الإنسـان وسكب ذاتـه وافتقـر وفرغـت مخازنـه الأرضـية اتسـع قلبـه ليُسِـر الآخـرين ودخـل الإنسـان إلـى دائـرة النـور والفرح.

عندما كسرت المرأة قارورة الطيب كثير الثمن وأفرغتها عن آخرها على رأس الرب يسوع وهو متكئ... كان يبدو حسب الظاهر أنها افتقرت وخسرت وسكبت وكانت بحسب أعين الناظرين أنها أضاعت وأتلفت ولكن حسب فكر المسيح حفظته وخزنته لحياة أبدية واقتنت وكسبت لها صيتًا فاخرًا. وحينما يُكرز بالإنجيل في المسكونة كلها يُذكر ما فعلته هذه المرأة تذكارًا لها.

على هذا القياس بدأ الرجل يخزن ويكنِز ويوسع دائرة الذات ويبني مخازن أكبر وأوسع.... وهو في نظر الروح كان يضمَحل ويتضاءل وينزوي.

لقد ظَن هذا المسكين أنه في خصب كورته خصب لذاته ونمو لكيانه، وظن أن الغِنى الخارجي هو كل شيء**!!** وللأسف أن هذا الفكر كثيرًا ما ينمو فينا ويظهر بيننا وقد غاب عنا منظر ربنا "**فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه من أجلكم افتقر وهو غنيٌّ، لكي تستغنوا أنتم بفقره**" (٢كو٨: ٩).

وغاب عنا أن الرسل الأطهار أرسلهم الرب فقراء من كل شيء من كيس ومزود وأحذية وثوبين حتى عصا الطريق.

وقد غاب عنا أيضًا أن الرب اختار فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان وورثة الملكوت.

وغاب عنا أيضًا قول الرسول "**أوصِ الأغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا، ولا يُلقوا رجاءهم على غير يقينية الغِنى، بل على اللَّه الحيِّ**" (١تي ٦ : ١٧). وما قاله أيضًا: "**وأما الذين يُريدون أن يكونوا أغنياء، فيسقطون في تجربةٍ وفخٍّ**" (١تي ٦ : ٩).

لقد عاش آباؤنا القديسون كفقراء ولكنهم أغنوا كثيرين. لقد استغنوا بفقر المسيح والآن صاروا أغنى من العالم بأسره...

إن القديس بطرس الرسول لم يكن له فضة ولا ذهب ولكنه قال: الذي لي فإياك أُعطيه بِاسم يسوع المسيح قُم، "فوقف الرجل الأعرج الذي كان له أكثر من أربعين سنة".

ليس الغِنى إذن في كثرة المقتنيات وليس أمرًا من أمور هذا العالم الزائل.

لقد خُدِع هذا الرجل الغني المسكين بمنظر الخيرات الزمنية وأغرته أباطيل كاذبة... هذا الغِنى المتمثل في خصب الكورة كزهر العشب يزول كما يقول الرسول: "**لأن الشمس أشرقت بالحرِّ، فيبَّست العُشب، فسقط زهرُهُ وفَنِيَ**

جمال منظره. هكذا يَذبُل الغنيُّ أيضًا في طُرُقهِ" (يع ١ : ١١)، كذلك راجع (إر ٤٨ : ٣٦).

أهدم مخازني وأبني أعظم منها:

هل علمت أيها الإنسان الباطن ماذا تفعل؟ تأمل طيور السماء أنها لا تحصد ولا تجمع في مخازن وأبوكم السماوي يُقيتها... كما أنكم أفضل من عصافير كثيرة؟ فلا تهتموا... لأن أباكم يعرف ما تحتاجون إليه...

أليس هذا ما يشغِل بالنا في كثير من الأحيان... نذهب إلى تلك المدينة وهناك نقضي سنة نتجر ونربح... عِوَض أن تقولوا إن شاء الرب وعشنا نفعل كذا...

الرسول لم يمنع الإنسان من العمل أو التجارة أو الربح... كلا ولكنه ينبه ذهن الإنسان الذي يرسم للمستقبل ويخطط للأيام والسنين وقد نسى ما هو إنه بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل، ولكنه أسقط الله من حساباته وقدَّم مشيئة نفسه ولم يطلب مشيئة الله، أما أولاد الله فإنهم يدركون ذلك تمامًا ويمارسونه في حياتهم عالمين أنهم موضوعون لهذا. فإن الله هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة... ولذا يقولون في نهاية الأيام **"أنا مجَّدتُك على الأرض. العمل الذي**

أعطيتني لأعمل قد أكملتُهُ" (يو ١٧ : ٤). إنهم لم يعيشوا لذواتهم بل للذي أحبهم ومات عنهم وهم يتفرغون لتنفيذ إرادته ويسرون بها.

وفي المقابل هناك مخازن أخرى تجذب انتباه السالكين بالروح. إنها المخازن السمائية حيث يكنزون خيراتهم **"لأنّه حيثُ يكون كَنْزُكَ هُناك يكون قلبك أيضًا"** (مت ٦: ٢١). هناك حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ولا ينقب السارقون ويسرقون.

أما هذا الغني المسكين فقد حبس قلبه في مخازنه الأرضية حيث السوس والصدأ وحيث ينهب السارقون.

قال الرب هاتوا العشور إلى الخزانة وجربوني... أجمع وأضع في خزانة الرب ستفتح كوى السماوات وتوسعك بركات وعطايا روحية حتى تقول كفانا... كفانا... كفانا.

تأمل المرأة الأرملة الفقيرة عندما ألقت الفلسين في خزانة الهيكل... ألقت كل ما لها. كل معيشتها. لقد خزَّنت لنفسها نصيبًا صالحًا إلى أبد الدهور.

أقول لنفسي يا نفسُ لكِ خيراتٌ كثيرةٌ، موضوعةٌ لسنينَ كثيرةٍ:

من أعلمك أيها الجاهل أنها سنين كثيرة، إن من ينظر إلى المستقبل هكذا يكون كمن يتكل على رصيد وهمي... يا للأسف عندما يقع الإنسان فريسة تسويف العمر باطلاً ويطمئن للعالم والزمن الخادع!!

ألست تعلم أن ذلك اليوم وتلك الساعة قد اختفيت عن عيوننا لنسهر ونستعد كل يوم وكل ساعة.

أليس مكتوبًا أن أهل العالم حينما يقولون سلام وأمان يفاجئهم هلاك بغتة كالمُخاض للحُبلى فلا ينجون... أليس مكتوب أن يوم الرب سيأتي كلص في الليل...

ألم يُنبِّه الرب ذهننا قائلاً: اسهروا وصلوا لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة.

ألم يقل أنه ربما يأتي مساءً، أم نصف الليل، أم صياح الديك، أم صباحًا. وقال ما أقوله لكم أقوله للجميع: اسهروا لئلا يأتي فيجدكم نيامًا. أما ذلك الغني فقد اطمأن أن له سنين كثيرة.

ربما نظر إلى صحة جسده وأنه في مقتبل العمر... ولم يعلم قول الرسول: ما هى حياتكم إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل.

ألم يُعبِّر قول يعقوب أب الآباء عن أيام سني غُربته أنها قليلة رغم طول مدتها.

إنها غشاوة يَضعها عدو الخير على العين فلا تُبصر ولا تدرك في حين أن الإنسان في هذه الحالة يثق في نفسه أنه حكيم ومتبصر بالأمور وهو بائس مسكين وأعمى وعريان.

لقد افترض أن الخيرات باقية لسنين كثيرة وأنه هو باقٍ أيضًا لسنين كثيرة ونسى فساد وزوال خيرات العالم... ألم تذهب ثروات أيوب كلها في لحظة من الزمان!!

كم من أغنياء تبددت ثرواتهم كغيوم الصيف... وملوك وأباطرة دارت عليهم الدوائر فافتقروا إلى كسرة خبز.

ما هذا الخداع الرهيب؟... خيرات وفيرة لسنين كثيرة! إنها باطل الأباطيل كما قال سليمان الحكيم وقبض الريح، ليس جيد أن يتكل الإنسان على هذا الوهم الواهي... طوبى لمن إله يعقوب معينه واتكاله على الرب إلهه. أما أن يبقى هو سنين كثيرة فقد سمع من فم الرب هذه الكلمات المخيفة... يا غبي، الليلة تُطلب نفسك منك.

فلا هى سنين كثيرة ولا حتى أيامًا قليلة... كانت الليلة التي يتكلم فيها بينه وبين نفسه كانت هى نهائية.

استريحي وكلي واشربي وافرحي:

هذه هى غايته في وجوده في هذا العالم... كمثل الحيوانات غير الناطقة أو كما قيل عن أهل العالم الذين جعلوا منهجهم لنأكل ونشرب لأننا غدًا نموت.

إنه يعيش لهذا الهدف التافه الترابي راحة الجسد وأكل وشرب وفرح زائل... ما أصدق قول الرسول: "**مَنْ يزرع لجسده فمن الجسد يحصُدُ فسادًا**" (غل ٦ : ٨).

استريحي:

هل توجد راحة حقيقية في أرض جهاد وتعب ومشقة؟ إن أفخر أيام الأرض تعب وبلية والإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعب... إذن كيف يستريح الإنسان؟! قال الرب مناديًا تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأن أُريحكم. في المسيح وحده راحة التعابى حيث يلقي الإنسان كل خطاياه وآلامه وتعبه على حَمَل الله حامل خطية العالم.

لقد ظن هذا الغني أن يرتاح مُتكلاً على خيراته ومستندًا إلى غناه مرفهًا نفسه بالبَزّ والأرجوان والثياب الناعمة... وقد قال الرب عن مثل هذا الغني "مات الغني ودفن ورفع نظره

وإذا هو معذب في الجحيم؟!" أين الراحة الوهمية التي تمناها وخَدع قلبه بها... لقد تبخرت.

قال النبي في القديم: "قوموا وانطلقوا فليست هذه هى الراحة" قال أحدهم: "يا نفسي استريحي دائمًا في الرب فوق كل شيء لأنه هو راحة القديسين الأبدية". هبني يا يسوع العذب والمحبوب جدًا أن أستريح فيك فوق كل خليقة... فوق كل عافية وجمال... فوق كل مجد وكرامة... فوق كل اقتدار... فوق كل علم وحذاقة... فوق كل غنى وصناعة... فوق كل فرح وبهجة... فوق كل رجاء وموعد... فوق كل استحقاق ورغبة... فوق كل المواهب والعطايا التي تستطيع أن تمنحها وتفيضها... فوق كل سرور وتهلل يمكن العقل أن يدركه ويشعر به... وأخيرًا فوق الملائكة ورؤساء الملائكة... فوق جميع ما يُرى وما لا يُرى... فوق كل ما ليس هو إياك يا إلهي.

كلي واشربي وافرحي!!

ألم يقل الكتاب "آلهتهم بطونهم"... الذين يفتكرون في الأرضيات أما الملكوت فهو ليس أكل وشرب بل بر وسلام

وفرح في الروح القدس. لأنه إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقُص.

لقد صارت سيرتنا في السماويات، وصرنا نطلب بإلحاح في الصلاة خبزنا الذي للغد... خبزنا الآتي نطلبه كل يوم، صار المسيح نفسه هو أكلنا وشُربنا وفرحنا وسلامنا بل وصار لنا الكل في الكل.

هكذا الذي يَكنز لنفسه وليس هو غنيًا لله:

أخيرًا بعد أن ضَرب الرب هذا المثل ختم أقواله الإلهية بهذه الكلمات المفعمة بالحكمة الإلهية لينبّه ذهننا لكي نستفيق من غفلتنا ولكي تتكشف الأمور أمام ناظرينا هذا هو مصير من يكنز لنفسه، وهذه هى النهاية للذين يعيشون لذواتهم.

وقد فرَّق الرب بهذه الكلمات بين نوعين من الأغنياء، فمنهم من هو غني لنفسه ومنهم من هو غني للَّه، والفرق بين الاثنين جسر خطير. فأما من هو غني للَّه فهو غني في أعمال صالحة، سخي في العطاء كريم في التوزيع، غير متكل على الغنى غير اليقيني بل على اللَّه الحي.

قلبه ثابت... كنزه في السماء... يفتخر باتضاعه، كل هذه الصفات الإنجيلية والفضائل الروحية يعيشها ويتمتع بها غير ناظر إلى نفسه بل مُزينًا بأعمال الرحمة التي قال عنها الرب "أريد رحمة لا ذبيحة" مثل هذا الغني لله سوف يسمع كلمات الرب في النهاية **"كنت أمينًا في القليل** (على الأرض) **فأقيمك على الكثير** (في السماء).

أي شكر نستطيع أن نقدم لله الذي فتح بصيرتنا لنتحقق زوال غنى العالم وكل مجده بل وأعطانا بصيرة لنرى الغِنى المذَّخر لنا في ميراثنا فننقل سيرتنا وكنزنا إلى فوق حيث المسيح جالس. وأعطانا وصيته المقدسة لنسهر ونصح لابسين درع الإيمان حتى لا يفاجئنا ذلك اليوم بغتةً كمتوانين بل ننتظر ونتوقع ظهوره واستعلان ملكوته.

له المجد في كنيسته إلى أبد الدهر... آمين.

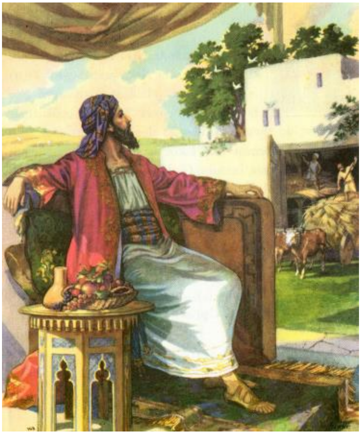

{٤}

مثل الفريسي والعشار (لو ١٨: ٩ ـ ١٤)

"وقال لقومٍ واثقينَ بأنفسهم أنهم أبرارٌ، ويحتقرون الآخرين هذا المثل: إنسانانِ صَعِدا إلى الهيكل ليُصلِّيا، واحدٌ فريسيٌّ والآخر عشارٌ. أما الفريسي فوقف يُصلِّي في نفسِهِ هكذا: اللَّهُمَّ أنا أشكرك أني لستُ مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشار. أصوم مرتين في الأسبوع، وأُعشِّرُ كل ما أقتنيه. وأما العشار فوقف من بعيدٍ، لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: اللَّهم ارحمني، أنا الخاطئ. أقول لكم: إن هذا نزل إلى بيته

مبرَّرًا دون ذاك، لأن كل من يرفع نفسه يتَّضع، ومن يضع نفسه يرتفع" (لو ١٨ : ٩ ـ ١٤).

يسوع المُخلِّص:

إن الرب يسوع في تعليمه الإلهي يلمس مواضع أوجاع البشرية كمُخلِّص، فهو يكشف أغوار النفس لأن عيناه تخترقان أستار الظلام، وهو قابل الصلاة الذي إليه يأتي كل بشر، وهو العارف بقلب كل واحد، وكل شيء مكشوف وعريان أمامه وتصعد إليه من قلوب أصفيائه كلمات الصلاة مختلطة بعواطف زكية تستقيم كالبخور الصاعد إلى عَنان السماء، بينما تكون صلاة الأشرار مكرهة قدامه إذ تكون مختلطة بدنس القلب ولو زُينت بأجمل الكلمات، فالله يقبل الصلاة لا من اللسان والكلام بل من القلب حيث يكمن كنز الإنسان... "يا ابني أعطني قلبك"... "ليس كل من يقول لي يارب يارب"... **"لا تُكرِّروا الكلام باطلاً كالأُمم، فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم"** (مت ٦ : ٧).

إذًا لنحذر ونقدم الصلاة دائمًا من القلب ولا تكن صلواتنا ترديدات وكلمات، ولنتعلم أنه في حال وقوفنا أمامه يحكم على صلاتنا إما للبر كالعشار وإما بالرفض مثل الفريسي

الذي صارت صلاته دينونة وحُسبت صلاته عليه وليست له.

البار في عيني نفسه:

"قال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار".

هذا هو أصل الداء، الذي أراد الرب بهذا المثل أن يُخلصنا منه ويطهر قلوبنا وأذهاننا من هذا العيب القاتل. والحقيقة أن هذا المرض والانحراف في الحياة الروحية يصيب بالأكثر المواظبين على العبادة والصلاة وقد تكون الثقة في الذات من حيث المعرفة أو الحكمة أو الإمكانيات الذاتية أو القدرات والمهارات. وقد نبه الكتاب المقدس **"فإني لستُ أريد أيها الإخوة أن تجهلُوا هذا السِّرَّ، لئلا تكونوا عند أنفُسِكم حُكماء"** (رو ١١ : ٢٥). **"ليمدحك الغريب لا فَمُكَ"** (أم ٢٧ : ٢).

وقد يثق الإنسان في فهمه فيضل طريقه ويتعثر كثيرًا لأن الكتاب يقول: **"توكَّلْ على الرب بكل قلبك، وعلى فَهْمِكَ لا تعتمد"** (أم ٣ : ٥).

ويقول: **"لا يخدعنَّ أحدٌ نفسه. إن كان أحدٌ يظُنُّ أنه حكيمٌ بينكم في هذا الدَّهر، فليَصِرْ جاهلاً لكي يَصِيرَ حكيمًا"** (١كو ٣ : ١٨).

ويقع الإنسان في غباوة الذين إذ كانوا حكماء في أعين أنفسهم فإنهم لا يفهمون مكنونات الحكمة الإلهية، أما أن يثق الإنسان في بره وتقواه وصلاحه فهذا أمر مخيف حقًا.

فالمثل قاله الرب لأناس واثقين بأنفسهم من جهة البر... يا للغباوة التي أصابت الذهن، والعمى الروحي الدافع إلى الهلاك إن هذا المرض الخطير صار ظاهرة متفشية في أيامنا تحتاج إلى مراجعة كثيرة.

من أين تأتي الثقة بالنفس بأن يكون الإنسان بارًا في عيني نفسه؟!

الواقع أن ذلك يرجع لانطماس البصيرة الروحية! فلم يعد الإنسان يرى خطاياه ولا ضعفاته بل يرى أنه غني وأنه استغنى ولا حاجة له إلى شيء وهو كما يقول سفر الرؤيا: "**لأنك تقول: إني أنا غنيٌّ وقد استغنيت، ولا حاجة لي إلى شيءٍ، ولست تعلم أنك أنت الشَّقيُّ والبَئِسُ وفقيرٌ وأعمى وعريانٌ** (رؤ ٣: ١٧). أنه إنسان نسى تطهير خطاياه السابقة، نسى أن الله ينظر إلى السماء ذاتها وكأنها غير طاهرة قدام عينه وإلى ملائكته ينسب حماقة "**هُوذا عبيده لا يأتمنهم، وإلى ملائكته ينسب حماقةً**" (أي ٤: ١٨). غاب عن ذهن هذا الإنسان موقف الآباء القديسين الذين كان منهجهم

الإنجيلي واضحًا "**كذلك أنتم أيضًا، متى فعلتم كل ما أُمرتم به فقولوا: إننا عبيد بطالون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا**" (لو١٧: ١٠). الذين وضعوا أمامهم قول الرب "**فإني أقول لكم: إنكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفرِّيسيِّين لن تدخلوا ملكوت السموات**" (مت ٥ : ٢٠).

إن البار في عيني نفسه لا يرى سواها هذا نوع من تأله الذات... بل إن العبادة كلها تتحول إلى مظاهر تعود بالمدح على الذات وإثبات برها أمام الناس وتضخمها في عين صاحبها... يصوم لينظره الناس، يصلي ويتصدق سعيًا وراء تمجيد الذات، ويمارس عبادات ونسكيات كثيرة لتأكيد البر الذاتي... وكل هذا يعمله بحبكة وحرفية رهيبة، وعندما تقع على هذا المسكين حِيل الذات الخبيثة يُصدِّق زيفها ويقتنع بإتقان دورها الذي أخذت فيه الصدارة في مجال أعمال البر وحفظ الوصايا والواقع المر. إن الإنسان يكون أبعد ما يكون عن البر في عيني الله إذ يكون قد استوفى أجره كاملاً مدحًا من الناس ومدحًا من نفسه لنفسه.

ويحتقرون الآخرين: **إن البار في عيني نفسه لا يرى في غيره فضيلة، ولكن عينه تبحث عن نقائص الناس، وإذ يقيس غيره على ذاته المتعظمة المتألهة يتضاءل شأن**

الناس جميعًا في نظره من ناحية البر والفضيلة مهما كان شأنهم.

ولو أن الفريسي اكتفى بمدح نفسه وإظهار بره الكاذب أمام الله لهان الأمر، ولكنه تعدي ذلك إلى ذم الناس عامة ثم تعدى بالأكثر إلى احتقار العشار الواقف بجواره.

على العكس تمامًا كان الآباء القديسون ما نظروا إنسانًا قط إلا ورأوا فيه فضيلة وتعلموا منه درسًا وما قارنوا أنفسهم بأحد إلا ووجدوا أنفسهم في الموازين إلى فوق.

العين البسيطة:

قيل أن أحد الآباء ذهب إلى أبيه الروحي في البرية حزينًا متألمًا، فلما سأله أبوه عن سبب حزنه قال له: لقد جلست في قلايتي أعدد فضائل أخي فوجدتها ثلاثين فضيلة ولما بحثت في نفسي بالمقارنة لم أجد فضيلة واحدة... فعزاه أبوه الروحي قائلاً: أن رؤيتك لفضائل أخيك بينما لم ترَ في نفسك غير النقص هذا في حد ذاته يعتبر فضيلة الفضائل، يا للعين البسيطة النقية التي ترى فضائل الناس وحين تبحث عن العيوب لا تجدها سوى في نفسها.

مُحتقِر الآخرين:

كيف يصل الإنسان إلى احتقار الآخرين؟

لا شك أن العين إذا امتلأت شرًا لا ترى سوى من خلال شرها... فترى شرًا في كل أحد.

لماذا تنتظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينيك فلا تفطن لها (مت ٧ : ٣).

المُحتقِر الآخرين يقود الناس إلى الرجم كبريءٍ ولكن ماذا يفعل حينما يواجه الرب بالكتابة أي سجل خطاياه السالفة ويقول من منكم بلا خطية فليرمها أولاً بحجر؟

المُحتقِر الآخرين هو مخدوع مأخوذ في حفرة... مَن أعلمه بقلوب الناس وسرائرهم... من أنت يا من تدين عبد غيرك... هو لمولاه...

المُحتقِر الآخرين لا يلتمس عذرًا لأخيه في خطيته... لا يَرحم ولا يعرف سبيلاً للمحبة بحسب المسيح.

الآباء القديسون عندما رأوا خطايا آخرين ستروها بالمحبة وتوَّبوا أصحابها بمسلك روحاني **"أيها الإخوة، إن انسبقَ إنسانٌ فأُخِذَ في زلَّةٍ ما، فأصلِحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناظرًا إلى نفسك لئلا تُجَرَّب أنت**

أيضًا" (**غل ٦ : ١**).

وعندما رأوا أخًا يُخطئ اعتبروها خطيتهم الخاصة وبكوا وناحوا وصلوا وتضرعوا ولم يحتقروه!!

"وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرارٌ، ويحتقرون الآخرين هذا المثل" (**لو ١٨ : ٩**).

المثل

إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا...

هذه بداية كلام الرب... شافي نفوسنا... فالفريسي والعشار أولاً وآخِرًا هما إنسانان أمام اللّه... والإنسان ضعيف مهما عَظُم شأنه، صغير مهما كبر، إنهما أمام الله إنسانان، عندما نقف للصلاة نصير أمامه مجردين تمامًا لا اسم ولا رتبة ولا وظيفة ولا تعب ولا شكل، لا شيء بالمرة. فأنت قبل وبعد كل شيء الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعبًا (أي ١٤ : ١) وما أجمل العبارة التي قالها إشعياء النبي: **"كُفُّوا عن الإنسان الذي في أَنفه نسمةٌ، لأنه ماذا يُحْسَبُ؟"** (**إش ٢ : ٢٢**).

القديسون العظام حينما وقفوا أمام الله ما وجدوا شيئًا يتقدمون به إلى الله فوقفوا أمامه عراه وضعفاء لم يضبطوا قوة كدانيال، وكإبراهيم أب الآباء حين قال: "**إني قد شرعت أُكلِّم المولى وأنا ترابٌ ورمادٌ**" (تك ١٨ : ٢٧)، وأيوب الصديق يقول: "**لذلك أرفض وأندم في التراب والرَّماد**" (أي ٤٢ : ٦)، وداود النبي يقول: "**يارب، أيُّ شيءٍ هو الإِنسان حتى تَعرِفَهُ، أو ابن الإنسان حتى تفتكر به؟**" (مز ١٤٤: ٣)، ويقول: "**لصقت بالتُّراب نفسي، فأحيني حسب كلمتك**" (مز ١١٩: ٢٥). الإنسان عُرضة للتغير، عُرضة للضَعف، عُرضة للسقوط لولا نعمة الله معه، فكم من إنسان بدأ بالروح وكمّل بالجسد، كم من إنسان سما في الفضيلة ثم سقط من رتبته!! وعلى العكس، كم من إنسان رفعه الله من المزبلة ليجلس مع رؤساء شعبه (راجع مت ١٩ : ٣٠).

ولكن الفريسي نسى في صلاته أنه إنسان!! يا للحسرة نسى أنه نفخة وتراب وبخار !!

وضع الرب أمامنا هذا النموذج "**اللَّهم أنا أشكرك أني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة، ولا مثل هذا العشَّار. أصوم مرتين في الأسبوع، وأُعَشِّرُ كل ما أقتنيه**".

ترى هل تُسمى هذه صلاة؟!

إنه واقف أمام الله لا ليأخذ بل كأنه يعطي!!

إنه الشعور بتكميل الواجبات نحو الله. ماذا يريد الله مني بعد ذلك؟ ليس له عندي شيء!! إنه شعور مؤسف حقًا، كأن الإنسان يتفضل على الله. ما هى صلواتنا وما هى أصوامنا وما هى عشورنا في حد ذاتها؟ هل الله محتاج إلى هذه كلها؟ حاشا هل الله مِعَوز لعبادتنا؟ ماذا لو لم يُقدِّم إنسان كل هذه الأمور... هل ينقص الله شيء؟

إن الله هو مصدر النِعم، وأصل كل بَركة، ومنه وله كل الأشياء. نحن حينما نصلي نأخذ من الله، وحينما نصوم نأخذ من الله، وحينما نعطي نأخذ من الله. هو المنعم دائمًا المعطي بسخاء، الكريم في التوزيع... "**كل عطية صالحةٍ وكل موهبةٍ تامةٍ هى من فوق، نازلةٌ من عند أبي الأنوار، الذي ليس عندهُ تغييرٌ ولا ظل دورانٍ**" (يع ١ : ١٧).

مقارنة مغلوطة:

تلك المقارنة في كلمات الفريسي تحوي خداعًا قاتلاً.. قد يكون في كلام الفريسي شيء من الصِدق أنه ليس مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة.

والسؤال لماذا قاس نفسه بهذه العينات الساقطة من

الناس؟ لماذا لم يقارن نَفْسُه بالقديسين والأبرار والشهداء الذين أحبوا الرب حتى الموت؟!

لماذا لم يُقارن صلواته بصلوات إيليا الذي أغلق السماء بسلطان وصلى أيضًا فأعطت السماء مطرًا... لماذا لم يقارن صلواته بصلوات الأبرار التي تقتدر كثيرًا في فعلها كصلاة نحميا وعزرا ودانيال والثلاثة فتية القديسين في أتون النار؟؟

لماذا لم يُقارن صومه بأصوام الأبرار؟ كموسى وإيليا الذين صاما أربعين يومًا كاملة ولا بصوم أستير بتذلّلها حتى استدرت مراحم الرب، ولا بصوم أهل نينوى الذين رفع الله غضبه عنهم!؟ ولكنه وضع أمامه أمثلة ضعيفة ساقطة منحرفة لكي يزكي ذاته.

إنه يصوم مرتين كل أسبوع.

وهكذا من جهة العطاء إنه يُعشِّر كل ما يقتنيه... ألم يكشف الرب أغوار الفريسيين حين قال: "**ويلٌ لكم أيُّها الكتبة والفريسيون المراؤون! لأنكم تُعَشِّرون النَّعنَعَ والشِّبِثَّ والكَمُّون، وتركتُم أثقل الناموس: الحقَّ والرَّحمة والإيمان. كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك**" (مت ٢٣ : ٢٣).

تُعَشِّرون النَّعنع والبقول وتأكلون بيوت الأرامل،

أيها الفريسي الأعمى تصلي قائمًا في زوايا الشوارع لكي يَنظُركَ الناس مُزكى من الخارج وبواطنك مملوءة غِش مثل قبر مبيض؟ ما أكره الرياء ما أحقَرُكِ أيتها الفريسية التي حجبت وجه الله فَرددتِ صلاة الفريسي الأعمى إلى حضنه ورَجِعَتْ كلماته بعد أن أُغلِقت السماء دونها.

القياس السلبي:

⌖ القياس إلى أناس فاسدي الرأي وعادمي الذهن، والمقارنة بالمستويات الدون والسلوكيات البغيضة تؤله الذات وتجعل الإنسان بارًا في عيني نفسه، أليس هذا هو منطق كثيرين حين تَبلُغ إليهم كلمات الإنجيل منبهة.

فيقول قائل: "أنا إنسان لا أؤذي أحدًا ولا أضر أحدًا ولا أضمر لإنسان شر ولا أحلف ولا أشتم ولم أسرق ولم أزنِ..." وهكذا ببساطة شديدة يبرر الإنسان ذاته ويبدو وكأنه غير ناقص وغير محتاج أو قل أنه قد وصل إلى الكمال الروحي... لقد وقع المسكين في الفخ وقام نفسه بمقياس مغلوط إن قياسنا الصحيح هو ملء قامة المسيح والسعي إلى أن نبلغ الذي من أجله قد أدركنا المسيح لعلنا نبلغ إلى قيامة الأموات.

والـرب تـرك لنـا مثـالاً لنقتفـي آثـار خطواتـه... فـإن عرفنـا هـذا فلنخـرج علـى آثـار الغـنم لكـي لا تضـل أقـدامنا سـبل الحيـاة... لنخـرج علـى آثـار الآبـاء فـي الفضـيلة والسعي وراء المسيح وإنكار الذات والحب الحقيقي والاتضاع الكامـل "**كونـوا مُتَمَثـِّلين بـي كمـا أنـا أيضًـا بالمسيح**" (١كو١١: ١).

ولا مثل هذا العشار:

يا ليتك كنت مثل هذا العشار... الكنيسة وضعت في أفواهنا كلمات العشار نُكررها كل يوم في الصلاة، وصار العشار في قرع صدره وتنكيس رأسه وخفض نظره في خوف ورعدة كثيرة... صار كل هذا نموذجًا رائعًا يُحتذى به في كنيسة الله!!

أما الفريسي فلم يرَ شيئًا في هذا العشار سوى خطايا منظره الخارجي ألم يصر العشار متى واحدًا من الإثنى عشر رسولاً الأطهار تلاميذ الرب الذين صاروا أساسات سور أورشليم السمائية.

إياك يا أخي من إطلاق لسانك بالجيد والرديء على الناس. العبرة بالنهايات دائمًا...

قال الرب للفريسيين: "**إنَّ العشارين والزواني يسبقونكم**

إلى ملكوت اللَّه" (مت ٢١: ٣١).

صلاة العشار:

أما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، قال أحد الآباء أن صلوات العشار غلبت اللَّه الذي لا يُغلب.

لماذا وقف من بعيد؟ إنه شاعر أنه ليس له جرأة ولا جسارة ولا قدوم بسبب خطاياه. إنه يشعر في أعماقه ببُعد المسافة بينه وبين اللَّه القدوس... لذلك وقف من بعيد.

أية خلطة للبِر مع الإثم؟ بأي استحقاق يقف أمام قدوس القديسين الساكن في النور الذي لا يُدنى منه؟ كيف يقترب إليه إنسان خاطئ. هو ذات الشعور الذي سكن قلب المرأة الخاطئة فجاءت من وراء الرب عند قدميه باكية.

الخوف والرعدة هما الإحساس الطبيعي للقلب المُتضع عندما يتراءى أمام اللَّه. إشعياء النبي اعتراه خوف عندما رأى السيد الرب جالسًا على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل فصرخ قائلاً: **"فقلت: ويلٌ لي! إني هلكت، لأني إنسانٌ نجس الشفتينِ"** (إش ٦ : ٥).

ذات الشعور اجتاح قلب بطرس عند صيد السمك الكثير

فطلب إلى الرب قائلاً: **"اخرج من سفينتي يا ربُّ، لأني رجلٌ خاطئٌ"** (**لو ٥ : ٨**).

من يستطيع أن يقترب إلى غير المُقتَرب منه... إن اجتراء الفريسي وجسارته مبغوضة ومكروهة لأن دافعها هو الكبرياء والثقة بالنفس، إنه بار ماذا يمنعه من الوقوف أمام الله، لقد تطهر بغسلات خارجية وصار واثقًا في نفسه، أنه ليس ما يعيبه أو يخفيه فاجترأ بغير معرفة كمن يدخل إلى النار الآكلة بغباوة وثقة في النفس، فإنه في الحال يحترق، لأنه ماذا يكون الإنسان في مثل هذه المواجهة.

أما العشار فقد عَرَفَ نفسه واثقًا أنه خاطئ وضعيف وليس له أن يقف في الهيكل. ولكن احتياجه يدفعه وشعوره بالهلاك والضياع بعيدًا عن الله جعله يهرب إلى الله... إنه يتقدم بشعور المحتاج لا بشعور المستحق، لذلك وقف من بعيد كمن يتوسل ويستجدي.

الدالة على الله تكون قوية إذا كانت مصحوبة بالاتضاع لا بالكبرياء... بالبر الحقيقي لا بتزييف البر وتَصنُّع القداسة.

لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء:

هكذا كانت عيني العشار مُنكسرة في اتضاع عجيب، من الذي يرى هذا المنظر ولا يرق له!! إنه بوقفته هذه وعينيه الذابلتين قد استجلب المراحم الإلهية، صارت عينيه كعيني العبيد إلى أيدي مواليهم ومثل عيني الأمّة إلى يد سيدتها. يقول المُرنم: كذلك أعيننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا (مز ١٢٣ : ٢). قال الرب لعروس النشيد: "**حوِّلي عنِّي عينيكِ فإنهما قد غلبتاني**" (نش ٦: ٥).

بل قرع صدره قائلاً: اللَّهم ارحمني أنا الخاطئ:

ما أن تَسلَّمت الكنيسة من فم الرب هذا التعليم عن الصلاة حتى جعلته منهجًا للتوبة في كل مناسبة، فصار قرع الصدر والوقوف في خشوع وخفض النظر إلى أسفل... صار كل هذا يُسلّم من جيل إلى جيل كتعبير صادق للتوبة والرجوع والإحساس بوجع الخطية وطلب المراحم.

ففي صلاة الغروب تقول: "فما أجسر أن أنظر نحو السماء لكني أتكل على غِنى رحمتك ومحبتك للبشرية صارخًا قائلاً: اللَّهم اغفر لي أنا الخاطئ وارحمني"، وكذا في صلاة النوم نقول: "لكني أتخذ صورة العشار قارعًا صدري قائلاً: اللَّهُم ارحمني أنا الخاطئ". هنا تضع الكنيسة حركات توبة

العشار كأيقونة دائمة للوصول إلى وقفة صحيحة مقبولة. فأوضاع الجسد مقترنة مع خَلجات النفس كأن انسحقت النفس ولصقت بالتراب صار الجسد شريكًا ومُعبرًا عن حركات التوبة.

فدموع المرأة الخاطئة، وقُبلاتها التي لم تكف على قدمي المخلص، وارتماء الابن الراجع عند قدمي أبيه، وسجود سمعان في سفينته "**خرَّ عند ركبتي يسوع قائلاً: اخرُج من سفينتي يارب...**" (لو ٥: ٨)، إلى آخر هذه الأمور صادقة التعبير صارت أساسًا من أساسات العبادة المقبولة والمرضية لدى الرب إلهنا.

والكنيسة تضع أيضًا صلاة العشار في أفواهنا كل يوم لننال ذات التبرير إذا نطقناها بانسحاق العشار وشوقه للخلاص، ففي ذوكصولوجية الصوم المقدس نستعرض عينات التوبة والتذلل المقبول أمام الله، والذين نالوا نِعمة الخلاص بالصلاة المنسحقة مثل المرأة الخاطئة واللص اليمين وأهل نينوى. وفي مقدمة هؤلاء تجيء صلاة العشار فنقول: "اجعلني مثل العشار الذي أخطأ إليك وترأفت عليه وغفرت له خطاياه".

وفي ختام الثيؤطوكيات الآدام نقول: "فإن العشار اخترته

والزانية غَفَرت لها واللص اليمين يا سيدي ذَكرته".

وفي مديحة على إبصالية يوم الأحد نقول: "أصرخ بصوت العشار وأنا بوجه مطاطي... اللَّهُمَّ اغفر لي الأوزار فإني عبدك خاطي".

في القداس:

بل إن الكنيسة كلها وهى في قمة صلواتها في القداس تقف من الرب موقف العشار المغبوط. ففي نهاية القداس بعد صلوات القسمة حين ينادي الشماس قائلاً: "أحنوا رؤوسكم أمام الرب" أي قفوا مثل العشار الذي لم يشأ أن يَرفع عيْنيه نحو السماء ويُجاوبه الشعب قائلين: "أمامك يارب" فيقول الشماس: "انصتوا بخوف اللَّه"، وهنا يقرأ الكاهن التحاليل ويطلب الغُفران للشعب "الذين أحنوا رؤوسهم تحت يدك ارفعهم في السيرة وزيّنهم بالفضائل"، هنا نُدرِك أن الكنيسة تَرجمت الإنجيل المكتوب إلى حياة، وحوّلت حركات العشار إلى واقعٍ في حياة أبنائها واستلهمت كلمات التوبة عيْنها لكي تبلغ بها إلى برّ المسيح.

نزل إلى بيته مُبرّرًا:

"ما أبعد أحكامه عن الفحص وطُرقه عن الاستقصاء!

لأن من عرف فِكرَ الرب؟ أو من صار لـه مُشيرًا؟" (رو ١١ : ٣٣ - ٣٤). كما عَلت السموات عن الأرض هكذا عَلت طُرقي.

الفرّيسي في عيْن الناس ممدوح ومُمجّد، مَعروف ومَشهور بالتدقيق وحِفظ الناموس، مُميّز بين الجميع، يشيرون إليه في كل مكان كإنسان بار ومُتدين، ملابسه تُميزه، وشَكله وتَصرفاته الظاهرة، يُصلي قائمًا في زوايا الشوارع، يصوم مُعَبِسًا وجهه لكي يَنظُرُه الناس، يُعطي العشور بتدقيق بالغ حتى عيدان النعناع والشبث والكمون. وهكذا على العكس بحسب حُكم الناس ونظرتهم يكون العشار... مَكروهًا مُهانًا من الجميع معروف بخطاياه وظُلمه... إلخ.

هذه هى أحكام الناس، بحسب المظهر الخارجي... فإن صَلى الفريسي والحال هذه مَدَحه الناس على صلاته وقيامه وتدقيقه، وإن صَلى العشار انتقده الناس وظنوا أنه لا يمكن أن يكون مقبولاً لدى الله، ولكن الرب يَشهد في هذا المثل لصلاة العشار يَقْبَلها ويَتقبَّلها ويَتنفَّسها رائحة رضا وسرور بينما يرفض صلاة الفريسي فيخرج من لدن الرب صفر اليدين خالي.

هكذا فاز اللص بالفردوس وهو في آخر لحظة يلفظ أنفاسه محكومًا عليه من الناس كمذنب وفاعل شر، لكنه

صلى صلاة فَقُبِلَت وطلب إلى الرب المصلوب أن يَذْكُره في ملكوته فكان أول الداخلين إلى الفردوس. وها المرأة الخاطئة مَحكومًا عليها في المدينة كلها أنها خاطئة... صلت بدموع فسُمِعَت دقات قلبها المحترق، ونزلت من بيت الفريسي مغفورة الخطايا حاصلة على السلام. وها السامرية مشهورة في مدينتها أنها لها خمسة أزواج سابقة والذي معها ليس رجلها، جلست مع الرب عند بئر سوخار فعادت مبررة تَكرز بالمسيا مُخلّص العالم.

نزل العشار من الهيكل مبررًا من فم الرب، وإن كان في نظر الناس إنسان خاطئ، بينما نزل الفريسي راضيًا واثقًا في نفسه أنه بار وهو في نظر الرب مُرائي مَرفوض.

الذي سعى في إثر البر بطريقته الناموسية... سقط. والذي طلب الغفران بنفس منسحقة استحق أن يتمتع بالبر وكمل قول الرب: **"من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع"** (مت ٢٣ : ١٢).

{٥}
مثل الـزارع
(مت ١٣ : ١ ـ ٩)

"في ذلـك اليــوم خــرج يســوع مــن البيــت وجلــس عنــد البحــر، فــاجتمع إليــه جمــوعٌ كــثيرةٌ، حتــى إنــه دخــل السـفينة وجلـس. والجمــع كلــه وقــف علــى الشــاطئ. فكلَّمهــم كــثيرًا بأمثـالٍ قـائلاً: هـوذا الـزارع قـد خـرج ليـزرع، وفيمـا هـو يـزرع ســقط بعــضٌ علــى الطريــق، فجــاءت الطيــور وأكلتــه. وســقط آخـر علـى الأمـاكن المُحْجِـرَة، حيـث لم تكـن لـه تربـةٌ كـثيرةٌ، فنبــت حــالاً إذ لم يكــن لــه عمــق أرضٍ. ولكــن لمــا أشــرقت الشــمس احــترق، وإذ لم يكــن لــه أصــل جــفَّ. وســقط آخــر علــى الشــوك، فطلــع الشــوك وخنقــه. وســقط آخــر علــى الأرض الجيــدة فــأعطى ثمــرًا، بعــضٌ مئــةً وآخــر ســتين وآخــر ثلاثــين.

من له أُذنان للسمع، فليسمع" (مت ١٣ : ١ ـ ٩).

مثل الزارع

الكنيسة تقرأ إنجيل الزارع في الأحد الأول والثاني من شهر هاتور وهو موسم الزراعة في مصر، لتنقل ذهن الإنسان من العمل المادي إلى مستوى الروح ليعيش واقعه اليومي عندما كان يعمل بزراعة الأرض ليس بحسب الجسد ولكن بحسب الروح.

فالمسيح طلب من أجلنا – **"لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير"** (يو ١٧ : ١٥) - فليس المطلوب من الإنسان المسيحي أن يَهجر العالم أو يهرب من العالم، ولكن يعيش في العالم ليُقدِس العالم ويمارس الأعمال وبحياته الروحية يُقدِسها ويَنقِلها من مستوى التراب والمادة ليرتقي بها إلى مستوى الروح.

"فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا، فافعلوا

كـل شـيءٍ لمجـد اللّـه" (١كـو ١٠ : ٣١). الإنسـان المسـيحي لا يكـف عـن تحويـل الماديـات إلـى روحيـات، ولا يَكـف عن الارتقاء بالأمور الزمنية ليُدخلها دائرة الأبديات... وذلك بتقديس نفسه كل يوم وكل ساعة بالتوبة والصلاة القلبية والـدخول فـي شـركة روحيـة حقيقيـة مـع المسـيح فيتحقق قول الرسول: **"فأحيـا لا أنـا، بـل المسـيح يحيـا فيَّ"** (**غـل** ٢ : ٢٠)، فيُمـارِس أعمالـه اليوميـة لـيس بذاتـه وقدراتـه إذ يشـعر مـن أعماقـه أنـه لا شـيء... "أنـا مـا أنـا"... فـي حـين أنـه يُلقـي رجـاءه بالتمـام علـى النعمـة ويثـق أن المسيح عامل به وفيه فيقول: **"بـل نعمـة اللّـه الـتي معـي"** (١كو ١٥ : ١٠)، فمعروف أن الأكل والشرب والمباشرات اليومية والأعمال اليدوية والوظائف... كلها أفعال مادية والإنسان المسـيحي المُتَقـدِس بـالروح يُـدخِل فِعـل الصـلاة إلـى جميع أعمالـه فيُقَدِسـها... لأن كـل شـيء يَتقدس بكلمـة اللّه والصلاة.

ومن ناحية أخرى، يَشعُر الإنسان المسيحي في أعماله أنه يعمل كل شيء من أجل خاطر المسيح الذي أحبه وأسلم ذاته عنه، فهو يحيا للمسيح مديون محبته ويموت للمسيح... ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته... إن عشنا للرب

نعيش وإن متنا للرب نموت، إن عشنا وإن متنا فللرب نحن، أي أن كل شيء يفعله لأجل يسوع... حتى أخص الأعمال المادية من أكل وشرب... "من يأكل فللرب يأكل ويشكر اللّه... ومن لا يأكل فللرب لا يأكل لأنه يشكر اللّه".

هكذا تتقدس كل الأفعال، فهو إذ يمارسها بِروح الصلاة الدائمة... يجد نفسه مؤازَرًا من النِعمَة مَسنودًا بالأذرع الأبدية فينجح في كل ما يَعمله، وأولاً وأخيرًا يَنسِب الفضل للّه العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المَسرة.

هذا هو تدبير الكنيسة المُقدسة حينما تحوّل المناسبات الموسمية التي يعيشها الإنسان على الأرض لتجعل فكره وسيرته في السماويات "**فإن سيرتنا نحن هى في السماوات**" (في ٣ : ٢٠).

المثل:

هذا المثل من الأمثال التي فَسرها الرب بنفسه للتلاميذ وقال في مَعرِض حديثه إذ كان يُفسِر لهم المثل "**لكم قد أُعْطِيَ أن تعرفوا أسرار ملكوت اللّه**" (لو ٨ : ١٠). المثل إذن يحوي أسرار ملكوت اللّه، ولتلاميذ الرب الحق، كل الحق، أن يعرفوا ويدركوا هذه الأسرار

ويطَّلِعوا عليها بالروح ليدركوا الذي من أجله أدركهم المسيح.

الزرع هو كلام اللَّه:

كلمة اللَّه حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والمخاخ ومميِّزة أفكار القلب ونياته.

هذه هى طبيعة الكلمة قوية وحية ولها سلطان إلهي... خالقة ومبدعة.

واللَّه تكلم منذ البدء... كلَّم الآباء بالأنبياء قديمًا بطرق متنوعة وكلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه.

المسيح هو الكلمة الذاتي... الكائن في الحضن الأبوي كل حين... الذي به خُلق العالمين... العالم والمصنوعات خُلقت كلها بالكلمة... بكلمة فيه أُسست السماوات. "**في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند اللَّه...**" (يو ١ : ١)، الكلمة ليست مستحدثة ولا منفصلة عن اللَّه... المسيح كلمة اللَّه الأزلي الأبدي... ليس عنده تغيير ولا ظل دوران.

إذن كلمة اللَّه ليس فيها مواربة ولا مجاملة ولا تؤخذ على هوى الإنسان ليعلل نفسه بعلل في الخطايا. لذلك وِصفت بأنها سيف ذي حدين... وقيل للكارز أن يُفصِّل كلمة الحق بالاستقامة... بلا محاباة الوجوه وبلا شبه ظل دوران الذي

هو طبيعة الشيطان الذي يُغيِّر شكله بحسب الظروف ليخدم قصده السيئ الشرير.

كلمة الله تَحمل في طياتها ذات العمل الذي عملته في القديم "**قال الله ليكن نور، فكان نور... وفصل الله بين النور والظلمة**"، هنا فِعل الكلمة في الخلق وهو ذات فعلها في القلب، حينما تُشرق في القلب فإنها تُبدد الظُلمة ويشرق نور وجه يسوع المسيح "**الله الذي قال: أن يُشرِق نورٌ من ظُلمةٍ، هو الذي أشرق في قلوبنا، لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح**" (٢كو ٤ : ٦).

إذا اقتحمت الكلمة قلب الإنسان فلا وجود للظلمة فيما بعد، "أنتم الذين كنتم قبلاً ظُلمة أما الآن فنور في الرب".

الكلمة في الخليقة صَنعت مسرة الآب وأكملت مشيئته... فرأى الله كل ما عمله أنه حَسن جدًا، ولما سقط الإنسان وتغيَّرت هيئته وسقط في الغواية أعاد الله خَلق الإنسان بالكلمة - بالمسيح - عندما أخذ جسد الإنسان ومات به وقام وأكمل مشيئة الآب ومسرته في خلق الإنسان الجديد في نفسه "**أنا مجَّدتُك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمَل قد أكملته... أنا أظهرت اسمك للناس**" (يو ١٧ : ٤ ، ٦).

الكلمة تَعمل فينا مسرة الآب وتُكمِل مشيئته من جهة خلاصنا وتمتعنا بالميراث الذي دعينا إليه الذي لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل... الكلمة لا ترجع فارغة بل تعمل عملها...

لم تأتِ كلمة في القديم أو الجديد بمشيئة إنسان بل تكلم أُناس الله القديسون مَسوقين بالروح القدس... لا دخل لمشيئة الناس في الكلمة إذ هى مُرسلة من الله.

الله هو المتكلم وحده... لذلك قال الرب يسوع في تفسيره للمثل: الزارع الزرع الجيد هو ابن البشر. لقد أرسل تلاميذه يكرزون وينادون بالكلمة "**لأنه قد اقترب ملكوت السماوات...**" (مت ٣ : ٢)، وأعطاهم سُلطان الكلمة في أفواههم مؤيدًا ومؤازرًا الكلام بالآيات التابعة كقوة كلمة الله... ولكن بقى أن نُدرِك أن المسيح هو المُتكلم وهو الزارع وهو العامل في الزرع وهو الساقي وأخيرًا هو الذي يُنمي ويتعهد لأنه ساهر على كلمته ليُجرِيها.

المسيح يُعطي الكلمة في سخاء مطلق... يُلقي بذاره على الطريق والأرض المحجرة والأماكن التي ينبت فيها الشوك والأرض الجيدة على السواء... يُعطي فرح الخلاص وفاعلية الكلمة للجميع، لم يستنكف الرب يسوع أن يَدخل بيت

الفريسي رغم أنه يَعلم مسبقًا قلبه ودواخله، وأعطى له فرصة لعله يرجع وتحيا نفسه وتكلم الرب يسوع بكلمات الملكوت مع جميع الناس كهنة وفريسيين وكتبة، ومع الذين كانوا يعاندونه ومع الذين جاءوا يصطادونه بكلمة من فمه ومع الذين ألقوا عليه الأيادي ومع الخطاة والأثمة ومع العشارين والخطاة... مع الجميع جلس وتكلم وألقى بذار الملكوت.

رحلة البذار المزروعة:

لقد ألقى الرب ضوءًا شديدًا على موقف أصناف الناس من الكلمة المزروعة القادرة أن تُخلِص النفس.

فقال: إن الكلمة التي أُلقيت على الطريق جاءت طيور السماء وخطفتها... وقال الرب عن هؤلاء أنهم حينما يسمعون الكلمة يأتي إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم لئلا يؤمنوا فيَخْلُصوا... الشيطان يعرف قوة الكلمة وأثرها وامتدادها... لذلك فهو يحارب بكل قوته بِقصد أن يَحول دون وصول الكلمة أو تلامسها مع القلوب التي تملك عليها... هذا العمل خطير جدًا... هنا تكون الكلمة مسموعة بالأذن وكأنها لم تُسمع على الإطلاق... وقد تُفهم بالعقل ولكنها لا تَمس الروح ولا الوجدان لا من قريب ولا من بعيد. إن

الشيطان يَحرص كل الحِرص أن يضع هذا الحاجز الرهيب وكأن هناك بُعدًا شاسِعًا بين ما يسمعه الإنسان وبين واقع حياته... فلا هو قَبِل الكلمة ولا أُعطيت له فرصة للعمل بها...

قال الرب... إن إبليس ينزع الكلمة من قلوبهم كما تَخْطِف الطيور الحبوب المُلقاة على الطريق... هذا معناه النسيان المطلق لكلمة الحياة لا تخطر للإنسان على بال ولا يتذكرها ولا للحظة وكأن لا وجود للكلمة أي أن الإنسان يعيش حياته بدون كلمة الحياة أي يبقى في الموت.

ولكن هل من رجاء ؟!!

إن باب الرجاء في المسيح لا يوصد دون الإنسان إلى آخر نسمة... فالمسيح فاتح ذراعيه على الصليب بلا أدنى تحفظ وهو لا يسر بموت خاطئ ولا يشاء ذلك... بل يفرح برجوعه إليه، وهذه النوعية من القلوب التي شبهها الرب بالطريق في وسط الأرض الزراعية قد صارت هكذا بسبب المشي عليها. لقد ديست من كثيرين فاندكت تحت الأقدام وفقدت طبيعتها المسامية وفقدت كل ليونتها ورطوبتها ويبست تمامًا، هذا ما يحدث تمامًا لقلوب انفتحت على العالم فداستها

الأقدام أفسدت طبيعتها فلم تعد تناسب الكلمة ولا تستقر فيها بل يخطفها الشيطان في الحال.

لقد ركب هذا القلب إنكار من هنا ومن هناك... وجاز في هذا الطريق كل أقدام الشيطان من أهواء فاسدة وأطماع في العالميات... ومحبة للعالم وغرق في مباهجه وشهوة الجسد وتعظم المعيشة... لم يمنع أحد من المرور... لقد صار القلب مشاعًا وطريقًا لأي أحد لا تمييز ولا إفراز لقد تبلدت المشاعر تمامًا ومات الضمير واختفت الوصايا التي قالها الرب من القلب...

بداية التوبة:

إن بداية التوبة لمثل هؤلاء... هى وقفة حازمة مع النفس يقطع فيها الإنسان الطريق عن المرور... بكل قوة وجبروت... يسد المداخل والمخارج بكل استحكام قبل أن يبدأ في إصلاح الأرض... يغلق أبوابه بكل حكمة وفطنة لئلا يعود إلى ما كان عليه.

ولا يُخفى أن هذا الطريق كان يومًا ما جُزءًا من الأرض المنزرعة بذات الطبيعة وذات الإمكانيات... ولكن لكثرة ما انداس بالأقدام صارت له هذه الصلابة وعدم الليونة،

فالفرصة أمامه سانحة والإمكانية موجودة والطبيعة جيدة في أصلها.

معظم هؤلاء الناس كانت لهم قلوب طيبة ونفوس طيعة جدًا ربما لها ماضٍ من الثمر ومعاملات قديمة تشهد بجودتها وحيويتها.

الطريق الوحيد للرجوع هو إغلاق المنافذ، ثم تبدأ أعمال المحراث في تقليب الأرض من جديد... يزيل قشرة قساوتها وتفتيت كبريائها وتماسكها المميت، ويُعرّض أعماقها لشمس البر مرة أخرى ويسمح لمياه النعمة أن تتخلل جزئياتها وتعيد إليها ليونتها الأولى، حينئذ تلقى البذار فتتخلّلها وتَجد في عمقها بيئة طيبة للنمو فتثمر لحساب المسيح...

وكم من نفوس بعدما عاشت سيرة عالمية مُخيفة، وانفتحت على العالم بكل طاقاتها واستهلكها العالم بلا رحمة فصارت كأنها بلا إله وبلا كلمة حياة، ولكن في زمان الافتقاد رَجِعَت إلى الرب بقوة وأخصبت بكلمة الحياة وأنضجت للروح ثمر بر للسلام... والأمثلة على ذلك كثيرة أو قل أنها بلا حصر...، فحياة التائبين والتائبات في الكنيسة في عصورها القديمة والحديثة هى أكبر شهادة حية لعمل النعمة.

ضمان استمرار التوبة:

ولكن الركيزة الأولى للتوبة في حياة هؤلاء كانت الوقفة الأولى القاطعة من ناحية سد الثغرات ومنافذ العالم. لقد كان صدق النية في البداية هو ضمان التوبة إلى النهاية، فبعدما أغلقوا قلبهم من جهة الشر، قبلوه مرة أخرى. فأماكن الشر أو الرذيلة وأصدقاء السوء وكل ما يَنتسب إلى ذلك قطعوه بكل قوة، فها إحدى القديسات ترفض بعد أن خرجت من بيت الخطية أن تعود إليه حتى لأخذ ثيابها...

ولا شك أن تقليب الأرض حتى إلى باطنها وتكسير صلابتها استنفذ من القديسين جهدًا شاقًا واستلزم جِهادًا هذا مِقداره. وسهروا يَحرِسون أسوارهم حتى لا يطأ العدو قلبهم فيصيبهم بالبلادة الأولى.

ثانيًا: الأرض المُحجرة:

الذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح، وهؤلاء ليس لهم أصل فيؤمنون إلى حين، وفي وقت التجربة يرتدون. الشيطان يمنع المتشبهين بالطريق من أن تلمس الكلمة حياتهم فيؤمنون ليخلصوا، أما هنا

فقد كان نصيب البذار أوفر حظًا، ولكن بحسب الظاهر فالأرض تخفي تحت مظهرها الذي يبدو طيبًا قساوة حجر في قلبها يعوق حركة البذرة ويصد فعلها بقوة وقساوة...

المظهر هنا هو كل رأسمال هذه الأرض... حسب الظاهر... حسب عين الناس تبدو فيها ملامح الروحانيين... حسب التفاعل السريع والتلقائي تتجاوب مع الوصايا وتنفعل بانفعالات كأنها تبشر بالخير ووفرة المحصول. ولكن يا لخيبة الأمل فهؤلاء هم الذين شبههم المزمور "**مثل عُشب السطوح الذي ييبس قبل أن يُقطع. الذي لم يملأ الحاصِد منه يده، ولا الذي يجمع الغُمُور حِضْنَه** (مز ١٢٩ : ٦ ـ ٧).

قال الرب ليس لهم أصل... لا عمق... خطورة الحفاظ على المظهرية الكاذبة وطلب مديح الناس هى ضربة هذه الأرض... مظهر الوداعة وثياب الحملان يلبسونها فوق قلب الذئاب والافتراس، لهم مظهر الطهارة والعفة وفي الداخل كل نجاسة ونتن الكبرياء الذي هو أب الزنى... مظهر التعفف في الخارج ليخفي حقيقة قلب متدرب في الطمع... منظر العيون البسيطة شكل الحمام تخفي في الداخل عيون غربان في القلب لا تكف عن طلب الخطية... منظر النسك في الخارج وفي الداخل جشع ومحبة لكل خلاعة... تبدو

الظواهر مثل الصديقين وفي الداخل شر مَخفي... مظهر المحبة الروحية كرداء خارجي لقلب يَصنع خصومات ويَزرع الشر... مظهر الكلام اللين الطيب كأولاد الأفاعي الذين تَكلموا أمام الرب بالصالحات وهم أشرار... مظهر مسوح التوبة وحزن القديسين وفي الداخل مسرات الخطية والانحلال... وقس على ذلك في الكلام والتصرف والروح... ما أخطرها أحوال حينما تصبح هذه الملامح شائعة بيننا.

يؤمنون إلى حين؟!

إن الذي يَكشف أغوار هذه النفوس هى شمس التجارب وأتون الضيقات حينما تشرق الشمس مع الحر ييبس العشب ويفنى جمال منظره... في وقت التجربة يرتدون.

قال الرب عن الذي بنى بيته على السطح أنه لا يقوى على الأمطار حين تسقط ولا على الرياح حين تهب بل يسقط ويكون سقوطه عظيمًا.

الحياة الروحية ليست مظاهر خارجية ولا مباني ترتفع فوق السطح، الحياة الروحية هى عمق قبل كل شيء... كنز مخفي... أساس مبني على الصخر بعد الحفر والتعميق والوصول إلى المسيح في الأعماق الداخلية...

طريق التوبة:

التوبة لمثل هذه النفوس لا تحصل إلا بالمصارحة وكشف الريـــاء وزيـــف الحيـــاة ونبـــذ تمثيـــل دور القداســـة، مجرد إزاحـة القشرة الرقيقـة من التربـة يبدو الصـخر واضـحًا، هنا تكون مواجهة النفس بحقيقة حالها شـيء ضـروري للغايـة، وهذا يبدأ بنبذ المظاهر الكاذبة والدخول إلى العمق مع النفس لمواجهـة صـلابتها وقسوتها الداخليـة وأخطـر عقبـة لمثل هذه النفـوس هـى مـديح النـاس للمظهريـة وإطـراؤهم المسـتمر عليها... لأن الناس يحكمون دائمًا بحسب الظاهر.

فالذين يقبلون الكلمة بفرح وتظهر نبتات الكلمـة في سطح حيـاتهم بسرعة عجيبـة فينـالون مـديح النـاس ويلفتـون أنظـارهم بهـذا التقـدم الروحـي السـريع... هنـا خطـر التملـق والمداهنـة والأحكام السريعة...

اللَّه وحده فاحص القلوب ومُطَّلع على مكنونات الأسرار... الإنسان ينظر إلى العين أما الرب فينظر إلى القلب.

النفس الأمينة الراغبة في التوبة وإصـلاح سيرتها تبدأ بنـزع القشرة الخـارجيـة ورفضـها وجحـدها تمامًا، والابتعـاد عن كـلام النــاس وأحكـامهم وتملقهـم لهـا ومـديحهم إياهـا... ثـم تواجـه

الصخور المخيفة في داخلها بكل شجاعة لتكشفها. هذا يكون بالاعتراف الصريح... إظهار الصخور المخيفة هو الخطوة الأولى للتخلص منها... الشيطان يعمل بكل قوته في حروبه مع هذه النفوس أن يبقي الصخور مخفية في الداخل ويغريها أن تتغطى من الخارج برداء الروح وقشرة التربة الصالحة لكي يبدو منظرها حسنًا أمام الناس... هذا هو الرياء القاتل الذي حذر منه السيد الرب قائلاً: تحرزوا من خمير الفريسيين الذي هو رياؤهم.

لا سبيل إلى التوبة سوى كشف عيوب النفس الداخلية أمام أب حكيم مُلهَم من الله لكي يعمل مع هذه النفس بالنِعمة في تنقية الحجارة.

لقد قال الرب في نشيد الكرم (إش ٥ : ١): أنه نقبه ونقى حجارته. التنقيب أولاً ثم تنقية الحجارة...

الدخول إلى أعماق النفس أي التوبة بالصلاة القلبية ومواجهة النفس على حقيقتها ثم كشفها ووضعها عريانة في الاعتراف. يتبع ذلك التخلص من الحِجارة بإلقائها بعيدًا.

السيد المسيح قادر أن ينزع قلب الحجر ويعطي قلبًا لحميًا (حز ١١ : ١٩)، هنا عمل الله في الإنسان المُخلِص... هنا قدرة

التوبة على التغيير الجذري بعيدًا عن الرياء والتمثيل، التوبة في هذه الحالة تكون كأنها خليقة جديدة... أليست التوبة هى قوة فاعلية معموديتنا وإنساننا الجديد الذي أخذناه... التمتع بالتوبة وإصلاح الأرض الحجرية ورجوعها إلى خصبها وعمقها عمل جبار يضطلع به الروح القدس من حياة الكنيسة فيعينها كل يوم، ليس مستحيلاً أمام الله أن يقيم من الحجارة أولادًا لإبراهيم...

ثالثًا: الذي بين الشوك:

وسقط آخر في وسط الشوك... فنبت معه الشوك وخنقه... والذي سقط بين الشوك هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذاتها ولا ينضجون ثمرًا.

الشوك هو شوك الخطية... "**... شوكًا وحَسَكًا تُنبتُ لك**" (**تك ٣ : ١٨**) هذا ما سمعه الإنسان من فم الرب الإله إثر سقوط الإنسان من مرتبته الأولى بغواية العدو الشيطان.

الشوك هو إذن مخلفات الطبيعة القديمة وأجرة الخطية ونتاجها، المسيح جدد طبيعتنا وكسر شوكة الخطية بموته، ولكن مادمنا في الجسد فالفرصة موجودة لنمو الشوك في

أجود أرض...

المسيح المبارَك قال عن الشوك أنه هموم الحياة، غرور الغنى وشهوات سائر الأشياء. والقديس يوحنا الحبيب يقول: كل ما في العالم شهوة العيون وشهوة الغنى وتعظم المعيشة هذه ليست من الآب بل من العالم والعالم يمضي وكل شهوته.

وهذه الأمور قال عنها الرب أنها تخنق الكلمة فتصير بلا ثمر. ومن الأسف أن الكلمة تكون أوشكت على الإثمار أي اجتازت مراحل كثيرة وقاربت على النضج... وإذ بالشوك ينمو معها فيخنقها، والأمر الخطير والمخيف جدًا أن هذه النفوس تُعطي فرصة للنمو لكل من الكلمة والشوك في آن واحد... فالكلمة تنمو والشوك ينمو...

إنها ليست طريقًا فتخطف منها الكلمة طيور السماء.

وليست محجرة بلا عمق وبلا رطوبة. بل على العكس الكلمة تجد أرضًا كأنها جيدة... يسمعون الكلمة فتدخل إلى الأعماق وتجد مجالاً للعمل وللإخصاب وتجد فُرَصًا للنمو والازدهار.

الكلمة والوصايا وسير القديسين... القداسات والممارسات... التناول والاعتراف... الخوض في

الأمـور الروحيـة وحفـظ الآيـات والمناقشـات... والتعمـق فـي الدراسة والمقارنـات والحصول علـى الـدرجات... الحقائق الإيمانيـة ومواقـف الـدفاع والحـرص والتمسـك بالتقاليـد وفـرص الأصـوام والصـلوات والأعيـاد والتواجـد في الكنيسة والترائي أمام الله... التأمل وأقوال الآباء والكتابات إلـى آخـر هـذه الأمـور، كـل هـذا يمارسـه الإنسـان ويقتنـع بـه ويسـعى إليـه. والضـربة العظمـى أنـه بينمـا يـركض فـي هـذا الميـدان يحـرص أيضًـا أن يـركض فـي ميـدان العـالم بـذات المسـتوى... فمـن الوجـه الآخـر تجـد ذات الإنسـان مُنكبًـا علـى العالميـات ينهـل منهـا كـل يـوم والأمـور العالميـة تجـد لهـا مكانًـا فـي قلبـه وفـي عمقه.

فمسرات العـالم وملذاتـه وشـهوات الغنـى والطمـع والارتبـاك بـأمور المسـتقبل وهمـوم الحيـاة كلهـا أشـواك الخطيـة تنمـو بسـهولة فـي قلبـه وتجـد مجـالاً خصـبًا وتربـة صالحة.

فهـو روحـي فـي مجـال الـروحيين، وعـالمي أكثـر مـن العـالميين أنفسـهم فـي مجـال العـالميين، يجمـع النقيضـين فـي نفسه ويرعى مطالب الله والعالم ويحتفظ بالنور والظلمة ويُنمِّي

الشوك والكلمة في آن واحد، إنها ثنائية عجيبة حقًا وعرج بين الفرقتين...

أليس هذا هو واقع الكثيرين منا!!

انظر إلى ولائم المسيحيين والمعتبرين متدينين وخاضعين للكلمة... تأمل أفراحنا وحفلاتنا ووسائل تسليتنا... انظر إلى غرور الغنى والافتخار الباطل...

انظر عندما تفرخ الكبرياء والاعتداد بالذات والتجبر... انظر كيف تستحكم أشواك العداوة في قلوب الروحيين، لقد تركنا فُرَصًا للأشواك لتنمو وأهملناها بجهل فخنقت الكلمة فينا وقتلتها.

الشيطان هو زارع الشوك... هو زارع الزوان في وسط الحنطة... هو عدو كل بر وكل فضيلة.

النتيجة الحتمية والمُحزنة التي ذكرها الرب في هذا المثل عن هؤلاء أنهم لا ينضجون ثمرًا.

مع كثرة الممارسات والنشاط والوجود في الكنيسة أو الحصول على المتكآت الأولى... لكنهم لا ينضجون ثمرًا.

مثل أشجار خريفية... نجوم تائهة... أمواج بحر هائج. إن مثل هذه النفوس تسبب عثرة رهيبة لكثيرين حينما يشدهم منظرهم المورق أحيانًا فيقتربون إليهم ليطلبوا ثمرًا فلا

يجدون... تمامًا مثل التينة التي لعنها الرب فيبست من أصولها.

ثمر الروح في حياة هؤلاء ميت تمامًا لا وجود له على الإطلاق...؟!!

فلا محبة حقيقية ولا فرح روحاني ولا سلام إلهي يفوق العقل ولا لطف ولا وداعة ولا تعفف ولا طول أناة ولا صبر ولا احتمال ولا اتضاع ولا قداسة... لا شيء... لا شيء.

أن يعيش الإنسان كأنه يخدم سيدين هذا مستحيل... مستحيل... أن يتصور الإنسان أنه ممكن أن ينضج ثمر الروح وينضج أشواك الخطية... يمارس الحياة الروحية ويجاري الحياة العالمية في ذات الوقت هذا مستحيل... وتكون النتيجة المؤسفة أن كل تعب الإنسان الذي ظن أنه تعبه من أجل الله يصير باطلاً وكلا شيء.

إن توبة مثل هذه النفوس تتطلب أن يقف الإنسان كأنه على مفارق الطرق وعليه أن يحدد طريقه من جديد "ها أنا وضعت أمامك طريق الحياة وطريق الموت... اختر الحياة فتحيا"، إما للكلمة الإلهية واستيفاء مطالبها حتى تنضج ثمر الروح، وإما للعالم والشوك والنهاية معروفة للحريق.

إما للروح ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة

وسلام. وإما للجسد ومن يزرع للجسد فمن الجسد يحصد موتًا. مثل هذه النفوس تحتاج إلى روح إيليا ويوحنا المعمدان "إن كان الرب هو الله فاعبدوه... وإن كان البعل فاتبعوه". اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيدًا أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها رديًا".

ولكن جيد للإنسان أن يجلس ويحاسب نفسه في موسم الحصاد ماذا أنضج وماذا جمع خبزًا للأكل أو شيئًا من جهة إشباع البشرية... لأن النار ستمتحن عمل كل واحد...

أن يجلس الإنسان ويُراجع نفسه... سنوات هذا عددها وهو يأخذ زرع الكلمة... وأين الثمر؟

لقد طلع الشوك مع الكلمة فلم تنضج ثمرًا...

هيا بنا يا إخوة نقتلع الأشواك قبل فوات الأوان من حقولنا.

إن قلع الأشواك صعب وموجع ولكن لا مفر من ذلك لمن يريد أن يرضي الله ويثمر ثمرًا للحياة الأبدية.

قلع هموم العالم من القلب، وقلع أشواك غرور الغنى التي تتغذى عليها الذات وتتضخم، وقلع أشواك شهوات سائر الأشياء... ليس كل هذا بالأمر الهين. الجهاد الموضوع أمامنا عظيم. استنفد من آبائنا القديسين صبرًا كثيرًا.

هيا بنا نسهر ننقي أرضنا ونقتلع أشواك الخطية من جذورها... فنقتني لأنفسنا ميراثًا حسنًا ويكون لنا ثقة ولا نخجل من الرب عند مجيئه ليطلب ثمر كلمته فينا.

رابعًا: الأرض الجيدة:

وسقط آخر في الأرض الصالحة فلما نبت صنع ثمرًا مئة ضعف... والذي سقط في الأرض الجيدة هم الذين يسمعون الكلمة فيحفظونها في قلب جيد صالح ويثمرون بالصبر.

آه عندما تصادف كلمة الحياة قلبًا نقيًا طاهرًا، ما أعمق الأسرار، أمور لا يسوغ لإنسان أن يتحدث عنها. هذا هو فعل الكلمة هناك في الأعماق... بعيدًا عن عيون الناس، بعيدًا عن متناول اليد... في قدس أقداس القلب تستريح الكلمة وتستقر... ما أبعدها عن الفحص العقلي هناك تعطي الكلمة سر الحياة حينما تموت لتحيا... لأن حبة الحنطة إن لم تقع في الأرض وتمت لا تأتي بثمر ولكن إن ماتت تأتي بثمرٍ كثيرٍ.

هنا سر الحياة... سر البركة والنمو والتكاثر... وصراع البذرة في أعماق التربة... ما أرهبه عمل الكلمة في داخل القلب، وصفه القديس بولس الرسول هكذا قائلاً: "**لأن كلمة**

اللَّه حية وفعالة وأمضي من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميِّزة أفكار القلب ونياته". هذا العمل الإلهي العميق اختبره تمامًا الذين خبأوا كلام الحياة الأبدية في القلب ووفوا مطالبها وحفظوها.

أما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف.

هنا الكلمة تأتي بثمار الروح بلا عائق ولا مانع، فالمحبة، والفرح وكل ثمار الروح تأتي نتيجة طبيعية لاستقرار كلمة الحياة في القلب النقي، قال الرب للرسل الأطهار أنتم أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به، فحينما استقرت الكلمة فيهم وقبلوها داخلهم عملت فيهم عملها الإلهي، فصاروا أنقياء أطهار كثمرة لزرع الكلمة الإلهية.

ثم، الكلمة شهية جدًا، كثمر الفردوس قبل السقوط. تأمل كلمة سمعها القديس أنطونيوس فانغرست في قلبه الصالح. يا لعظمة ثمار حياة أنبا أنطونيوس، كم هى شهية ومختارة. إن نفوس كثيرة شبعت من هذه الثمار التي فاضت بوفرة منقطعة النظير.

تأمل فعل الكلمة في حياة الأبرار، كم صاروا أغنياء ويغنون كثيرين، كم جمعوا ثمرًا لحساب ملكوت المسيح مائة ضعف، ولكن كيف أنضجوا ثمرًا؟

⌖ بالصبر وطول الروح سهروا الليالي، صلوا بلا فتور وبلا ملل وبلا كلل.

⌖ صمدوا أمام التجارب... بل إن شمس التجارب كانت الوسيلة لنضج الثمر. لم يتذمروا في الضيق بل كانوا صابرين في الضيق كقول الرسول.

⌖ تأنوا وانتظروا بلا قلق وبلا هم متأكدين أن الرب هو الذي يُنمي، وكانوا كالفلاح الذي ينتظر ثمر الأرض بصبر كثير.

⌖ تميّزت حياتهم بالوعي والإفراز فلم يتركوا نبتة صغيرة للشر مهما كانت أو أثر للشوك في حياتهم، نبذوا البغضة والحقد وشبه الشر، وحتى الثوب المُدنّس من الجسد. وكانوا حريصين أن يقتنوا قلبهم في قداسة ولم يتوانوا عن قلع أشواك العالم وغروره من جذورها.

ثلاثين وستين ومائة:

لقد قسم الله لكل واحد نصيبًا من الإيمان، وكل واحد

بحسب قامته يُعطى، والله يقبل ويفرح بالكل.

ولسنا نجانب الصواب حين نقول أن ما جادت به الأرض الجيدة من ثمر تنوع في مقداره يُعزَى إلى ما يسمى بجهد الأرض، أي قدر استطاعتها أعطت. على أننا لا بد أن نؤكد أن الأرض التي أعطت الثلاثين هى أرض جيدة بحسب تقييم الرب لها بعينه الصالحة. وليس خفيًا أن الثمر يكون من ذات نوع البذار، فبذار الملكوت تعطي ثمارًا متكاثرة لحساب الملكوت.

فَمَن قَبل بذرة غفران الخطايا وتمتع بها وخبأها في قلب صالح وتعهدها بالسهر والصلاة، يُثمر أضعافًا مضاعفة من الغفران لحساب الملكوت، فيستطيع بالنعمة أن يغفر سبع مرات سبعين مرة إذ تكون البذرة قد أثرت حياته بهذه العطية.

وهكذا مَن قَبل إليه بذرة المحبة والطهارة والفرح الروحاني والسلام الفائق للعقل والتعفف والزهد في أباطيل العالم والصلاة والسهر والفضيلة والاتضاع والمسكنة بالروح وكلمة الحياة وروح الإيمان والرجاء إلى آخر هذه البذار الحية.

الثمر معناه امتداد الملكوت وإكثار عطايا المسيح.

الثمر يكون بمثابة الربح في الوزنات، أي الذي عنده وصايا المسيح ويحفظها بمحبة، تتكاثر كل يوم خيرات الروح

فـــي داخلـــه وتفـــيض. ولكـــن مـــن المعلـــوم أن الثمـــر ينضـج بحـرارة الشـمس لأيـام متواليـة، هنـا صـبر القديسـين، الـذين احتملـوا شـمس التجـارب وآلام وضـيقات وأحـزان كثيـرة، بصبر وطـول أنـاة حتـى أنضـجوا ثمـر الفضـائل الروحيـة بعـد سنين هذا عددها لم يتعجلوا الثمر ولا استثقلوا الصليب.

لذلك جاءت الثمرات في حياتهم نتيجة طبيعية لحياة جهاد وثبات في النعمة.

لذلك قال الرب: "**يثمرون بالصبر**" وقال الرسول بولس في رسالته إلى العبرانيين: "**لأنكم تحتاجون إلى الصبر**".

قـد يظـن الإنسـان أنـه يقتنـي الفضـائل فـي لحظـة، هـذا ضـرب مـن الخيـال، فـالثمر لا يُـدرك إلا بالجهـاد المتواصـل وتكميل السعي وحفظ الإيمان، لأن الثمر هو إكليل كل هذه الأعمال... والإكليل هو آخر تكميل الأعمال "**وأخيرًا وُضع ليّ إكليل البر**".

فمدح الثمر يكون في يوم الحصاد، وما أبعد الفرق بين من يمدحه الله ومن يمدحه الناس، اجتهدوا أن يكون مدحكم من الله.

{٦}
مثل المتكأ الأخير

فماذا رأى الرب في المدعوين الذين اختاروا المتكآت الأولى؟

رأى كيف تُترك شهوتهم في دواخلهم تدفعهم دفعًا إلى المتكآت الأولى.

كل واحد يزكي ذاته، يرى في نفسه أنه أحق بالمكان الأول والمكانة الأولى. قد يُمدح الإنسان من آخرين، وقد يتزكى من الناس، يقبل مديحهم وينتفخ بتزكياتهم ويغتر في ذاته ويتعظم، وهذا في عُرف الروح مرفوض، لأن ليس من يمدحه الناس هو المُزكى.

أما أن يُزكِي الإنسان ذاته ويشعر في نفسه أنه الأول والأكبر والأعظم، فهذا قمة الكبرياء التي هى أصل الشرور.

والرب يسوع لا يترك مناسبة يرد فيها الإنسان إلى طريق الحياة ويعيده إلى النور إلا وينتهزها وينطق بكلمات الحياة. لعل الإنسان يرجع عن طريقه الردية ويفيق من غفلته، إن كلمة المسيح حية وفعالة، تنبه وتصحح المسار، تدعو إلى الحق وتقود إليه، تجرح وتعصب في آن واحد.

فلم يرد الرب بهذا المثل أن يكشف أغوار هؤلاء المدعوين في تصرفهم بقدر ما أراد أن يقودهم إلى التوبة وإلى الشفاء الروحي من هذا المرض العضال.

اسمع ما قاله الرب:

⌖ "متى دُعيت من أحدٍ إلى عُرسٍ فلا تتكئ في المتكإ الأول، لعلَّ أكرم منك يكون قد دُعيَ منه. فيأتي الذي دعاك وإياه ويقول لك: أعطِ مكانًا لهذا. فحينئذٍ تبتدئ بخجلٍ تأخُذُ الموضع الأخير" (لو ١٤ : ٨ ـ ٩).

المسيح في وداعته يعاتب بلطف شديد وفي قدرته يخلّص كجبار فيقول: **"لعل أكرم منك يكون قد دعي منه".**

فهو لا يحط من قدر الإنسان بل بلطفه الشديد ينبه الذهن

إلى حقيقة واقعة ولكنه يقول ما معناه لعله يوجد من هو أكرم منك منزلة عند الذي دعاك.

فهو يضع هذه الحقيقة مبدئيًا كاحتمال قائم حتى إذا ما تفطن لها الذهن يبتدئ يتقدم في طريق الكمال.

فالواضح أن كلاً من المتكئين لم يكن يرى سوى ذاته. العين مركزة على الذات، فلا ترى ما عداها، يستطيع الإنسان أن يتعلم دروسًا نافعة إذا ما عبر مارًا بحياة الأكثرين الذين سبقوه. وسجل الكتاب المقدس تاريخ نجاحهم أو فشلهم على السواء، فيتتلمذ على أيدي الذي أرضوا الرب ويتحذر لنفسه آخذًا عبرة من حياة الآخرين. خذ مثلاً هامان الوزير المتغطرس في أيام أحشويروش الملك، حين سأله الملك قائلاً: **"ماذا يُعمَل لرجلٍ يُسَرُّ الملك بأن يُكرمه"** (أس ٦ : ٦) ففي الحال قال هامان في قلبه: من يُسَرُّ الملك بأن يُكرمه أكثر مني؟ وفي الحال إذ كان قد اغتر في نفسه وصار يدور في دائرة عبادة الذات البغيضة، نسج في فكره الداخلي كيف يُمجد ذاته بكل أنواع المجد، فقال للملك **"إن الرجل الذي يُسَرُّ الملك بأن يُكرمه يأتون باللِّباس السُّلطاني الذي يلبسه الملك، وبالفرس الذي يركبُهُ الملك، وبتاج المُلك الذي يُوضع على رأسِهِ، ويُدفع اللِّباس والفَرَس**

لرجل من رؤساء الملك الأشراف، ويُلبسُون الرجل الذي سُرَّ الملك بأن يُكرمه ويُركِّبونه على الفرس في ساحة المدينة، وينادون قُدَّامه: هكذا يُصنَع للرجل الذي يُسَرُّ الملك بأن يُكرمه" (أس ٦ : ٧ ـ ١٠).

"فقال الملك لهامان: أسرع وخُذ اللِّباس والفرس كما تكلَّمت، وافعل هكذا لمُردخاي اليهودي الجالس في باب المَلك، لا يسقط شيءٌ من جميع ما قُلتهُ..." (أس ٦ : ١٠).

أي خجل وأي حزن وأي هوة سحيقة انحدر إليها هامان في هذه اللحظات!!

ظن في نفسه أنه أعلى من الكل، واحتقر مردخاي وجهز له خشبة ليصلبه عليها في ذات اليوم، فانقلبت الدوائر عليه... حقًا إن قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح. وعلى العكس تمامًا تجد رجال الله القديسين يضعون أنفسهم دائمًا في آخر المتكآت إذا دعاهم الرب إلى وليمته وعرسه الحقيقي، أو دعاهم إلى شرف خدمته والتكلم بكلامه... أو دعاهم ليرسلهم فيكونوا معه وله... اسمع ماذا يقولون وكيف في إنكار الذات يعتذرون.

فها موسى رئيس الأنبياء يعتفي ويقول: **"لست أنا صاحب كلامٍ مُنذُ أمس ولا أول من أمس، ولا من حين كلمت عبدك،**

بل أنا ثقيل الفم واللسان" (خر ٤ : ١٠).

وقد رأى نفسه آخر الكل وليس مستحقًا لهذه الدعوة بل حسب أن أي أحد آخر يكون أكثر استحقاقًا. فقال للرب **"أرسل بيَدِ من تُرسِل"** (خر ٤ : ١٣).

وها إرميا النبي يعتذر في اتضاع للرب الذي دعاه فيقول: **"آه، يا سيِّدُ الرب، إني لا أعرف أن أتكلَّم لأني ولدٌ"** (إر ١ : ٦).

إنه يرى نفسه أنه صغير، ولا يرى ذاته متضخمة ومستحقة لهذه الإرسالية، وهذا المتكأ الأول، بل يرى أنه إن جاز له أن يتكئ ففي المتكأ الأخير... آخر الكل لأنه ولد.

وقد كان جواب الرب لإرميا النبي "لا تقل أني ولد" وقواه وآزره وكان الرب معه ومد يده ولمس فمه وقال له ها قد جعلت كلامي في فمك.

وقال: **"وكَّلتُكَ هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك، لتَقْلَعَ وتهدم وتُهلك وتَنقُض وتبني وتَغرس"** (إر ١: ١٠)، فكان لما اتضع إرميا واختار آخر المتكآت أن الرب رفعه وجعله في المتكأ الأول. وجعله كارزًا للشعوب.

وهكذا جدعون الذي صنع الرب به خلاصًا عندما قال له ملاك الرب **"الرب معك يا جبار البأس"**، أنه قال

في اتضاع عجيب **"أسألك يا سيدي، بماذا أُخلِّص إسرائيل؟ ها عشيرتي هى الذُّلَّى في منسَّى، وأنا الأصغَرُ في بيت أبي. فقال له الرب إني أكون معك"** (قض ٦ : ١٥ ـ ١٦).

والقديس يوحنا المعمدان عندما رأى في نفسه أنه غير مستحق أن ينحني ويحل سيور حذاء الرب، واختار لنفسه هذا المتكأ الأخير دعاه الرب إلى المتكأ الأول وجعله يضع يده عليه ويُعمِده في نهر الأردن.

وفوق الكل القديسة العذراء والدة الإله عندما أعلنت أنها أَمَة الرب بأعلى مقاييس الاتضاع رفعها الرب لتكون فوق السماوات وأعلى من الشاروبيم لأنها صارت أمه وعرشه وسماءه الجديدة.

وبولس الرسول، انظر كيف كان يدعو نفسه **"وآخر الكل - كأنه للسقط - ظهر لي أنا. لأني أصغر الرسل، أنا الذي لستُ أهلاً لأن أُدعَى رسولاً، لأني اضطهدتُ كنيسة اللَّه ..."** (١كو١٥ : ٨ – ١١) إلى آخر هذه الأوصاف التي تدل على الانسحاق الكامل وأنه لا يَحسب نفسه شيئًا وأن نفسه غير ثمينة عنده، هذا قد مجَّده الرب وشرَّفه بآيات

وعجائب وأصْعَده إلى السماء الثالثة وأراه أمورًا لا يسوغ لإنسان أن يتحدث عنها، وكما اختار لذاته المتكأ الأخير أجلسه الذي دعاه في المتكآت الأولى ومجَّده أمام جميع المتكئين في وليمة عرس عشاء الخروف.

ولكن ما هو سر المتكأ الأخير؟

إن النفس التي تسعى في اتضاع إلى المتكأ الأخير تحظى بمجدٍ لا يُنطق به إذ أنها تجد رب المجد يسوع ينتظرها هناك.

لقد اختار الرب يسوع هذا المتكأ بالذات وجلس فيه منتظرًا النفوس المتضعة ليكلِّلها هناك ويمجِّد اتضاعها ويرفعها.

ففي أيام تجسده مجَّد هذا المتكأ وجعله مَنهجًا روحيًا وسِلمًا منصوبة من الأرض للسماء.

فهو قد وُلِدَ في مزود، كآخر الكل، وقال أحدهم أنه تنازل عن آخر موضع في الفندق لآخر ورضيَ هو بالمزود.

وقال عن نفسه: **"للثعالب أوجرةٌ ولطيور السماء أوكارٌ، وأما ابن الإنسان فليس له أين يُسنِدُ رأسه"** (مت ٨ : ٢٠).

وعاش حياته على الأرض بعيدًا عن بيوت الملوك وقصور الرؤساء وحرير التنعم العالمي.

ورفض أن يجعلوه ملكًا وجاز في وسطهم ومضى وقال: مَجدًا من الناس لست أقبل.

وجلس يَغسِل أقدام تلاميذه ويُنشفها وقال: أنا بينكم كالذي يَخدم... **"ابن الإنسان لم يأتِ ليُخْدَم بل ليَخْدِم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"** (مت ٢٠ : ٢٨).

وأخيرًا قَبِلَ عار الصليب وارتضى بالخزي واستهان بالعار من أجل السرور الموضوع أمامه.

فهل يوجد متكأ أخير بعد هذا المتكأ؟

فمن يَطلب بعد هذا المتكآت الأولى فلا يكون تلميذًا ليسوع... "لأن ليس العبد أفضل من سيده ولا التلميذ أعظم من معلمه...".

هذا هو روح المسيح وهذا هو سر المتكأ الأخير الذي جعل الآباء القديسين يسعون في أثر خطواته ويرفضون المتكآت الأولى بإصرار حتى الموت.

فها القديس باخوميوس أب الشركة يهرب من درجة الكهنوت وكرامتها فيطوّبه القديس أثناسيوس الرسولي وترفعه الكنيسة إلى أعلى المراتب والمتكآت الأولى.

ويَشهد تاريخ الكنيسة أن كثيرًا من الآباء البطاركة

والأساقفة كانوا يهربون من هذه الكرامة العظمى ويَرون أنفسهم غير مستحقين. فكانوا يأتون بهم مقيدين بسلاسل ويرسمونهم قَسرًا رغمًا عن إرادتهم وهم يزرفون دموع الاتضاع وعدم الاستحقاق وكان الرب يرفعهم في زمان الافتقاد ويظهر مَجده في ضعفهم.

قال القديس ماراسحق: أن من يَجري وراء الكرامة تَهرب منه، ومن يهرب منها بمعرفة تتبعه وترشد الكثيرين إليه.

ماذا بعدما يختار الإنسان المتكأ الأخير؟

يأتي الذي دعاك ويقول لك يا صاحب ارتفع إلى فوق فيكون لك مجدًا أمام المتكئين معك. شتان بين من يُمجّده الناس أو يمجِّد نفسه أمام الناس وبين من يرفعه الله ويمجِّده أمام المتكئين معه.

إن الرب يسوع سوف يُمجِد قديسيه في المحفل السماوي عندما يأتي في مجيئه الثاني المخوف وجميع الملائكة القديسين معه، متى جاء ليتعجب منه في المجد سوف يُكَلِّل قديسيه بالكرامة، الذين احتملوا من أجله،

الذين حملوا الصليب وطافوا في جلود غنم وجلود ماعز مَكروبين مُذلين وسكنوا الجبال والمغاير وشقوق الأرض محبة في الملك المسيح، الذين لم يكن العالم مُستحقًا لهم.

الذين لم ينكروه بل اعترفوا به وأحبوه وحفظوا وصاياه وصاروا كغرباء عن العالم واتخذوا المتكأ الأخير بكامل إرادتهم وارتضوا بالضيق وصبروا على الآلام... الخ.

سوف يعترف بهم ابن الإنسان أمام ملائكة الله.

وعِوض الأتعاب والضيقات في هذا العالم وعِوض ما عاشوا مجهولين من الناس سيُمَجَدون أمام الملائكة وربوات القديسين.

"لأن كل من يرفع نفسه يتَّضع ومَنْ يضع نفسه يرتفع" (لو ١٤: ١١).

هكذا قال ربنا في ختام المثل ليقود نفوسنا في دروب الاتضاع بالإرادة لكي يرفعنا بالنعمة ويمتعنا بمعيته إلى أبد الأبد. آمين.

المدعوون إلى العشاء:

قال الرب وهو في بيت الفريسي للذي دعاه: **"إذا صنعت غداءً أو عشاءً فلا تدعُ أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء، لئلا يدعوك هم أيضًا"** (لو ١٤: ١٢).

المتكأ الأخير (لو ١٤ : ٧):

"وقال للمدعوين مثلاً، وهو يُلاحظ كيف اختاروا المتكآت الأولى قائلاً لهم...".

يجب أن ننتبه أولاً أن ربنا يسوع قائم في كل مكان يلاحظ تصرفاتنا ويرصد حركاتنا، إذ ليس شيء يُخفى عليه، بل عيناه تجولان في كل الأرض، وكل أعمالنا مكشوفة وظاهرة. بل إن ما نظن أنه يَجري في الخفاء مُعلن أمامه لأن عيناه تخترقان أستار الظلام.

فيا ليتنا نفطن إلى وجود يسوع بحاستنا الروحية، ونعمل حسابًا لكونه يلاحظ تصرفنا، فنتصرف كما يليق بوجوده، وكما يحق للدعوة التي دُعينا إليها إذ إننا مدعوون لا إلى عرس أو حفل من هذا العالم بل إلى عرس أبدي وفرح لا يزول.

ولتعلم يقينًا أن عينا الرب يسوع تلاحظان حركتنا الباطنية

قبـل أن ترصـد تصـرفاتنا الخارجيـة، فسـريرتنا وقصـدنا ونيتنـا التي تخفى على الناس غير خافية عليه.

{٧}

مثل وكيل الظلم

(لو ١٦ : ١ ـ ٩)

"وقال أيضًا لتلاميذه: كان إنسانٌ غنيٌّ له وكيلٌ، فَوُشِيَ به إليه بأنه يُبذِّر أمواله. فدعاه وقال له: ما هذا الذي أسمعُ عنك؟ أعطِ حساب وكالتك لأنك لا تَقْدِرُ أن تكون وكيلاً بعد. فقال الوكيل في نفسه: ماذا أفعل؟ لأن سيدي يأخذ مني الوكالة. لست أستطيع أن أَنْقُبَ، واستحي أن أستَعطِي. قد عَلِمْتُ ماذا أفعل، حتى إذا عُزِلْتُ عن الوكالة يقبلوني في بيوتهم. فدعا كل واحد من مديوني سيده، وقال للأول: كم عليك لسيدي؟ فقال: مئة بثِّ زيتٍ. فقال له: خذ صكَّك واجلس عاجلاً واكتب خمسين. ثم قال لآخر: وأنت كم عليك؟ فقال: مئة كُرِّ قمحٍ. فقال له: خُذ صكَّك واكتب ثمانين. فمدح السَّيِّد وكيل الظُّلم إذ بحكمةٍ فعل، لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم. وأنا أقول لكم: اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم، حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المَظَالِّ الأبدية" (لو ١٦ : ١ - ٩).

لنعط الكلمة مكانًا:

للكلمة الإلهية سُلطان قوي ونور جبار عندما يُلقي شعاعه يكشف مستورات ويُعلِن أسرار ما أبعدها عن الفحص.

ونحن هنا أمام كلمة المسيح قالها بمثل ليَفتح بها عيون العميان ويُرسل بها المسحوقين إلى الحرية ويُنادي بها للمأسورين بالعتق، وحالما تدخل النفس إلى سِر الكلمة المكتوبة أو بالحري تدخل الكلمة إلى أعماق النفس فإنها تعمل عملها ولا ترجع فارغة. كثيرًا ما نُفكِر في هذا المثل بطريقة عقلانية تدخلنا إلى متاهة الأسئلة الكثيرة والردود الكثيرة ولكن هذا يحرمنا من أن تمس الكلمة بفعلها العجيب واقع حياتنا أو تحرك قلبنا الساكن... فعندما نناقش ونفكر عقليًا في الكلمة تحرم قلوبنا من حركات الروح إذ نكون أغلقنا على أنفسنا في دوائر مماحكات الكلام.

لنعطِ الكلمة مكانًا في القلب وننفعل بها ولنترك نور الكلمة يتخلل ظلمة عقلنا وينير بصيرتنا حينئذ نجاهد أن نصلح طريقنا المعوج ونتغير عن شكلنا بحسب ما تقتضيه مطالب كلمة الحياة.

كان إنسان غني له وكيل:

هذه البداية تدخلنا للحال إلى أن ندرك واقعًا طالما غاب عن الإنسان فانحرف إلى متاهات ومسالك معوجة... ترى

هل تيقن الإنسان أنه فعلاً لا يملك شيئًا في ذاته وأن كل ما أؤتمن عليه في حياته هو مجرد وكالة؟!! وإذا كان ذلك كذلك فهل دخلت هذه الحقيقة إلى صميم الحياة اليومية والسلوك والتصرفات.

إن معرفة الحقيقة شيء ولكن تطبيقها في الحياة شيء آخر، أن جميع الناس... أبرار وأشرار، حكماء وجهلاء... يعرفون زوال هذا العالم، ويعرفون حق المعرفة أنهم راحلون عن هذا العالم. ولكن هذه مجرد معرفة عقلية... ولكنها لا تمس واقع الحياة... فالذين نراهم يرتمون في أحضان العالم والذين يغرقون في شهوات الجسد، والذين يترنحون سَكارى من خمار هذا العالم وغرور الغِنى والكبرياء والذين أسلموا ذواتهم للحقد والضغينة وكل أنواع الخطايا ترى هل غابت عنهم حقيقة زوال العالم؟!

لا لم تغب الحقيقة... إنهم يعرفونها بعقولهم ولكن قلما أفسحوا لها مجالاً لتعيش فيهم فتصلح شيئًا من حياتهم، إن المعرفة العقلية لا تُغيِر من الواقع شيئًا ولا تستطيع ذلك، لأنها بلا قوة... كلمات تبقى في الذاكرة يتذكرها الإنسان في بعض المناسبات ولكنه يعيش بعيدًا عنها أو هى تعيش بعيدًا جدًا لا مكان لها في قلبه ولا أثر لها في

تصرفاته.

ولكن تبقى الحقيقة التي أعلنها السيد المسيح ثابتة تزول دونها السماء والأرض.

إنني بمثابة وكيل فقط!!!

اللَّه الغني في المواهب السخي في العطاء والكريم في التوزيع أعطى البعض أن يكونوا رُسلاً والبعض أنبياء ومعلمين والبعض رعاة ومدبرين وأعطى البعض مواهب شفاء والبعض عمل قوات... وبقى هو صاحب الكل، جميع الذين أرضوا الرب وكانوا أُمناء على المواهب... بقوا كل أيام حياتهم يسلكون مسلك الوكيل الأمين الذي يَنسب للَّه كل خير وبقى اللَّه في حياتهم مالكًا للكل، وكانوا يقولون دائمًا "**لنا هذا الكَنز في أوانٍ خزفيةٍ، ليكون فَضل القوة للَّـه لا منَّا**" (٢كو ٤ : ٧).

وكان لسان حالهم "**فمن هو بولس؟ ومن هو أبلوس؟ بل خادمان آمنتم بواسطتهما، وكما أعطى الرب لكل واحد: أنا غرست وأبلوس سقى، لكن اللَّـه كان ينمي. إذًا ليس الغارس شيئًا ولا الساقي، بل اللَّـه الذي يُنمي**" (١كو٣ : ٥ ـ ٧).

وكانوا يثقون دائمًا أنهم صاروا مجرد وكلاء على نعمة

الله المتنوعة، وكانوا بأرواحهم يدركون تمامًا أنه يسأل في الوكلاء أن يكون الوكيل أمينًا.

فإن كان يُقال هكذا عن المواهب الروحية فكم بالأولى يُقال عن العطايا في أيام غربة هذا العالم النعمة الإلهية الغالية. أقام الرب عليها وكلاء ووزعها وأجزلها بكل حكمة وفطنة، فالفضائل في حياة القديسين معتبرة وزنات ائتمنهم الرب عليها، وهكذا يبدو واضحًا وبجلاء شديد أن الأمور الأقل نفعًا التي كلها للاستعمال المؤقت والموضوعة لزمان قليل تُحسب هى أيضًا وكالة يَأتمن الرب عليها من يَحسبه أمينًا بحسب تدبيره الإلهي.

فما من عَطية روحية كانت أو مادية إلا وأعطاها الرب للإنسان ليكون وكيلاً عليها.

ألم تكن البداية في الخلق أن يكون الإنسان على صورته ومثاله... يَحمل سلِطانًا على الخليقة لا بذاته ولكن لكونه وكيلاً يحمل صورة سلطان خالق الكل، حقًا إن كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى نازلة من فوق من عند أبي الأنوار.

تُرى ماذا لو تأمل الإنسان هذه الحقيقة وأخضع قلبه وفكره لها وجعلها دستورًا لمعاملاته مع الله

والناس؟!!

أين الافتخار إذن... سيبطل.

أين الذات المتكبرة التي تَسلب كل شيء ليؤول لها لتتمجد به كأنها هى مصدره...؟ ستتكشف حيل الذات وهي متلبسة بسرقة الوكالة لتكون لخدمتها ولحسابها. أين الطمع والغش والخداع والرياء... وكل رذيلة سينظر الإنسان إلى نفسه بنظرة واقعية... عارفًا قدر نفسه حتى إذا استؤمن على كثير فإنه سيُطالب بالأكثر أو حتى إذ استؤمن على ما لم يُؤتمن عليه غيره فليس له فضل في ذاته.

سيَرجِع الفضل كله والمجد كله للذي له المجد والغِنى والعظمة والسلطان.

آه لو أفاق الإنسان إلى حقيقة الوقوف يومًا بين يدي سيده؟ آه لو علم الإنسان أنه سيُعطي حسابًا عن وكالته يومًا؟ وأن كل ما يملك أو يقتني وما يظنه أنه له هو ليس له!!

فوشى إليه أنه يُبذر أمواله!

إن سيرتنا التي نظن أحيانًا أنه لا يعرفها أحد... وأمورنا غير المنظورة للناس... معلومة عنده ومعروفة حتى مكنونات الأسرار وخواطر القلب ونياته... إذ ليس شيء خفي بل الكل مكشوف وعُريان أمام ذلك

الذي بيده أمرنا. حقًا ليس خفي إلا ويظهر وليس مكتوم إلا ويُستعلن والذي يقال في الأذن في المخادع الأرضية يُنادى به على السطوح في السماء. إن الملائكة الموكلون بحراستنا... كحُراس للمقادس إذ نحن محسوبون كهياكل الله... يُصعِدون سيرتنا إلى فوق كل حين.

هذا الوكيل بلغ عنه إلى مسامع رب العمل أنه يُبذِّر أمواله ويُبدد مواهبه... كمثل الابن الذي ذهب إلى الكورة البعيدة وبذَّر أمواله بعيش مسرف وحسب أنها مِلكه وهو حر التصرف فيها في حين أنه كان هو وأمواله مِلكًا للأب.

عندما نسى الإنسان كونه وكيلاً يُبدد ويُبذِّر ويتصرف باستهتار، في هذا يكون الوكيل قد أسقط وجود سيده من الحساب، كأنه لا وجود للسيد. هذا ما نراه في أناس يتصرفون كأنهم في غيبة من وجود الله المالئ كل الزمان والمكان.

الوكيل الأمين يربح ويكسب ويُنمي المواهب المعطاة له من الله، أما الظالم فهو يُبذِّر ويُبدد ولا يُبالي بأموال سيده، والرب في جميع الأحوال يرى ويسمع ويكتب

في سفر تذكرة ويطالب في حينه... إنه يتمهل كثيرًا ولكن لا يُهمِل.

فدعاه: ماذا هل يَملك الوكيل إلا الطاعة للدعوة؟

حين يدعوه السيد فلا مفر من المثول أمامه!! يا لفرح الوكيل الأمين عندما يقف أمام سيده يرفع وجهه لأجل أمانته فإن سيده يُقيمه على جميع أمواله، لقد اختاره السيد وعيَّنه... وقد أثبت الوكيل بتصرفه الحسن أنه جدير بالاختيار. ولكن يا لحزن الوكيل الظالم مُبذِّر الأموال ومبدد العطايا والمواهب حين يقف بخزي أمام سيده يستد الفم فلا يستطيع الكلام... يُغطيه الخجل فيقول للجبال اسقطي عليَّ وللآكام غطيني... نعم مُخيف هو الوقوع بين يدي اللَّه الحي.

أعطِ حساب وكالتك لأنك لا تقدر أن تكون وكيلاً بعد:

كم من وكلاء أُخذت منهم الوكالة ولم يقدروا أن يكونوا وكلاء بعد؟ كم من الذين استؤمنوا على مواهب الروح... نُزعت عنهم الوكالة. وكم من أمثال في العالم كانوا وكلاء على الكثير والكثير جدًا من غِنى وأموال ومراكز وسلطان

وقوة وشباب وجبروت... وظنوا أنهم ملكوا ناصية الأمور... عُزلوا عن الوكالة في لحظة من الزمن... لم يُوجدوا أمناء في مال السيد.

من جهة أخرى فإن مدة الوكالة على الأرض لا تدوم فالكراسي يتخلف عليها الخلف بعد السلف... الواحد بعد الآخر إنها مدة قصيرة يكون فيها الإنسان وكيلاً في الموقع الذي حدده له السيد... ولا بد أن يأتي الوقت ليتولى وكيل آخر.

لقد تمنيت يومًا لقطعة من الأرض أن تتكلم فتحكي قصتها مع الإنسان... كم واحد امتلكها لنفسه وكم من أفراح بسبب ملكيتها وكم نزاعات قامت عليها وكم من محاكم وقصص وروايات... ألوف ألوف من الناس وأجيال أجيال... وكلهم رحل وظلت قطعة الأرض في مكانها... إنها مأساة أن يظن الإنسان أنه يمتلك... وما يُقال عن الأرض يقال عن باقي الملكيات والمقتنيات والمراكز التي في العالم... سل أحد الكراسي التي جلس عليها رؤساء هذا العالم والقواد الذين أخضعوا الشعوب والبلدان... لقد كانت وكالتهم إلى زمان... بعدها عُزلوا عن الوكالة ليجلس غيرهم... وهكذا أنه وكيل مؤقت أما الملكية الحقيقية فهي لمالك الكل وضابط الكل

وحده.

هل تَفكرت أيها الإنسان الزائل في قضاء مدة وكالتك... في يوم... بل في لحظة من الزمان يدعو السيد وكيله فيُلبي نداءه... يترك الكل ليتراءى أمامه ليعطي حساب وكالته.

تصرف الوكيل الظالم:

فقال الوكيل في نفسه ماذا أفعل لأن سيدي يأخذ مني الوكالة؟ تفكر الوكيل غير الأمين في نفسه، وحاول جاهدًا تأمين مستقبله ولو بطرق الظلم والغش التي تعودها في حياته.

لقد أحس في لحظة أنه مُقبل على النهاية وأنه مُنحَدِر إلى الضياع فهرع يعمَل بكل طاقته لإنقاذ ما يُمكن انقاذه. إنها نظرة للمستقبل ما بعد العزل من الوكالة.

إن كان قد صار هكذا مع وكيل ظالم... أفلا يجدر بنا أن نخلد إلى نفوسنا نواجهها بهذا السؤال الحرج... ماذا أفعل لأن سيدي يأخذ مني الوكالة؟

عاد الوكيل إلى أعمال الظُّلم وتبديد أموال سيده... فدعا المدينين لسيده وخفَّض لهم قيمة مديونياتهم لسيده، فالمديون

بمئة مكيال زيت مزّق صك دينه واستكتبه إيصالاً آخر بخمسين، وقال لآخر كم عليك لسيدي؟ فقال مئة كر قمح فقال له: خذ صكك واكتب ثمانين.

لقد اقتنى له أصدقاء بهذه الطريقة الظالمة والغاشة ... حتى متى عُزِل من الوكالة يقبلونه في بيوتهم ليجد مكان راحة يأوى إليه ونفوس تستقبله وتريح نفسه المثقلة، لقد عَرف أن يَعمل حِساب المستقبل وهو في عمق شره وخطاياه فصنع لنفسه بيوتًا وأصدقاء.

فمدح السيد هذا التصرف الحكيم من جهة النظر إلى ما هو قدام... إن هذا الوكيل محسوب من أبناء هذا الدهر... أبناء ظلمة العالم وروح الظلمة العامل في أبناء المعصية...

حقًا كم صار أهل العالم حكماء... يخططون للمستقبل البعيد ويعملون الحسابات لسنوات قادمة... وما أحوج بني النور اليوم إلى مثل هذه الحكمة التي بها يتبصرون ويتفكرون في المستقبل الأبدي وموقفهم متى عُزِلوا عن الوكالة وانتهت أيام خدمتهم على الأرض.

خذ صكك واجلس عاجلاً:

هكذا قال وكيل الظلم "**اجلس عاجلاً...**" لا وقت للضياع، الوقت منذ الآن مُقصّر والأيام شريرة... فإن لم يُعمل حساب المستقبل، وبسرعة، فقد لا يجد زمانًا آخر يكون موجودًا في مركزه ووكالته، ألا يُجدر بنا أن ننتبه بالأكثر إلى عنصر الوقت لئلا نخسر جعالتنا.

قال بولس الرسول: عظوا أنفسكم كل يوم، مادام الوقت يُدعى اليوم، وقال أحدهم أن نفوسًا كثيرة في الجحيم تتمنى لو تعود إلى الأرض ولو دقائق معدودة تُقدم فيها توبة ولكن قد مضى الزمان، وعُزلوا عن الوكالة قبل أن يعملوا حسابًا لمستقبلهم... إن وكيل الظلم لم يُهمل... بل بنشاط استدعى المديونين وقال لكل منهم اجلس عاجلاً... يا للحكمة ويا لسرعة التصرف إنقاذًا للنفس، فإن مدح هذا التصرف في وكيل الظلم فكم يمدح تصرفنا في السماء إن افتدينا الوقت.

"**فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق، لا كجهلاء بل كحكماء، مُفتدين الوقت**" (أف ٥ : ١٥).

مسكين "فيلكس الوالي" حين نخس بكلام الحياة والتعفف قال للقديس بولس الرسول وهو مرتعب: "اذهب الآن ومتى حصلت على وقت أستدعيك"، ولكن للأسف لم يحصل على

وقت آخر وخسر نفسه.

من هم الأصدقاء في المظال الأبدية؟

لقد طالبنا الرب قائلاً: اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذ فنيتم (من هذا العالم) يقبلونكم في المظال الأبدية، تُرى من هم الأصدقاء في المظال الأبدية؟ وكيف يقتنيهم الإنسان...

ربما كان هؤلاء الأصدقاء هم إخوة الرب بيننا... الفقراء والمحتاجين والمتعبين... الذين يشفعون فينا أمام الديان حيث تفتخر الرحمة على الحكم...

تأمل كيف وقفن الأرامل يشفعن لدى بطرس الرسول في لُدَّة ويرينه الأقمصة وشغل اليدين دليل عمل الرحمة التي كانت تعمله طابيثا... على هذا المثال يكون في السماء أصدقاء المظال الأبدية يفسحون أماكن الراحة للنفوس التي صنعت الرحمة أفضل من الذبائح، بل كانوا يعملونها كمن يقدم ذبيحة لله **"ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع، لأنه بذبائح مثل هذه يُسرُّ اللَّه"** (عب ١٣ : ١٦).

⊕ وربما كان أصدقاؤنا في المظال الأبدية هم النفوس التي يقتنيها الإنسان ويربحها للمسيح بالتعب والسهر والكرازة

والصلاة... هؤلاء سيكونون سندًا في السماء حيث يقال **"ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم اللَّه"** (عب ٢ : ١٣).

⌖ وربما كان أصدقاؤنا في المظال الأبدية هم القديسون الذين صارت بينهم وبيننا دالة ونحن بعد على الأرض وتوددنا لهم وصاروا قريبين إلى قلبنا كما صرنا محبوبين لديهم... فمتى خلعنا جسد بشريتنا وانطلقنا إلى المظال الأبدية يتلقوننا بالفرح ويقبلوننا في الأحضان الأبوية، حضن إبراهيم وإسحق ويعقوب.

لماذا دعاه السيد الرب "مال الظلم" قائلاً: "اعملوا لكم أصدقاء بمال الظلم؟".

إننا لا نملك شيئًا حقيقة **"لأننا لم ندخل العالم بشيءٍ، وواضحٌ أننا لا نقدر أن نَخْرج منه بشيءٍ"** (١تي ٦ : ٧). وكما قال أيوب الصديق **"عُريانًا خرجتُ من بطن أُمي، وعُريانًا أعودُ إلى هُناك"** (أي ١ : ٢١). فكل ما هو في حوزتنا من أموال ومقتنيات مادية ومعنوية وأدبية... هو ليس لنا وإن كان ينسب إلينا بل هو للاستعمال إلى حين... أما ملكيته المطلقة فهي لمالك الكل وضابط الكل.

فحين نُعطي أو نوزع فإنما نوزع ليس مما لنا لأننا دخلنا

إلى العالم عُراة لا نملك شيئًا على الإطلاق... حتى الأقمطة التي قمطونا بها ونحن أطفال لم تكن ملكنا... دخلنا العالم عراة من كل شيء عادمين القوة والقدرة والمعرفة... ثم أعطونا فصار لنا، والواقع أنهم أعاروننا فصرنا كأننا نملك ونقدر.

فإن أعطينا آخرين أو زرعنا بسخاء فإننا نكون كمن يتصرف في مال غيره... كمن يأخذ من سيده ليعطي، لذلك فإننا عندما نصلي في الكنيسة مقدمين لله قرابيننا نقول "قرابينك مما لك" وهذا صدق.

وقد وعى الآباء القديسون هذه الحقيقة فها داود النبي عندما صلى وبارك الرب أمام كل جماعة بني إسرائيل وهو يُقرِّب إلى الله تقدمة الشعب لبناء الهيكل... يعلن أنه كل شيء من يد الله وهو يقدم له "**من يدك أعطيناك**" (١أخ ٢٩ : ١٤).

نحن نضع صلاة داود النبي هذه كنموذج كامل لروح العطاء مع الفهم الكامل والإدراك الروحاني مع الصلاة المصاحبة للعطاء، "**وبارك داود الرب أمام كل الجماعة، وقال داود: مُباركٌ أنت أيها الرب إله إسرائيل أبينا من الأزل وإلى الأبد. لك يارب العظمة والجبروت والجلال والبهاء**

والمجد، لأن لك كل ما في السماء والأرض. لك يارب المُلك، وقد ارتفعت رأسًا على الجميع. والغنى والكرامة من لَدُنك، وأنت تتسلَّط على الجميع، وبيدك القوة والجبروت، وبيدك تعظيم وتشديد الجميع. والآن، يا إلهنا نحمدك ونسبِّح اسمك الجليل. ولكن مَنْ أنا، ومن هو شعبي حتى نستطيع أن ننتدب هكذا؟ لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك. لأننا نحن غُرباء أمامك، ونُزلاء مثل كل آبائنا. أيامنا كالظل على الأرض وليس رجاءٌ. أيها الرب إلهنا، كل هذه الثروة التي هيَّأناها لنبني لك بيتًا لاسم قُدسك، إنما هي من يدك، ولك الكل. وقد عَلِمْتُ يا إلهي أنك أنت تمتحن القلوب وتُسرُّ بالاستقامة. أنا باستقامة قلبي انتدبت بكل هذه، والآن شعبُك الموجود هنا رأيته بفرحٍ ينتدب لك. يارب إله إبراهيم وإسحاق وإسرائيل آبائنا، احفظ هذه إلى الأبد في تصوُّر أفكار قلوب شعبك، وأعدَّ قلوبهم نحوك" (١أخ ٢٩ : ١٠-١٨). ويكفي أن نركِّز الذهن في هذا الاتضاع المذهل المصاحب للعطاء "من أنا ومن هو شعبي حتى نستطيع أن نعطي!".

وهذه الروح المُنكسرة التي يُصَلي بها إلى الله أثناء التقدمة إنها نتيجة حتمية للإدراك السليم "أننا غرباء ونزلاء" أنه ليس لنا... ولكن "منك الجميع ومن يدك أعطيناك".

فيا ليتنا يكون لنا روح الاتضاع وروح الصلاة هذه ونحن نصنع لنا أصدقاء بمال الظلم عندما نأخذ من مال السيد الرب الذي جعلنا عليه وكلاء.

لنعطِ بسخاء ونعمل حساب المستقبل الأبدي ولنصنع لنا صيتًا حسنًا في المظال الأبدية فمتى عُزلنا من الوكالة التي على الأرض يقبلوننا بفرح ويفسحون لنا الأحضان.

⌖ وهناك رأي آخر يقول إن مال هذا العالم يُدعى مال الظلم بسبب طريقة توزيعه في العالم، بين غِنى باهظ وفقر مُدقِع وقد يمتلكه عابثون وأشرار ومستهترون وقد يفتقر إليه أبرار وقديسون. أضف إلى ذلك كثرة ما أصاب هذا المال من ظلم في تداوله بين أيدي الناس وفي معاملاتهم التي لا تخلو من ظلم وغش وخداع. قد يُدعى مال الظلم إذا ما قيس بكنز السماء حيث لا سوس ولا صدأ وحيث لا يسرق السارقون، ولكن ينبغي علينا في جميع الأحوال أن نكنز لنا كنزًا في السماء ونقتني لنا أصدقاء في المظال الأبدية مستخدمين هذه الوسيلة التي جُعلت بين أيدينا، فلا نكف عن تحويل هذا الرصيد الذي يَفسد إلى ما لا يفسد وعوض الزمنيات التي تزول يكون لنا حظًا في الأبديات التي

لا تزول.

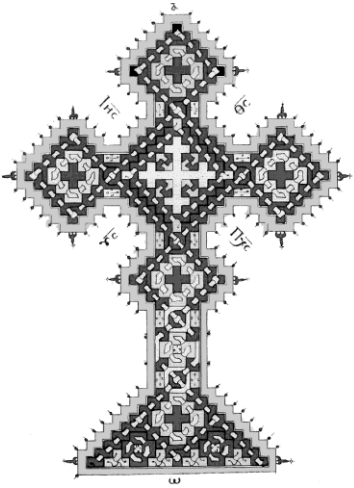

{ ٨ }
مثل أصحاب الساعة الحادية عشرة

مقدمة:

تقدم الشاب الغني جاثيًا قائلاً: أي صلاح أعمل لأرث

الحياة الأبدية فلما جاوبه الرب قائلاً: اذهب وبع كل أملاكك وأعطِ للفقراء، وتعال اتبعني، فمضى حزينًا على الفور لأنه كان ذا أموال كثيرة (مت ١٩ : ٢١).

فقال الرب للتلاميذ ما أعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السموات ولكن هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مُستطاع فأجاب بطرس وقال للرب: "**ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك**" فأجابه المُخلِّص بوعده الإلهي "**أنتم الذين تبعتموني، في التَّجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كُرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر. وكل من ترك بيوتًا أو إخوة أو أخواتٍ أو أبًا أو أمًّا أو امرأةً أو أولادًا أو حقولاً من أجل اسمي، يأخذ مئة ضعفٍ ويرث الحياة الأبدية. ولكن كثيرون أوَّلون يكونون آخرين، وآخرون أوَّلين**" (مت ١٩ : ٢٧ – ٣٠).

وهكذا شرح السيد المسيح قَصده الإلهي بمثل أصحاب الساعة الحادية عشرة.

أولاً: من نحو الغير المستطاع لدى الناس كيف يكون مستطاعًا لديه من نحو الدخول لملكوته.

وثانيًا: من نحو الاختيار بحسب النعمة وكيف أن كثيرون

يكونون أولين ولكنهم يصيرون آخرين والآخرون أولين.

وهذا هو المثل (مت ٢٠: ١-١٦).

أصحاب الساعة الحادية عشرة

"فإن ملكوت السموات يُشبه رَجُلاً رب بيتٍ خرج مع الصبح ليستأجر فَعَلَةً لكَرْمِهِ، فاتفق مع الفَعَلَةِ على دينارٍ في اليوم، وأرسلهم إلى كَرْمِهِ. ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قيامًا في السوق بطَّالين، فقال لهم: اذهبوا أنتم أيضًا إلى الكرم فأُعطيكم ما يحق لكم. فمضوا. وخرج أيضًا نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك. ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قيامًا بطَّالين، فقال لهم: لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطَّالين؟ قالوا له: لأنه لم يستأجرنا أحدٌ. قال لهم: اذهبوا أنتم أيضًا إلى الكرم فتأخذوا ما يحقُّ لكم. فلمَّا كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله: ادع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئًا من الآخِرِينَ إلى الأولين. فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا دينارًا دينارًا. فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر. فأخذوا هم أيضًا دينارًا دينارًا. وفيما هم يأخذون تذمَّروا على رب البيت قائلين: هؤلاء الآخِرُون

عَمِلُوا ساعةً واحدةً، وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثِقَلَ النهار والحر! فأجاب وقال لواحدٍ منهم: يا صاحب، ما ظلمتُك! أما اتفقت معي على دينار؟ فخُذ الذي لك واذهب، فإني أريد أن أُعطي هذا الأخير مِثْلَكَ. أو ما يحلُّ لي أن أفعل ما أريد بما لي؟ أم عينك شريرةٌ لأني أنا صالحٌ؟ هكذا يكون الآخِرون أولين والأولون آخِرين، لأن كثيرين يُدعون وقليلين يُنتخبون" (مت ٢٠ : ١ ـ ١٦).

تصرف رب البيت في الخروج لدعوة الأجراء :

أول ما يكشفه الرب لنا في هذا المثل هو شخص رب البيت الذي يطلب فعلة لكرمه.

فالحصاد كثير وكثير جدًا وقد أوصانا الرب أن نصلي إلى رب الحصاد ليرسل فعلة إلى حصاده لأن الفعلة الحقيقيين هم قليلون.

لذا نفهم أن العمل في الكرم معناه العمل في الحقل الروحي وهذا العمل لا يوكّل إلا إلى الذين أُعطوا هذا الشرف، إذ لا يأخذ أحد هذه الكرامة لنفسه إلا المدعو من الله.

العمل في الكرم:

والكرم هو الكنيسة، جسد المسيح الكرمة الحقيقية، والعمل فيها زَرعْ وسَقيْ وتعب وسهر وتنقية وتقليم وأخيرًا جني الثمار كما من عنقود الحياة.

ولكن يلزم أن يكون واضحًا أنه ليس الزارع شيئًا ولا الساقي شيئًا بل الله الذي ينمي وهو الكرّام الحقيقي "**فإننا نحن عاملان مع اللّه، وأنتم فلاحة اللّه، بناء اللّه**" (١كو٣: ٩).

ورب البيت يخرج يطلب فعلة من بداية النهار وقت الساعة الأولى (٦ صباحًا) ولا يكف عن طلب الفعلة طوال ساعات النهار وأي من وجده حتى الساعة الحادية عشرة يرسله يَعمل في كرمه.

وهذا التصرف في حد ذاته يدعو إلى الدهشة والعجب حقًا!!

هل يوجد رب بيت يطلب فَعَلَة في آخر النهار وقد قربت الشمس إلى المغيب؟

♰ هذا المثل هو رجاء الذين مضى منهم النهار وانطوت ساعاته وهم بطّالون ولم يعملوا في الكرم.

الرب يسوع يفتح بهذا الكلام باب الرجاء على مصراعيه

ولا يستطيع أحد أن يُغلقه.

لقد خرج الرب في الساعة الحادية عشرة ليبحث خِصيصًا عن هؤلاء حتى وجدهم فأرسلهم إلى كرمه.

⌖ إنه سخاء منقطع النظير أن يسمح الرب لمثل هؤلاء أن يدخلوا ضمن الفَعَلَة الذين تعبوا طوال ساعات النهار بغض النظر عن المكافأة. إن مجرد دعوتهم للدخول في شركة الفَعَلَة يعتبر إكرامًا ما بعده إكرام.

⌖ كان يطلبهم تاركًا التسعة والتسعين الذين يعملون في الكرم وخرج كمن يطلب الضال ويسترد المطرود.

لماذا؟!

لقد بادر الرب هؤلاء الآخرين بهذا السؤال "**لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين؟**" (ع ٦).

"**قالوا له: لأنه لم يستأجرنا أحدٌ**" (ع ٧).

يا للأسف العميق الذي يجوز في نفوسنا عندما نسمع هذا الجواب بعينه من كثيرين حولنا من المعتبرين بطالين ولم يستأجرهم أحد، ما بلغت إليهم دعوة للدخول ولا كلمة للعمل، اكتفينا بمكان المتفرج من هؤلاء وصرنا نتحدث عنهم ونصفهم بأوصاف كثيرة بأنهم خارج الكرم وخارجين عن

الخدمة ولكن ما أرسلنا إليهم كلمة تشجيع ولا فرحنا بأن نضمهم إلى حظيرة العاملين.

إنها ذات الكلمات التي نَطق بها مريض بِركة بيت حسدا عندما سأله الرب أتريد أن تبرأ؟ فأجاب بمرارة اليأس قائلاً: **"يا سيد، ليس لي إنسانٌ يُلقيني في البركة متى تحرَّك الماء"** (يو ٥ : ٧).

يا ويلنا إن كنا نكتفي بأنفسنا أننا داخل الكرم وغرقى في دوامة العمل داخل الكنيسة والخدمة والأسرار، وغيرنا خارجًا كثيرون وبلا عدد قائمين بطالين كمن يفضل عنه الخبز وأخوه خارجًا يهلك جوعًا.

⌖ هيا بنا ندعو البطالين إلى العمل وندخل بهم إلى داخل الكرم لحساب المسيح وامتداد ملكوته.

إن نفوس كثيرة حولنا يَنقُصها كلمة، مجرد كلمة، وما تكاد تسمعها حتى تنخرط في سلك الفعلة الأمناء لأن هذه النفوس مُخلصة وأمينة وغيورة ولكن ليس من يقودها، لقد صدَّقت الكلمة التي قالها القديس بولس الرسول: **"كيف يَدعُون بمن لم يؤمنوا به؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون بلا كارز؟"** (رو ١٠ : ١٤).

البطالة:

إن الذي لا يعمل لحساب المسيح في كرمه الإلهي في عرف الروح بطالاً، وحتى ولو كانت أعماله الأرضية أو الاجتماعية ملء السمع والبصر. العبرة إذن في أن يعمل الإنسان في الكرم بحسب مشيئة الله لأن النار ستَمتَحن عمل كل واحد، إن احترق عمل أحد فسيخسر وإن بقى عمله الذي عمل فسيكون له المَدح من الله.

✥ لم يبق لأصحاب الساعة الحادية عشرة سوى ساعة واحدة من النهار، وقد كاد اليأس أن يبتلع منهم الأمل في الدخول إلى حقل العمل، واليأس قاتل حقًا، والآباء قالوا إن العقل الفارغ هو معمل للشيطان.

هذه البطالة تَصير فرصة لعدو الخير معاول اليأس والإحباط في النفوس، فيُصور لهم أن الكنيسة والمَذبح والتناول من نتاج الكرمة الحقيقية، والدخول في شركة الأسرار والتنعم هو ليس لهم بل للكهنة والرهبان والبتوليين والعبّاد في الجبال فقط، أما هم فأهل العالم مكتوب عليهم البطالة والوقوف خارج الأسوار.

هذا منطق الشيطان وبذار أفكاره الشرير للهلاك، كلا أيها الأحباء فالملكوت مفتوح لأصحاب الساعة

الحادية عشرة كما لأصحاب الساعة الأولى بل وبأكثر اتساع.

فلا تعتذر أن ساعات العمر انقضت وانصرفت في البطالة بلا عمل روحي وأننا نكاد نخلع هذا الجسد ونحن في هذه الحالة.

لا يعتذر الشيخ بانقضاء أيامه فالباب مفتوح وأحضان المسيح تنتظر ودعوة المسيح لأصحاب الساعة الحادية عشرة قائمة، فلا حزن على سنوات انتهت ولا يأس من أن البقية من العمر قليلة.

ولا يعتذر مَن فرَّط في ساعات عمره في الطفولة والمراهقة والشباب وضيعها في بطالة الشهوات وانحلالها وتسكَّع في زوايا ومنعطفات الطرق المتشعبة والملتوية فباب المسيح مفتوح ودعوته بلا ندامة وهو سيعوض عن السنين التي أكلها الجراد.

⌖ ولا ييأس مَن ضيّع ساعات الصباح والإشراق والحيوية في بطالة السعي الباطل وراء العالم واكتشف قرب الغروب أن تعبه كان باطلاً وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس. فذراع المسيح ممدودة للجميع وساعة واحدة في كرمة سوف تعوض عن سنوات بلا عدد وأن يومًا واحدًا في دياره خير

من آلاف.

⌖ ولا يتألم من فرَّط في الساعات التي أتته فيها دعوة فأهملها أو هرب منها أو انحاز إلى دعوة أخرى من رئيس هذا العالم في العمل في رعي الخنازير وأكل الخرنوب، فالمسيح لا يُطفئ فتيلة مدخنة ولا يقصف قصبة مرضوضة بل يحفظها ويطلبها ولا يفرط فيها حتى آخر رمق.

⌖ ألا يصير هذا مُشجعًا لنا للنهوض، إنها الساعة الآن لنستيقظ لنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور، فالقديس يوحنا الحبيب يكتب قائلاً: **"أيها الأولاد هى الساعة الأخيرة"** (١يو٢: ١٨) يا للعَجب من هذا الإحساس الرسولي المتزايد في الفضيلة. ماذا لو فاتنا سماع الصوت وطاعته؟!

قد تكون هذه هى الساعة الأخيرة بالنسبة للواحد فماذا عساه أن يجاوِب الرب إن غابت الشمس عليه وهو في البطالة.

إن زيارات النعمة تحتاج لمن يقتنصها ولا يقسِ قلبه إن سمع لصوت القائل: "اذهب اعمل اليوم في كرمي" بل يستجيب له بكل كيانه ووجدانه لأنه ربما لا تتكرر فقد يكون هذا النداء هو نداء الساعة الحادية عشرة **"ملكوت السماوات يُغصَب، والغاصبون يختطفونه"** (مت ١١: ١٢).

ساعات النهار:

قال الرب يسوع: **"أليست ساعات النهار اثنتي عشرة؟"** (يو ١١ : ٩). **"ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهارٌ"** (يو ٩ : ٤).ليكن هذا شعارنا في كل يوم، مع بداية إشراق نور النهار. الكنيسة عَلمتنا أن نبدأ نهارنا بالعمل في الكرم كأبناء نور وأبناء نهار، وكمُرسلين من الله إلى العالم نعمل في كرم المسيح كنور للعالم وملح للأرض، كرائحة المسيح الزكية ورسالته الحية مقروءة من جميع الناس.

فالعمل الخارجي والمكان الذي نشغله بحسب عُرف العالم، ليس هو وضعنا الحقيقي ولكن بحسب الروح. نحن نعمل لحساب المسيح الذي أرسلنا نعمل كل النهار لأننا لسنا لنفسنا ولا نعمل لحساب أنفسنا لأن ليس أحد منا يعيش لذاته، بل من أجل الذي دعانا بمجده وفضيلته.

☩ فإن فاتتنا ساعات النهار ولم ننجز عملاً إلهيًا وقفنا نصلي ساعات الغروب ونقول: "أنت يا الله الرحوم احسبني مع أصحاب الساعة الحادية عشرة".

"أسرع لي يا مخلص بفتح الأحضان الأبوية لأني أفنيت عمري في اللذات والشهوات وقد مضى مني النهار وفات

فالآن أتكل على غنى رأفتك التي لا تفرغ فلا تتخل عن قلب خاشع مفتقر لرحمتك" (من صلوات الأجبية).

⌖ يُسجِّل الإنجيلي أن الرب خرج يطلب فعلة في باكر النهار ثم في الساعة الثالثة ثم في السادسة والتاسعة وأخيرًا في الساعة الحادية عشرة.

وقد دبّر الروح القدس في الكنيسة المقدسة أن تكون ساعات الدعوة هذه ساعات صلاة وتضرع ومقابلة مع صاحب الكرم وفرصة للعمل الروحي في كرم الرب وكأن دعوة المسيح تتجدد أمامنا على صعيد ساعات النهار لعلنا نقبل أن ندخل إلى شركة واتحاد مع العاملين والذين يتعبون في كرمه المقدس.

هيا بنا نستفيد بهذا التدبير الإلهي فلا تتحول صلوات الأجبية في ساعات النهار هذه إلى عمل روتيني جاف أو نكون كمن يؤدي واجبًا كالأجير بل هيا بنا بروح الحب وقبول دعوة المسيح وتسليم المشيئة نقبل دعوته وندخل في الحال إلى خدمة كرمه، غير ناظرين إلى مكافأة ولا طالبين أجرة.

في هذه الساعات يدعونا الروح أن نعمل عمل الصلاة والتوبة وتقديس القلب والفكر والحمد وتسبيح المسيح، هذا هو أقدس عمل يُفرِح قلب المسيح، فحياة الصلاة كما رسمها لنا

الـروح والوجـود فـي حضـرة المسـيح هـى صـميم العمـل فـي الكرم، لأن الصـلاة تُدخِلنا إلـى الملكوت مباشرة وتـدخلنا فـي شركة جميع القديسين الذين أرضوا الرب وعملوا في كرمه منذ آدم وإلى آخر الدهور.

تقييم أعمال الإنسان:

ما أبعد أحكام اللَّه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء! لأنـه من عرف فكر الرب؟ أو من صار لـه مشيرًا؟ (رو ١١: ٣٣).

إن أعمالاً كثيرة تنال إعجاب الناس وتقديرهم بينما تظهر أعمال الآخرين حقيرة وقليلة وقد لا تجذب انتباه الناس ولكن فـي الملكـوت سـتكون هنـاك مفارقـات رهيبـة وأمـور غيـر متوقعة.

فمن كان يظن أن أصحاب الساعة الحادية عشرة سيقفون فـي مقدمـة صـفوف الـذين يأخـذون الأجـر السماوي وينـالوا نصـــيبًا فـــاخرًا ويحســـبون مـــن الـــذين كـــرَّمهم السيد ودعاهم من المتكأ الأخير فيجلسوا في المتكآت الأولى؟

ومـن كـان يظـن أن إنسـانًا خـدم سـاعة واحـدة ينـال هـذا المقدار من المكافأة. ماذا يساوي تعب ساعة واحدة؟!

حقًا إنـه لـيس كأحكـام النـاس هكذا تكون أحكـام اللَّه، لقد

دخلت أعمال أصحاب الساعة الحادية عشرة دائرة رحمة اللَّه وحبه فقيَّم أعمالهم بعين صلاحه، وهذا معناه أن العمل في ذاته لا يساوي شيئًا ما لم تدركه عين صلاح اللَّه فتجعل منه شيئًا صالحًا.

كمثل ما ينظر الأب الحنون إلى أعمال طفله الصغير التي يحاول أن يُعبِّر بها عن حبه، إنها أعمال تافهة في ذاتها ولكن الأبوة تفرح وتسر لأنها مُقدمة من ابن صغير فصراخ الطفل في أذن الأب هو أعذب لحن في الوجود وكلمات الطفل وهو يتعلم النطق رغم أنها تخرج غير واضحة وغير صحيحة تمامًا إلا أنها في نظر الأب أبلغ من جميع الكلمات والعبارات.

هكذا نظر اللَّه إلى أعمال أصحاب الساعة الحادية عشرة الذين دعاهم برحمته وأدخلهم بحبه الحاني وشفقته على البطالين، نظر إلى أعمالهم بعين الصلاح فوجدها كاملة وعظيمة وبلا لوم قدامه.

أولون آخرون:

قال الرب يسوع تعقيبًا على هذا المثل **"هكذا يكون الآخِرون أولين والأولون آخِرين"** (مت ٢٠ : ١٦).

فالعبرة ليست بالبداية ولكن بالنهاية، لأن نهاية أمر خير من بدايته كما قال الحكيم (**جا** ٧ : ٨).

كثيرون بدأوا بالروح ولكنهم أكملوا بالجسد **"أبعدما ابتدأتم بالروح تُكَمَّلون الآن بالجسد؟"** (**غل** ٣ : ٣).

وكثيرون من الذين ذكرهم الرسول مفتخرًا بإيمانهم وخدمتهم في البداية عاد يقول إنه يَذكرهم باكيًا وهم أعداء صليب المسيح (**في** ٣ : ١٨).

وكثيرون تركوا الطريق ورجعوا مرتدين إلى الوراء إذ أحبوا العالم الحاضر. وعلى العكس تمامًا كما قال الرب للفريسيين: **"إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت اللَّه".**

والأمثلة كثيرة في الكتاب المقدس وفي سِير الآباء القديسين فهذه صورة اللص اليمين قائمة تشهد لأصحاب الساعة الحادية عشرة، وزكا العشار والسامرية والمرأة الخاطئة والقديس موسى الأسود ومريم المصرية وشهود كثيرين بلا عدد.

⌖ هكذا ستكون مفارقات غير متوقعة في يوم الدينونة العظيم فكثيرون من المعتبرين أولين بحسب المكانة والرتبة والشكل والاسم والذين يقفون في الصفوف الأولى والمتكآت الأولى هنا سيظهر أنه دعى أحد أكرم منهم فيضطروا أن

يعطوا مكانهم له.

وكثيرون من المَنسيين وغير المعروفين والمجهولين أو الذين دخلوا إلى الكرم متأخرين سينالون مكافأة أبدية قبل الجميع بحسب صلاح الله فاحص القلوب ومُختبر الكلى الذي يدين سرائر الناس.

إذن لنكف أيها الإخوة عن تقييم الناس والحكم عليهم ولنهرع راجعين إلى آخر الصفوف لنحظَ بالمتكأ الأخير بشعور المسكنة والاتضاع الحقيقي كمن هو آخر الكل حتى نفوز برحمة عند مخلصنا.

أجرة العمل ومكافأة النعمة:

الذي يعمل ويتكل على العمل ويظهر أمام الله أنه تعب ساعات هذا عددها بفكر فريسي يعد الأصوام ويحسب العشور والتقدمات حتى أعواد النعنع والشبث وينتظر أجرة ومكافأة عن الصلوات والسلوك بحسب الوصايا التي لا يتعداها قط "كما قال الابن الأكبر في مثل الابن الضال". الذي يسلك بهذا الروح الفريسي تُحسب له الأجرة على سبيل دين كما يقول الرسول بولس.

أما الذي يسلك بروح العهد الجديد، روح الرسل الأطهار

فإنه دائمًا إن افتخر فيفتخر بالنعمة العاملة فيه وبأمور ضعفه في آن واحد، ويشعر أنه مديون للنعمة وأن الفضل كل الفضل يَرجع للرب يسوع وعمل نعمته. اسمع القديس بولس الرسول يقول: **"لأني أصغر الرسل، أنا الذي لست أهلاً لأن أُدعى رسولاً، لأني اضطهدت كنيسة اللَّه. ولكن بنعمة اللَّه أنا ما أنا، ونعمته المُعطاة لي لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة اللَّه التي معي"** (١كو ١٥ : ٩ ـ ١٠).

الذي يحيا ويخدم بهذه الروح تُكَمِل النعمة نقصه وتعمل بقوتها في ضعفه وتكون المكافأة على سبيل النعمة وليس بمقدار العمل، لأنها نعمة مفاضة دون استحقاق بغض النظر عن الإنسان، ولكن يظهر فيها بالأكثر حُب اللَّه وتتمجد وتُمدح نعمته السخية فقط وقد يشتكي الذين يسلكون بالروح الفريسية ويحتجون كيف يعامل أصحاب الساعة الحادية عشرة مُعَاملة من احتمال طول النهار وحره.

وهم إذن يَتَكِلون على الأعمال لا يستطيعوا أن يدركوا ما هو عمل النعمة وسخاء عطاياها.

لنُسلم أعمالنا في يد النعمة ولا نتكل على بِر، بل إن عملنا كل البر نقول إننا عبيد بطالون ولم نفعل إلا ما أُمرنا

به (لو ١٧ : ١٠).

كثيرون يُدعون وقليلون ينتخبون:

ما أبعد أحكام اللّه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء (رو ١١ : ٣٣).

قال الرب إن بُرْصٌ كثيرون كانوا في أيام أليشع ولم يطهر سوى نعمان السرياني (لو ٤ : ٢٧). وأرامل كثيرات كن في أيام إيليا النبي ولم يُرسل إلا إلى الأرملة التي في صرفة صيداء (لو ٤ : ٢٦).

وقد لا يبدو واضحًا أمام الناس ما هو سر انتخاب المنتخبين ولكنها النعمة التي يؤتى بها عند استعلان يسوع المسيح وهذا هو نصيبنا الذي ننلناه فيه من غير استحقاق.

قال الرسول بولس: **"فانظروا دعوتكم أيها الإخوة، أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شُرفاء، بل اختار اللّه جُهَّال العالم ليُخزي الحكماء. واختار اللّه ضُعفاء العالم ليخزي الأقوياء. واختار اللّه أدنياء العالم والمُزْدَرَى وغير الموجود ليُبطِل الموجود، لكي لا يفتخر كل ذي جسدٍ أمامه"** (١كو ١ : ٢٦ ـ ٢٩).

هذا يكشف لنا سر اختيار الضعفاء لكي تُمدح قوة

المسيح وسر اختيار أصحاب الساعة الحادية عشرة لكي لا يفتخر، بل من افتخر فليفتخر بالرب (١كو ١: ٣١).

فلنمجد الذي دعانا بنعمته ولنكمل أيام حياتنا سالكين بحسب الدعوة التي دُعينا إليها متكلين على بر المسيح وعمل نعمة روحه القدوس.

من الصباح وحتى الساعة الحادية عشرة:

دعوة المسيح له المجد للملكوت ستظل قائمة حتى نهاية نهار هذا العالم ومجيئه الثاني ليدين المسكونة ويجازي كل واحد بحسب أعماله.

لقد دعا مبكرًا أولئك الذين حُسبوا فَعَلَة من أول النهار ثم دعا الأمم ليدخلوا إلى ملكوته. دعا بالناموس والأنبياء والوصايا ثم دعا بنعمته وهو في الجسد وقال: ما جئت لأدعو أبرارًا بل خطاةً إلى التوبة (مر ٢: ١٧).

الزمن الأول كان زمن الناموس، الزمن الأخير زمن النعمة. والمدعوون حسب قصده ونعمته تمتعوا بالمواعيد التي نظرها الأولون من بعيد وحيوها.

قال الرب للفريسيين إن الزناة يسبقونكم إلى ملكوت الله ويتكئون في حضن إبراهيم، لقد اعتبر الأمم الغريبين عن

رعوية إسرائيل أصحاب الساعة الحادية عشرة الذي بالنعمة نالوا الملكوت المُعد قبل إنشاء العالم.

ظنوا أنهم يأخذون أكثر:

هذا فكر فريسي محض، عندما يقارن الفريسي ذاته بآخرين ويستعرض تقواه بالقياس إلى الذين هم أقل تقوى ومعرفة – بحسب رأيه – عندما يُقارن نفسه تتزكى أعماله جدًا في نظره ويفتكر أنه ينال جزاء أفضل ومكافأة أوفر من اللَّه، ولكنه لا يُدخِل النعمة في اعتباره ولكن يُركِز فكره حول جهاده الشخصي وتعبه غير عالم أنه "**إن لم يبنِ الرب البيت، فباطلاً يتعب البناؤون. وإن لم يَحرُس الرب المدينة باطلاً سهر الحراس**" (مز ١٢٧ : ١).

عندما قارن الفريسي نفسه بالعشار، تزكى جدًا وبالفعل لم يكن العشار بحسب التقوى الظاهرة والجهاد الشخصي ليتزكى أمام اللَّه.

ولكن العشار تراءى أمام اللَّه كفقير مُعدم وليس له سند في بر ولا مُتكل من أعمال صالحة بل قد عَرَّته الخطية من كل شيء، ففي الحال انسكبت النعمة وغطت ضعفه وسترت عُريه وأغنته بغناها فنزل إلى بيته مبررًا.

وظـن الفريسـي أنـه يأخـذ أكثـر، ولكـن الله لـيس بظـالم وقد وضع الفريسي موضع الذي يطالب بأجره بناء على تعبه واسـتحقاقًا لــه، فكـان أنــه خـاب مـن النعمـة لأن النعمـة لا تشـبع شـبعانًا ولا تغنـي غنيًـا ولا تكسـي لابسًـا ولكـن غنـى النعمـة للمعـوزين وبِـر النعمـة للخطـاة وذراع المسـيح للّهالكين **"ابـن الإنسان قـد جـاء لكـي يُخَلِّـص مـا قـد هلـك"** (مت ١٨ : ١١).

قال الرب لصاحب الساعة الأولى **"يا صاحب، ما ظَلَمْتُكَ! أما اتفقت معي على دينار؟"** (مت ٢٠ : ١٣).

إن الـذين يسـلكون بحسـب روح أصـحاب السـاعة الأولـى سوف يعطيهم الرب ولن يَظلمهم **"لأن اللّه لـيس بظـالمٍ حتـى ينسـىَ عملكم وتعب المحبة..."** (عب ٦ : ١٠).

الـذين أدركـتهم النعمـة فـي سـاعة متـأخرة سـيبلغون إلـى الأحضـان والتمتـع مثل الابن الراجع كيف فاز بالحلة الأولى والخاتم في يده والحذاء في رجليه والذبيحة والفرح... ومشاعر أخرى يَصعُب التعبير عنها. ولكن روح الابن الأكبر كانت روح أصـحاب السـاعة الأولـى الـذين ظنـوا أنهـم مظلومـون عنـدما تعامـل النعمـة أصـحاب السـاعة الحاديـة عشـرة بهـذا السـخاء. فابتـدأ يغتـاظ ولـم يـرد أن يـدخل ووقـف يحـتج أمـام

الـرب قـائلاً: "هـا أنـا أخـدمك سـنين هـذا عـددها، وقَـطٌّ لم أتجـاوز وصـيتك، وجَـديًا لم تُعطـني قَـطٌّ لأفـرح مـع أصدقائي" (لو ١٥ : ٢٩).

أمثلة لأصحاب الساعة الحادية عشرة:

☩ فـي قصـة استشـهاد الأربعـين شـهيدًا قيـل أنهـم عَـذبوا الشـهداء بإلقـائهم فـي حـوض كبيـر مملـوء ثَلجًـا ووقفـوا يحرسونهم حتى يموتوا متجمدين، بينما وضعوا أمامهم حوض كبيـر آخـر مملـوء مـاء سـاخن حتـى يسـتثيرونهم ليعـدلوا عـن إيمـانهم، وكـان واحـد مـن العسـكر المـوكلين بالحراسـة واقفًـا يُراقـب جهـاد الشـهداء وإذ انفتحـت عينـاه ليـرى ٣٩ إكليـلاً بينمـا إكليـلاً واحـدًا يتـأرجح فـوق أحـدهم هـذا الـذي لـم يحتمـل المـاء المـثلج وخـرج ليلقـي بنفسـه فـي حـوض المـاء السـاخن ليلقـى حتفـه فـي الحـال ويخسـر الإكليل.

وإذ رأى الجنـدي هـذا المشـهد سـارع بخلـع ملابسـه وألقـى بنفسـه فـي المـاء المثلج ليفوز بالإكليل الأربعين، وهكذا تمـم شهادته وحُسب مع أصحاب الساعة الحادية عشرة الذين نـالوا أجر الأولين في اللحظات الأخيرة وعُدوا مع مصاف الشهداء

الأبرار.

⌖ وهـا القـديس بـولا البسـيط وهـو رجـل متـزوج عائشًـا في العالم وقد تجاوز الستين من عمره، إذ وجد زوجته تعيش بلا خوف الله، ساقطة في غواية العدو وقد نصحها مرات إذ رآها في ذات الفعل، فلما لم تقبل تركها وذهب للقديس الأنبا أنطونيوس، وترهَّب عنده وبعد أيام قليلة كان قد سبق الشبان فـــي الاحتمـــال والنســـك والتقشـــف العجيـــب، وقد منحه الله نعمة عمل الآيات وإخراج الشياطين، ورغم تجاوز السن عوضته النعمة أضعاف مضاعفة وحُسِب مع الذين دخلوا الكرم في ساعة متأخرة ولكنهم نالوا مكافأة أبدية قبل كثيرين حقًا "**لأن كثيرين يُدعَوْنَ وقليلين يُنْتَخَبُون**" (مت ٢٠: ١٦).

⌖ وها كثيرين وكثيرين مثل مريم المصرية التائبة والأنبا يعقوب التائب المجاهد، وموسى الأسود، صاروا أمثلة للتوبة العجيبة وافتقاد النعمة في أواخر العُمر.

⌖ بل لعل أروع الأمثلة القديسة بائيسة التي بعد أن كانت محسوبة من أولاد الله المُحبين للأديرة والقديسين ومعتنية بالفقراء ومحبة للعبادة أغواها الشيطان ففتحت بيتها وأسلمت جسدها ونفسها للخطية، هذه لما سمع بها الآباء الشيوخ في

برية شيهيت صاموا من جهتها وصلوا ثم أرسلوا إليها القديس يوحنا القصير وبعمل نعمة عجيب افتقدها الله وعملت الكلمة في قلبها فقبلت أن تخرج مع القديس في الحال، ولم تقبل حتى الرجوع إلى مكان الخطية ولو إلى لحظة لإحضار بعض ملابسها، وقد فاضت روحها في ذات الليلة التي خرجت فيها، وقد تأثر القديس يوحنا القصير تأثرًا بالغًا وكان يرجو أن الرب يُمهل لها زمانًا وفسحة من الوقت للتوبة، فعزَّاه الرب أنه في الوقت الذي خرجت فيه خروجًا قلبيًا وروحيًا من مكان الشر ففي الحال قبل الرب توبتها ونالت مراتب القديسين كواحدة من أصحاب الساعة الحادية عشرة وتمتعت بفرح لا يُنطق به ومجيد... حقًا عجيبة هى أعمال الله في قديسيه.

آخرون تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم:

يكفي أصحاب الساعة الحادية عشرة أنهم أصحاب اتضاع إذ لا يَحسِبون أنفسهم أنهم شيء، أو أنهم أصحاب جميل إذ أن الرب قال لهم: "إن آخرون تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم. أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه".

فهم دائمًا يَذكُرون فضل الذي دعاهم وفضل الذين تعبوا قبلهم، ومن ملامح أصحاب الساعة الحادية عشرة أنهم

ينسبون العمل بالأكثر للذين كانوا قبلهم خدامًا وعاملين بالكلمة.

فالذين زرعوا قبلهم بالدموع والذين رووا وسقوا بدم الشهادة بذار الإيمان والذين سعوا جاهدين وطافوا في القفار وسكنوا البراري وجالوا مبشرين وهم مكروبين مُذلّين ولم يكن العالم مستحقًا لهم، والذين سبقوا وكمّلوا العمل منذ جيل الأجيال، كل هؤلاء وغيرهم من رجال الإيمان بذكرهم أصحاب الساعة الحادية عشرة باعتبار كبير جاعلين إياهم أفضل من أنفسهم بما لا يُقاس.

فإن كان أصحاب الساعة الأولى ينظرون إلى أصحاب الساعة الحادية عشرة أنهم غير مستحقين إلى شيء أو مستأهلين لكرامة أو مكافأة، فإن أصحاب الساعة الحادية عشرة ينظرون إلى أصحاب الساعة الأولى بعين الاعتبار والإكبار وشتان بين هؤلاء وأولئك. فروح الاتضاع تختلف جوهريًا عن روح الاعتداد بالذات، والاتكال على النعمة يُضاد الاتكال على ذراع البشر.

الأجرة... دينار:

أي شُكر يستطيع أصحاب الساعة الحادية عشرة أن

يُقدموه للسيد في وقت قبض الأجرة غير المتوقعة؟

يا للعجب والدهشة التي تَملُك على النفس حينما تفاجأ بما أعده الرب لمحبيه الذين تعبوا معه وخدموا كأصحاب الساعة الحادية عشرة.

من يقول إن أجرة إطعام الجوعان وسقي العطشان وكِساء العريان وزيارة المسجون والمريض تكون هى اعتراف المسيح له المجد بالإنسان الذي فعل هذا أنه فعله بالمسيح شخصيًا وبمجد عوض (معروفه هذا) أمام الملائكة المقدسين وأمام الشهداء والقديسين وجميع طغمات السمائيين؟!

ومن يقول إن من يُعطي الفقير تكون مكافأته كمن يُقرض الرب وعن معروفه يجازيه؟!

ومن يتوقع أنه إذا ترك أحدًا بيوتًا أو إخوة أو أخواتٍ أو أبًا أو أمًا أو امرأةً أو أولادًا أو حقولاً يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية (مت ١٩ : ٢٩). هل يُعقل أن تكون السمائيات عِوَض الأرضيات والأبديات عِوَض الزمنيات؟!

يا لفرح الصديقين يوم أن يقفوا في ساعة التكليل واستعلان الأجر السماوي. ليس دينارًا ولا أموال هى التي سيُنعِم بها رب الكرم ولكن أسرار الكرامات السماوية

لا يعرفها أحد غير الذي يأخذ.

فسِر الحَصاة البيضاء، والمن المخفي، والثياب البِيض، وكوكب الصبح المنير وباقي أوصاف المجد الأبدي المكتوبة في سفر الرؤيا والتي وعد بها الرب أحباؤه سوف يُكملها لهم في يوم عُرسه الإلهي ويوم تكليل القديسين.

فهيا أيتها النفس اجتهدي في هذه الساعة لكي توجدي في سلام عند ظهوره واجتهدي أن تكون دعوتك واختيارك للخدمة في كرم المسيح.

وتذكري أنه سيوزِع بيد رئيس ملائكته مكافآت لا تخطر على بال إنسان ولا رأتها عين البشر كما دعا رب الكرم وكيله وأمره أن يُعطي الأجرة.

وانتظري المكافأة السماوية واعرضي عن كل أجر أرضي أو مجد دنيوي لأن ذلك يُحرِمك من أجر السماء.

يا صاحب... ما ظلمتُك:

هكذا قال الرب لمن نظر بعين شريرة نحو سخاء السيد وكرم نعمته ولم يشكر ويسبح بالحمد للذي أعطاه ويعطي كل أحد.

الله ليس بظالم لأنه لا يحكم بحسب المظاهر ولكنه ينظر

إلـى القلب ويَفحص أعماق الأفكار والنيات ويعطـي كل واحد بحسب قلبه "يعطيك الرب حسب قلبكَ" (مز ٢٠ : ٤).

وسوف لا يكون فـي الدينونـة من يَشعر بالظلم أو النقص أو العجز لأنـه فـي السماء يكون الكمـال والكفاية وحتـى الذين سوف تقع عليهم الدينونة سوف يمجدون دينونـة الله العادلـة إذ يشعرون فـي أعماقهم أنهم بعدل جازاهم الرب.

فـالرب ديَّـان الأرض كلهـا مسـتحق وعـادل فـي جميـع أعماله، ولكن يوم مكافأة الأبرار هو يوم تمجيد الرحمة وذلك لا يكون على حساب الآخرين بل فيض الحنان الإلهي على نفوس اختارها ليُعلن بها رحمة أبدية، وهو كما قال لـه مُطلق الحريـة أن يفعل مـا يشاء بمـا لـه وبحسب مسرته التـي ترتـاح فـي العطـاء وتعطـي بسخاء بالفعل، لـيس من يقول لـه لمـاذا فعلـت هكـذا؟ لأنــه "**مَــنْ عَــرَفَ فِكــر الــربِّ؟ أو مَــنْ صــار لــه مُشـيرًا؟ أو مَـنْ سـبق فأعطـاه فيُكافـأ؟ لأن منـه وبـه ولـه كـل الأشـياء**" (رو ١١ : ٣٤ ـ ٣٦).

لنكف إذن عن الأسئلة التـي لا طائل من ورائهـا... لمـاذا هـذا ولمـاذا هكـذا...؟! "**ألعـلَّ الجِبْلَـةَ تقـول لجابلـها: لمـاذا صنعتني هكذا؟**" (رو ٩ : ٢٠).

فإن رأيت النعمة متفاضلة على آنية رحمة اختارها الرب

ليُظهِر بها لطفه وإمهاله وطول أناته... فلا تتساءل ولا تعترض في قلبك، لأنه هو حُر أن يَرفع بائسًا من مزبلة أو يجعل عاقرًا ساكنة في بيت أم أولاد فرحة (مز ١١٣ : ٧)، أو يرفع المتضعين ليُجلسهم على كراسي الملكوت.

بل الأحرى بنا إذا رأينا أصحاب الساعة الحادية عشرة ترفعهم النعمة وتترفق بهم وتُمجدهم أو تُعطيهم أجر أصحاب الساعة الأولى، حري بنا أن نُمجِد النعمة ونحدِث بفضل الذي يُعطي بسخاء ولا يُعيِّر ويصنع العجائب وحده ويُخلِّص على كل حالٍ قومًا.

{٩}
مثل العشر عذارى (مت ٢٥ : ١ـ ١٣)

"حينئذٍ يُشبه ملكوت السموات عشر عذارى، أخذنَ مصابيحهُنَّ وخرجن للقاء العريس. وكان خمسٌ منهنَّ حكيماتٍ، وخمسٌ جاهلاتٍ. أما الجاهلات فأخذن مصابيحهنَّ ولم يأخذن معهنَّ زيتًا، وأما الحكيمات فأخذن زيتًا في آنيتهنَّ مع مصابيحهنَّ. وفيما أبطأ العريس نعسنَ جميعهنَّ

ونمـنَ. ففـي نصـف الليـل صـار صـراخٌ: هـوذا العـريس مُقبـلٌ، فَـاخْرُجْنَ للقائـه! فقامـت جميـع أولئـك العـذارى وأصـلحنَ مصـابيحهنَّ. فقالـت الجـاهلات للحكيمـات: أعطيننـا مـن زيـتكنَّ فـإن مصـابيحنا تنطفـئُ. فأجابـت الحكيمـات قـائلاتٍ: لعلَّـهُ لا يكفـي لنـا ولكُـنَّ، بـل اذهـبنَ إلى الباعـة وابـتعنَ لكُـنَّ. وفيمـا هُـنَّ ذاهبـاتٌ ليبـتعن جـاء العـريس، والمسـتعدَّات دخلـن معـه إلى العُـرس، وأُغلـق البـاب. أخـيرًا جـاءت بقيَّـةُ العـذارى أيضًـا قـائلات: يـا سيدُ، يـا سيدُ، افـتح لنـا! فأجـاب وقـال: الحـقَّ أقـولُ لكُـنَّ: إنـي مـا أعـرفُكُنَّ. فاسـهروا إذًا لأنكـم لا تعرفـون اليـوم ولا السـاعة التي يأتي فيها ابنُ الإنسان".

(مت ٢٥ : ١ ـ ١٣)

صلاة نصف الليل:

اختـارت الكنيسـة هـذا المثـل لنصـلي بـه فـي نصـف الليـل ضـمن خدمـة الصـلوات اليوميـة أي أن الكنيسـة جعلـت هـذا المثل أيقونة تضعها أمامنا في الصلاة كل يوم.

تتحـول الكلمـات فـي هـذا المثـل إلـى قُـوة دافعـة للسـهر والاستعداد لملاقاة العريس. وقد جعلت الكنيسة بعد تـلاوة هـذا الإنجيـل فـي الخدمـة الأولـى مـن صـلاة نصـف الليـل قطـع توسـلية كترجمـة لكلمـات الإنجيـل وتحويلهـا إلـى صـلوات

خاصة:

"ها هوذا العريس يأتي في نصف الليل، طوبى للعبد الذي يجده ساهرًا، أما الذي يجده متغافلاً، فإنه غير مستحقٍّ المضي معه. فانظري يا نفسي لئلا تثقلي نومًا، فتُلقي خارج الملكوت. بل اسهري قائلة: قدوس قدوس قدوس أنت يا الله، من أجل والدة الإله ارحمنا".

"تفهمي يا نفسي ذلك اليوم الرهيب، واستيقظي، وأضيئي مصباحك بزيت البهجة، لأنك لا تعلمين متى يأتي نحوك الصوت القائل: ها هوذا العريس قد أقبل. فانظري يا نفسي لا تنعسي، لئلا تقفي خارجًا قارعةً مثل الخمس العذارى الجاهلات بل اسهري متضرعة، لكي تلتقي المسيح بدهنٍ دسمٍ، ويُنعِم لكِ بعُرْسِ مجده الإلهي الحقيقي".

إن هذه الصلاة التي نصليها كل يوم، ونحن قائمين سهارى في نصف الليل هى بمثابة تفتيش الأواني وفحصها، هل يا ترى امتلأت من الزيت أم هى خاوية فارغة، وهكذا يفحص الإنسان نفسه ويفتش قلبه، أين خزين الزيت الذي به يُلاقي عريس نفسه، فإن وجد هناك قليل من الزيت فإنه بالدموع في الصلاة والتوسل يجتهد أن يُكمِل مسيرته ليجمع

زيتًا للحياة الأبدية، لا سيما أن الفرصة مازالت سانحة وما زال الوقت يدعى اليوم.

وإن فتّش الإنسان قلبه ووجد آنيته قد فرغت من الزيت فماذا عساه يعمل؟!

ليطلُب الباعة بأكثر اجتهاد قبل أن يُغلق الباب، ويا لحسن الحظ إن الباعة في زمان غربتنا ما أكثرهم، وما أسهل الحصول على الزيت وملء الآنية.

فإن كنا قضينا زمانًا محسوبين مع العذارى الجاهلات، فقد تناهى الزمن والوقت منذ الآن مُقصَّر، هيا ننفض عنا غُبار الكسل ونستيقظ من غفلتنا وبحكمة روحية نسلك في جهاد روحي، وسهر في الصلاة ومحبة بلا رياء وصبر كامل ورجاء ثابت ونية نقية وقداسة السيرة... كل هذا سيملأ آنيتنا يومًا فيومًا حتى إذا ما حان وقت خروجنا من الجسد نَفرح مع الفرحين الداخلين إلى العُرس الأبدي.

ملكوت الله عُرس أبدي:

إنه فرح حقيقي دائم إلى الأبد لا ينتهي، أليس هو الموضع الذي هرب منه الحزن والكآبة ووجع القلب؟ حيث

يمسح الله كل دمعة من عيونهم، ويكلل محبيه بالكرامة ويعترف بالذين اعترفوا به ولم ينكروا اسمه.

لأنه قال في الرؤيا: "**لن يجوعوا بعد، ولن يعطشوا بعد، ولا تقع عليهم الشمس ولا شيءٌ من الحرِّ**" (رؤ ٧ : ١٦).

الفرح في السماء دائمًا لا يشوبه كَدر، حيث لا جسد يُشاغب ولا شيطان يحارب ولا عالم يُغري ويُضاد.

المسيح هو العريس:

قال القديس يوحنا المعمدان عن السيد المسيح "**من له العروس فهو العريس**" (يو ٣ : ٢٩). هو عريس الكنيسة الذي اقتناها بدمه ودفع مَهرها واشتراها لا بفضة ولا بذهب من سيرتكم الباطلة، بل بدم كريم كما من حملٍ بلا عيبٍ، دم يسوع المسيح معروفًا سابقًا قبل تأسيس العالم (١بط ١ : ١٨).

وقد استعلِن المسيح المُبارك عريسًا للكنيسة منذ القديم، ويكفي أن نتأمل في سفر نشيد الأنشاد حيث يتجلى المسيح العريس، معلمًا بين ربوة، بعلامته العجيبة وهى صليبه، وهو كما تصفه العروس أبيض وأحمر، فتى كالأرز (باقي الأوصاف من سفر نشيد الأنشاد) وقد اقترن الرب

بشعبه الذين اختارهم ورفعهم من المزبلة كما نقرأ في حزقيال ١٦ "خطبتكِ لنفسي".

كذلك عتاب الرب لعروسه في سفر إرميا (ص ٢ : ٢) "**ذكرت لكِ غَيرة صباكِ، محبة خطبتكِ، ذهابكِ ورائي في البرية**".

والقديس بولس الرسول يقول: "**خطبتكم لرجلٍ واحدٍ، لأُقدِّم عذراء عفيفةً للمسيح**" (٢ كو ١١ : ٢).

الكنيسة هى العروس:

قال الملاك للقديس يوحنا الرائي: هلمَّ أُريكَ العروس امرأة الخروف (رؤ ٢١ : ٩)، فرأى وكتب عنها مثل عروس مُهيأة مُزينة لرجلها، لها مجد الله زينتها مصنوعة بدمه.

مُشْرِفَة مثل الصباح، جميلةٌ كالقمر، طاهرةٌ كالشمس مُرْهِبَةٌ كجيش بألوية (نش ٦ : ١٠).

فهي إن كانت طاهرة كالشمس، فالفضل يَرجع للذي غسلها بدمه وقدسها بغسل الماء بالكلمة، لكي يقتنيها لنفسه كنيسةً مجيدةً بلا غَضْنَ أو شيء مثل ذلك، بل تكون مُقدَّسةً ولا عيب.

وهى إن كانت جميلة كالقمر، فالفضل يرجع إلى انعكاس نور وجه المسيح الذي أنار ظُلمَتها بقيامته وأشرق في قلبها لإنارة معرفة مَجد اللَّه في وجه يسوع المسيح.

وهى إن كانت مُشْرِفَةُ كالصباح، فبسبب فجر قيامته الذي بدد الموت عن الجالسين في الظُلمة وظلال الموت عائشين كل حياتهم في خوف ومذلة.

وإن كانت مُرْهِبَةٌ كجيش بألوية، فالفضل يرجع إلى الذي غَلب كل جيوش الظلمة وقوات الشر وكسَّر مصاريع الجحيم وسحق الشيطان بالصليب. لذلك رآها يوحنا الحبيب ليس لها مجد من ذاتها بل لها مجد اللَّه.

وتستطيع أن تَرجع إلى جميع الأوصاف العجيبة التي سُجلت في سفر الرؤيا عن مجد الكنيسة في السماء أو تعرف تمامًا أن سر هذا المجد الكائن في المسيح عريسها مصدر كل عطية صالحة وكل موهبة تامة.

العذارى:

هم أعضاء الكنيسة، المدعوون للدخول إلى الوجود الأبدي مع المسيح العريس السماوي. المدعوون للاتحاد بالمسيح في سرٍ لا يُنطق به. عشر عذارى قال الرب، ولكن فصَلَهُم إلى

فـرقتين، قـد يبـدو للنـاظر إلـى جمـيعهن بحسـب المظهـر الخارجي أنه لا فرق، فكلهن عذارى لهن مصابيح ولهن زينة وخارجات لاستقبال العريس.

فماذا يكون الفرق إذن؟

إن الناظر إلى العذارى لا يستطيع أن يُفرّق بينهن، فكلهن عذارى ممسكات بالمصابيح ولهن أواني، وجميعهن خارجات للقاء العريس ليس في قُدرة الإنسان أن يعرف أيهن حكيمات وأيهن جاهلات فالإنسان ينظر من الخارج، أما الرب فينظر إلـى القلـب. الله وحده الفاحص القلوب ومختبر الكلـى، هو وحده الذي يستطيع أن يكشف ما في الآنية من ملء أو فراغ، هذا الفرز والتمييز هو عمل المسيح الديَّان وحده.

لقد فرَّق الرب بين الاثنين فجعل للمغبوطات صفة الحكمة بينما وصف الأخريات بالجاهلات.

حكيمات:

الحكمـة بَنَـتْ بيتهـا (أم ٩ : ١). بـدء الحكمـة مخافـة الـرب (أم ٩ : ١٠).

لقد اختص سفر الأمثال كلـه فـي التفرقـة بـين الحكـيم والجاهل، وإن كانت الأوصاف في المعاني في هذا السفر

تبدو جسدية تختص بالحياة الحاضرة إلا أنها في طياتها يكمن سر الحياة الأبدية والحكمة التي توصِل النفس حتى إلى داخل العُرس والفرح الإلهي حيث تسمع الصوت القائل: أُدخل إلى فرح سيدك (مت ٢٥ : ٢١).

والرب يسوع قال: إن الذي يسمع كلامه ويعمل به يُشَبَّه برجل حكيم وعاقل بنى بيتًا، وحفر وعمَّق ووضع الأساس على الصَّخر (لو٦ : ٤٨). أما الذي يسمع ولا يعمل، فشَبَّهَهُ برجلٍ جاهلٍ بنى بيته على تراب الجسد والسطحيات الخارجية فسقط وكان سقوطه عظيمًا (لو٦ : ٤٩).

مجيء العريس:

إن مجيء المسيح الثاني يكون بمثابة فرز وتمييز بين الذين استحقوا للفرح السمائي وبين الرافضين لملكوت المسيح.

قال الرب: إنه متى جاء في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فإنه يميز بين الشعوب في الدينونة، كما يُميِز الراعي الخراف من الجِدَاء، فيُقيِم الخراف عن يمينه والجِدَاء عن يساره (مت ٢٥ : ٣٢).

قال القديس يوحنا الرسول في رسالته الأولى: **"الآن نحن أولاد اللَّه، ولم يُظْهَر بعد ماذا سنكُون"** (١ يو٣ : ٢). أي أن سر أولاد اللَّه سيُستَعلن في مجئ المسيح لأننا سنكون مِثله، سنراه

كما هو حيث أنه هو نور العالم فاستعلان أبناء الله يكون باستعلان نوره فيهم، والعكس فإن الخاضعين لروح الظلمة يكون لهم خجل عظيم إذ لا شَرِكَةٍ للنور مع الظُّلمة؟ (٢كو ٦: ١٤) بل الظُّلمة تهرب منه.

فالعذارى الحكيمات إذن هن النفوس التي متى جاء المسيح يجدهن قد زين مصابيحهن بالنور الذي هو إشراق المسيح وحلوله في النفس البشرية، أي أن هذه النفوس صارت مَسْكنًا للنور.

"سِراجُ الجسد هو العين، فإن كانت عَيْنُك بسيطةً فجسدك كله يكون نيرًا" (مت ٦: ٢٢).

وقد ملأت العذارى الحكيمات المصابيح والآنية بالزيت، ومعلوم أن الزيت يُشير دائمًا إلى مسحة الروح القدس الذي فينا، الذي به خُتمنا بروح الموعد القدوس ليوم الفداء لعَربُون الروح لفداء المقتنى.

لقد صارت المسحة ملئًا، ملأت المصابيح والآنية، النفس والروح معًا، وهذا لا يحدث إلا بالسهر المتواصل والجهاد القانوني والصلاة المتواترة، إنه مثل الوزنات التي تَربح فتتضاعف، لأن السلوك بالروح يدفع الإنسان للفرح وهذا بالتالي يُنشئ حماسًا لمواصلة السير والمجاهدة للوصول.

⌖ إن المسحة التي لنا من القدوس، بزيت الميرون في المعمودية خَتمت على كل أعضائنا، فصارت آنية كرامة ونستطيع أن نلمس من كانت آنيته مليئة بالنعمة وأعضاؤه مسلمة لها.

⌖ فالعقل والفكر وكل قوى النفس تفيض من ينبوع الخيرات وكنز الصالحات.

⌖ واللسان يصير ينبوع نعمة، يفيض كلامًا صالحًا كما من كاتب ماهر "**لساني قلمُ كاتبٍ ماهرٍ**" (مز ٤٥: ١).

⌖ والعين ممسوحة بالروح في بساطة الحمام والقلب يصير كَنز للصلاح، ومركز للحب الطاهر، وكل ما هو جليل وكل ما هو طاهر وكل ما صيته حسن تكون فيه تِجارة الإنسان الروحاني.

وعلى العكس من ذلك، فالذي ينتمي إلى فريق العذارى الجاهلات فإنه من جهة كل أعمال الروح وثمر الروح فهو فقير معوز يبحث عن هذه الأمور بعد الوقت ولا يجدها.

موقف الجاهلات:

يا للحسرة والندم، ولكن بعد فوات الأوان، أين خَزين زيت الروح لإنارة الوجه في حَضرة المسيح؟

لقد انقضى العمر كله لحساب الجسد، فلما فتشوا عن ما ادخروه بالروح كانت المفاجأة القاتلة... ليس شيء لحساب الروح، أما ما كنزوه في الأرض فقد تُرك مدفونًا في التراب، كل وقت وجهد لحساب الجسد... دُفن مع الجسد، كل جهاد للحصول على كرامة في العالم... يفنى مع العالم.

كل سعي وراء الشهوات يَسلب النفس قُدرتها على الاستنارة ويترك الإنسان في الظُلمة، كل طمع وسعي وراء المال والشهرة والصيت والغنى واللذة والفرح العالمي كان وبالاً على الروح فصارت بلا زيت وبلا نور.

كل كسل وتواني وتفريط وإهمال. كل عزوف عن الصلاة وتضييع للوقت واستهتار بالوصايا وتدليل للذات صار كل هذا على حساب الروح فذَبُلت وانطفأ نورها.

كمن يهمل وقت الزرع ويستهين بالسهر والسقي والعناية بزرعه. ماذا يجد وقت الحصاد سوى حقل خاو وعديم الثمر. أليس ما يزرعه الإنسان إياه يحصد؟ إن من يزرع للجسد فمن الجسد يَحصُد فسادًا (**غل ٦ : ٧ – ٨**).

⌖ إن سلوك الجاهلات يَنم عن رعونة حقيقية وعدم حكمة، لقد اكتفت الجاهلات بالمظهر الخارجي واللحظة الحاضرة وبعدم حكمة خرجن للقاء العريس دون حساب دقيق

أو احتياط واجب، فلم يأخذن زيتًا في الآنية. المظهر كان يبشر بالخير بينما الداخل فارغ تمامًا هذا هو الخطر بعينه... الآنية تُعبِر عن القلب وملؤها يصير كَنزًا وفراغها يورث الحيرة والموت.

⌖ وثمة سؤال، هل فكرت الجاهلات - ولو إلى لحظة - ماذا يعملن في المستقبل وليس لهن زيت؟ ماذا لو تأخر العريس؟ ماذا لو انطفأت المصابيح؟

⌖ لقد انطفأ نور البصيرة قبل أن تنطفئ المصابيح بزمان...!!

⌖ ألا يُحسب جاهلاً حقًا الذي يعيش بهذا الفكر المظلم، يستهين بالموقف ولا يحسب حساب للدينونة، ويحسب أن تنعم اليوم لذة، ولا حساب للغد؟ انظر إلى النملة وتَعلَّم منها أيها الكسلان كيف تجمع في الصيف لأيام الشتاء... هكذا قال الحكيم سليمان ليُنَبِه النفس الجاهلة.

أعطيننا من زيتكن:

إن إجابة الحكيمات، لعله لا يكفي، تشير إلى حكمة القديسين واتضاعهم، إن ظنهم وحكمهم على ما جمعن من فضائل وما خزنوه من زيت النعمة ومحصول الروح هو

قليل وقد لا يكفي (لنا ولكن)، أو هو بالكاد يصل بهم إلى لقاء العريس، وهذا الشعور بالعَوز والحاجة كان يدفعهم بالأكثر لمواصلة السعي ويحثهم على السهر والجهاد.

⌖ والأمثلة على ذلك كثيرة فالقديس بولس الرسول، رغم ما وصل إليه من نِعم وما بذله من جهاد محبة في المسيح حتى فاق الرسل الأطهار... رغم كل ذلك يقول: "لست إني قد نلت أو صرت كاملاً..." وبهذا الروح العالي ينسى ما هو وراء ويمتد فيما هو قدام... لا شعور بالاكتفاء ولا اعتداد بكبرياء أن الإنسان بلغ إلى مراده أو وصل... هذا ليس منهج القديسين... لم يقل أحد أن عنده ما يكفيه ويفيض بل شعور المحتاج يسعى إلى آخر نَفَس.

⌖ لقد ظلت الشياطين تحارب القديس مقاريوس الكبير بهذا الفكر الرديء حتى لحظات موته، تقول له: "طوباك يا أبو مقار أكملت جهادك"، وظل هو إلى آخر رَمَقٍ يَرفُض الفكر كمن هو محتاج لآخر قَطرة من زيت النعمة يَجمعها وهو على فراش الموت بصبر واحتمال المحتاج والمترجي.

⌖ ألا يصير هذا تبكيتًا للذين يظنون في أنفسهم أنهم

شيء، إن من يظن في نفسه أنه شيء وهو ليس شيئًا يضر نفسه كما قال الرسول بولس.

المستعدات دخلن معه إلى العروس:

إن ملكوت ربنا يسوع المسيح لا يُدرك إلا بالدخول إليه، فلا يستطيع أحد من خارجه أن يتخيله حتى بالعقل والتصورات البشرية مهما سمت، فأمور الملكوت اختبارية بعيدة المنال عن خيال البشر.

إذ أنه ما لم تره عين، وما لم تسمع به أُذن، وما لم يَخطُر على قلب بشر (١كو٢: ٩)، والمطوبون الذين استحقوا هذه الكرامة يدخلون إليه دخولاً هو بذاته النعيم الأبدي فعندما ينادي الرب مختاريه يقول هذه العبارة: "أُدخل إلى فرح سيدك" وحالما يسمع الإنسان هذه الكلمة من فم الرب يدخل إلى الفرح الإلهي ويجد ذاته في عمق الفرح، فالدخول إلى الفرح هو انتقال النفس من حال المسكنة إلى حال الوجود الدائم في نور وجه يسوع المسيح، فالفرح الأبدي إذن هو دخول إلى دائرة لم يكن للإنسان خبرة بها أو معرفة وليس في طاقة البشر أن يَدركوا كمال سرها.

موكب العريس:

من العادات القديمة عند الشرقيين في احتفالاتهم بالعريس، أن تكون العروس مع وصيفاتها في حالة انتظار – كما شرح الرب بالمثل – ويأتي العريس كذلك في موكب مع أصدقائه، ويتلاقى الاثنان في مشهد الفرح بالغ العذوبة لكي تُزَف العروس إلى عريسها... وما أشهى أن تفتكر النفس في موكب عريسها السماوي آتيًا من السماء محفوفًا بالمجد والكمال مع جميع الملائكة القديسين معه، آتيًا على سحاب السماء، جالسًا على كرسي مجده.

⌖ وسيُعلِن عن مجيئه المجيد، صوت بوق رئيس الملائكة الجليل ميخائيل ملاك القيامة وملاك الفرح معًا.

"لأن الرب نفسه بهتافٍ، بصوت رئيس ملائكةٍ وبوق اللّه، سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعًا معهم في السُّحُب لمُلاقاة الرب في الهواء" (١تس ٤ : ١٦ ـ ١٧).

⌖ سيأتي الرب ولا يُبطئ كما يظن قوم التباطؤ، فالعريس قادم لا محالة، مهما تأخر إنها ساعات قليلة.

⌖ ومجيئه في نصف الليل، سيُنير خفايا الظلام، ويُشرق

بنــوره فـــي ليـــل الخطيـــة ويُبـــدد ظلمتـــه إلـــى الأبـــد، فـلا يوجـد الظـلام فيمـا بعـد والمحسـوبين عـذارى حكيمـات قيل عنهم إنهم ليسوا من ليل ولا من ظلمة جميعهم أبناء نور وأبنــاء نهــار، فــلا نَــنَمْ إذًا كالبــاقين، بــل لنســهر ونصــحُ (١تس ٥ : ٦).

لقاء العريس:

قال القديس بولس الرسول إنـه لا بد لنا جميعًا أن نظهر أمام كرسي المسيح ليعطي كل واحد منا حسابًا عما قدمه بالجسد خيرًا كان أم شرًا، وهذا اللقاء لا بد أن يكون فماذا أعددنا له؟

أمـا الـذين للمسـيح فهـذا هـو العـريس، وهـذا هـو يـوم عُـرس وفـرح أرواحهـم يـوم اللقـاء الأبـدي. وأمـا الـذين ليسـوا للمسـيح فهـذا اللقـاء مُخيـف إنـه يـوم تهـرب الظلمـة مـن النـور وتُـدان جميـع أعمـال الظُلمـة والفُجـور، ويقولـون للجبال اسقُطي علينا وللآكام غطينا من وجه الجالس على العرش (رؤ ٦ : ١٦).

أُغْلِق الباب:

لقـد ظـل البـاب مفتوحًـا علـى مِصـراعيه حـين كـانوا فـي

الجسد، لقد قال السيد المسيح أنا هو باب الخِراف إن دخل بي أحد يدخُل ويخرُج ويجد مرعى، وصار يُنادي خرافه الخاصة بأسمائهم يدعوها للدخول، وقد فُتح الباب إلى أقصى اتساعه حين عُلِّق ابن الله على الصليب وفتح ذراعه وسلّمها للمسامير، وصار كمن يستعد لاحتضان كل من يأتي إليه هاربًا من نير العالم أو مقهورًا من الخطايا مهانًا من الشيطان.

وقد بدأ باحتضان اللص على الصليب وفَتح أمامه باب الرجاء وباب الفردوس.

ونادى الرب بالإنجيل **"تعالوا إليَّ يا جميع المُتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أُريحكم"** (مت ١١ : ٢٨).

إذن نفهم أن دعوة الصليب ودعوة الإنجيل هي دعوة للدخول من الباب أي بالمسيح وهو باب مفتوح للجميع ولا سيما الخطاة فما بالنا نسمع هذه العبارة "أُغلق الباب" دون الجاهلات.

إن زمان وجودنا بالجسد قبل مجيء المسيح العريس هو زمان توبة ورجوع وإصلاح السيرة والندم على الشر والباب المفتوح.

أما أن انقضى زمان توبتنا دون أن ندخل فلن يكون هناك

دخول بعد ولكن سيُغلق الباب.

قال الرب لملاك الكنيسة في سفر الرؤيا **"هنذا قد جعلتُ أمامك بابًا مفتوحًا"** (رؤ ٣: ٨). لقد دخلت الحكيمات وهن في الجسد في زمان الجهاد دخلن الباب الضيق اجتهدن فوجدنه وحينما وجدنه صار هو طريقهم.

"باب ضيق ولكنه يؤدي إلى الحياة الأبدية" لم يرفضوه ولم يتذمروا من ضيقه بل حملوا صليبهم وصبرن على الضيق، وها قد تبدل هذا الباب الضيق إلى مسرات أبدية وصار صليب الباب الضيق والطريق الكرب هو ينبوع الفرح الأبدي والخلاص.

أما الذين رفضوا هذا الباب الضيق، رفضوا الدخول، استثقلوا الصليب وضِيق حياة الصلاة والصوم وضيق باب القداسة وضيق إنكار الذات والاتضاع وفرحوا بالباب الواسع وساروا في الطريق الرحب. هذا الباب الضيق الذي رفضوه بإرادتهم وهم على الأرض أُغلق أمامهم في السماء.

ⴭ غَلقْ الباب بالنسبة للحكيمات فرح ما بعده فرح لقد تأكد لهم الوجود الدائم مع العريس فلا انفصال بعد ولا تخلِ ولا حرمان إلى الأبد ولا شيء سيُكدِر هذا الصفاء اللانهائي.

أما بالنسبة للجاهلات فما أقساها كلمة "أُغلق الباب"

لا توجد فرص أخرى، إنه حرمان أبدي، وعذاب لا ينتهي، ظُلمة خارجية، بكاء وصرير أسنان لا أمل ولا رجاء فيما بعد.

إنه حقًا أمر مُخيف ومُرعب، وهذا النصيب التعس والنهاية الأسيفة التي لا ينفعها الندم ولا قرع الصدور.

دعوة لليقظة والسهر:

قال الرب تعليقًا على هذا المثل اسهروا إذن لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان.

فدعوة ربنا مُجَدَّدة لنا كل يوم أن نسهر. لقد طلب الرب من التلاميذ وهو في البستان أن يسهروا ويصلوا وكررها مرات وعاتبهم قائلاً: ألم تقدروا أن تسهروا معي ساعة؟!

قد تفقد النفس إكليلها فيُسرق منها بسبب تهاونها وكسلها، وعدم يقظتها وسهرها.

قد يَفرغ الزيت بسبب الغفلة والنوم في الأباطيل وضياع الوقت في الباطل بينما الإنسان متغافل عن خلاص نفسه مُثقَلاً بنوم عميق والسهر معناه اليقظة الروحية والخوف الحريص على ألا يفقد الإنسان ما عنده ولا يُفرِّط في الذي اقتناه بالتعب والجهد.

إن ما يقتنيه الإنسان بجهاد طويل في الفضيلة ربما لو تغافل يُسرَق منه في لحظة فيسقط في مزالق الشر ويصير فقيرًا من النعمة.

العريس قد يأتي في أي وقت، هذا حق؟

فهل صارت عروسه في حالة استعداد للقائه؟

هذا هو السؤال الذي يجب أن تُجيب النفس عليه كل يوم مادامت في حالة انتظار.

⌖ ذكرت لي فتاة مخطوبة أن عريسها فاجأها بزيارة غير متوقعة في يوم من الأيام لم تكن مستعدة ومهيأة للقائه، بل كانت مرتبكة بخدمة ونظافة البيت ولم تكن في هندامها وصورتها التي تحب أن يراها فيها، فحصل لها خجل كثير وربكة وصارت تبكي من فرط تأثرها، ثم اتجه ذهنها في ذات اللحظة إلى الحال التي تكون عليها النفوس التي يفاجأها قدوم العريس السمائي وهى على غير استعداد فصارت تبكي أكثر، وقد استمدت من هذه الحادثة قوة أكبر على الجهاد والسهر الروحي والاستعداد للقاء العريس الحقيقي. ألا نحسب أنفسنا أننا في زمان الخطبة للعريس الحقيقي.

"خطبتكم... لأُقدِّم عذراء عفيفةً للمسيح" (٢كو ١١ : ٢).

ونجتهد في هذه الأيام أن نهيئ أنفسنا لكي نلاقيه بفرح المستعدات.

اتحاد بالعريس السماوي:

مَن اتحد بالرب صار روحًا واحدًا هكذا يقول الرسول، فسِر الاتحاد الأبدي بالعريس السماوي كائن في أن العذارى الحكيمات كان لهن سر الروح وسر الحياة بالروح وسر الاتحاد بالرب.

فلما كَمُل الزمان، وجاء وقت استعلان الاتحاد الذي كان يعمل فيهم سرًا وهم عائشون في غربة العالم وانتظار وسهر وتوقع، لما جاء اليوم الموعود لتُزف العروس لكمال الاتحاد الأبدي أُغلق الباب إلى الأبد وصار الاتحاد لا نهائيًا.

لا وجود للزمن المتقلب ولا للجسد المشاغب ولا للشيطان المُجرِّب... ولا تستطيع هذه القوى أن تتسرب لتُكدِر هذا الفرح أو تعكر صفو الاتحاد بالحق إلى الأبد وإلى أبد الأبد.

والذين عرفوا الرب بالروح، خلوا من كل تصورات الجسد والأحاسيس المادية وأدركوا الحب الإلهي حب الصليب هم وحدهم الذين يدركون ملكوت الاتحاد بالله.

أما الذين عبدوا الله بعتق الحرف، بالحس واللمس المادي محصورين في الجسد عائشين في التراب.

فمن أين لهم أن يدركوا أسرار الملكوت؟

حقًا إنه يستحيل على الإنسان الطبيعي أن يُدرِك ما لروح الله لأن عنده جهالة ولا يستطيع أن يحكم في شيء لأنه إنما يحكم فيه جسديًا. فما أن تَبلُغ إلى مسامعه كلمة عُرس، وعذارى وعريس، حتى يتجه ذهنه المادي الأرضي إلى عُرس الأرض وأفراح المسرات العالمية والتلذذ بشهوات الجسد واتحاده... يا للحَسرة وعمى البصيرة.

أما الذين لهم باكورة الروح فإنما يحكمون بالروح في كل شيء والروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله.

خرجن... ودخلن:

لا يتم لقاء العريس إلا بالخروج، ولا يتم الاتحاد به إلا بالدخول إلى ملكوته دخولاً حقيقيًا، وهذان الفعلان الخروج لاستقبال العريس ثم الدخول إلى ملكوته هما فعلان متلازمان كوجهي العملة الواحدة.

ففي حال خروجنا وسعينا نحو العريس لاستقباله نكون بالضرورة مقتربين نحو الدخول إلى عُرس مجده الإلهي.

وفي حال كسلنا وتقاعسنا عن السعي تقل فرص دخولنا وقد يُغلق الباب دوننا.

الخروج هنا يحمل جميع المعاني الروحية في رحلة النفس التي تستحق للدخول إلى العُرس السماوي.

فأنت تقرأ عن خروج إبراهيم من أهله وعشيرته، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي وكان هدفه الواحد يَشده ويجذبه إليه، وكلمة الذي دعاه تُشجعه وتدفعه "سر أمامي وكن كاملاً"، وبالإيمان بلغ الموعد وقبل ما أقسم الرب به ثم خرج بني إسرائيل بيد قوية وذراع رفيعة تَجذبهم مواعيد عُظمى وثمينة عن أرض ميراث تفيض لبنًا وعسلاً.

على النفس إذن أن تنسلخ من عِتقها وتخرج خارج الدائرة، دائرة جذب العالم، وشهوات الجسد وإغراءات المادة.

لابد من الخروج للقاء العريس حتى تستحق النفس الدخول إلى عرس مجده الإلهي.

الحق أقول لكنَّ إني ما أعرفكنَّ:

أخيرًا جاءت الجاهلات قائلات يا ربنا يا ربنا افتح لنا فأجابهن الرب من الداخل بهذه الكلمات إني ما أعرفكن.

هذا معناه أنه لن يتمتع برؤية شخص يسوع الذي هو

بهاء مجد الله ورَسْم جوهره سوى النفوس المختارة، أما الجاهلات فلا يستطعن بأي حال من الأحوال أن يرين وجهه ولا مجده... كيف تلتقي الظلمة بالنور؟ لأنه أية شركة للظلمة مع النور؟ (٢ كو ٦ : ١٤).

✠ لكن كيف يقول الرب إني ما أعرفكنَّ؟

إن كثيرين يدَّعون أنهم يعرفون الرب، وكثيرون سيأتون في اليوم الأخير يقولون أليس باسمك تنبأنا أليس باسمك أخرجنا شياطين. فيقول لهم الملك تباعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم إني لا أعرفكم من أين أنتم.

فمعرفة المسيح، معرفة فائقة، والموضوع ليس أسماء وأشكال ولا حتى آيات وعجائب تُصنع... ولكن معرفة المسيح هى حياة بالمسيح وفي المسيح.

فالشيطان يستطيع أن يُغير شكله إلى شِبه ملاك نور، ولكن هذا مُجرَد مَنظر خارجي أما الواقع الداخلي روح ظلمة وظلام.

فليس عجيبًا إن كان خدامه يُغيرون شكلهم إلى شِبه رسل المسيح هكذا يقول القديس بولس الرسول.

فالجاهلات صِرن حسب الظاهر في منظر العذارى

ونـداءهن "يـا ربنـا يـا ربنـا افـتح لنـا" كـأنهن مـن التابعـات الحقيقيات، ولكن الله لا يُشْمَخ عليه، ليس كل من يقول يارب يارب يقدر أن يدخل ملكوت الله.

فـالعِبرة إذن ليست بكلمـات الصـلاة ولا الشكل الخـارجي ولا الأسـماء الرنانـة أو المراكـز الظـاهرة للنـاس أو أثـواب القداسـة وأشكال الحمـلان أن مجـيء المسيح سيكشـف كـل شيء لأنه لا يدين بحسب الظاهر.

ولا ينظر إلى العين بل ينظر إلـى القلب (١صم ١٦ : ٧).

يفحص القلوب ويختبر الكلى (رؤ ٢ : ٢٢).

{ ١٠ }

مثل السامري الصالح (لو ١٠ : ٢٥ ـ ٣٧)

"وإذا ناموسيٌّ قام يُجرِّبه قائلاً: يا مُعلِّم، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له: ما هو مكتوبٌ في الناموس. كيف تقرأ؟ فأجاب وقال: تُحبُّ الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قدرتك، ومن كل فكرك، وقريبك مثل نفسك. فقال له: بالصواب أجبت. اِفعَل هذا فتحيا. وأما هو فإذ أراد أن يُبرِّر نفسه، قال ليسوع: ومن هو قريبي؟ فأجاب يسوع وقال: إنسانٌ كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا، فوقع بين اللصوصِ، فعرَّوه وجرَّحوه، ومضوا وتركوه بين حيٍّ وميتٍ. فعَرَضَ أن كاهنًا نزل في تلك الطريق، فرآه وجاز مقابله. وكذلك لاويٌّ أيضًا، إذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله. ولكن سامريًّا مُسافرًا جاء إليه، ولما رآه تحنَّن، فتقدَّم وضمد جراحاته، وصبَّ عليها زيتًا وخمرًا، وأركبه على دابَّته، وأتى به إلى فندقٍ واعتنى به. وفي الغد لمَّا مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق، وقال له: اعتن به، ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أُوفيك. فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبًا للذي وقع بين اللصوص؟ فقال: الذي صنع معه الرحمة.

فقال له يسوع: اذهب أنت أيضًا واصنع هكذا" (لو ١٠ : ٢٥ ـ ٣٧).

ناموسيٌ قام ليُجرّبه:

عندما بكّت الرب الفريسيين وفضح أغوار تدبيرهم ولعن رياءهم وأعطاهم الويلات لأجل حياة المظاهر الكاذبة والجري وراء مديح الناس... فأجاب واحد من الناموسيين وقال له: يا معلم حينما تقول هذا تشتمنا نحن أيضًا. فقال الرب "**ويلٌ لكم أنتم أيها الناموسيون! لأنكم تُحمِّلون الناس أحمالاً عسرة الحَمْل وأنتم لا تمسُّون الأحمال بإحدى أصابعكم"** (لو ١١ : ٤٦). هذا هو المنطق الداخلي الذي منه يُفكر الإنسان الفريسي، هو يحفظ الناموس بتدقيق مذهل وحرفية قاتلة ولكن للناس فقط، للتعليم الكلامي، وليس لنفسه ولا لحياته.

تفسيرات وتأويلات وتحميل الناس أثقالاً فوق أثقال، أحمالاً عَسِرة الحَمل، لم يقدر أحد من الناس أن يحملها، وفي ذات الوقت لا يمسون الأحمال بإحدى أصابعهم. فلا نصيب للناموسي من حمل الناموس أو ثقل الوصايا شيء، يضيقون الطريق أمام الناس وهم يعيشون في حياتهم الخاصة في سعة ما بعدها سعة، يُحرِّمون الأشياء على الناس ويحللونها لأنفسهم، لقد أعفوا أنفسهم من كل ثقل وضيق واحتمال، وتركوا عنهم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان (مت ٢٣ :

٢٣).

الناموسي إذن لم يكن ليسأل المسيح طالبًا بإخلاص: ماذا يعمل ليَرث الحياة الأبدية، بل أن الروح يَكشف غرضه الباطن، إنه يسأل ليجرِّب، هل يُجيب الرب إجابة تتفق مع ما يحفظه هو، وما يعرفه هو ويُعلِّم به الناس، أم أن إجابة الرب سوف تختلف؟

ولكن الرب كاشف الأسرار وعارف القلوب ومختبِر الكلي، أجابه على سؤاله بسؤال قائلاً: ما هو مكتوب في الناموس كيف تقرأ؟ وبتلقائية العارف الحافظ عن ظهر قلب أجاب الناموسي قائلاً: تحب الرب إلهك... إلى آخر الوصية الأولى والعظمى، مَحبِة الله من كل القلب والفكر والنفس والقدرة ومحبة القريب كالنفس... إنه عارف المدخل للحياة الأبدية وميراث ملكوت السموات، فماذا يُعوزه؟ فقال له الرب الصواب أجبت. افعل هذا فتحيا.

⌖ العِبرة إذن ليس بما نعرفه بل بما نفعله ونحياه.

⌖ الحياة الأبدية ليست معلومات ودراسات، هى أولاً وقبل كل شيء حفظ وصايا الرب.

⌖ الوصية الأولى والعُظمى – وصية المحبة – بدونها لا

يكون دخول إلى ملكوت الله لأن المحبة فيها تكميل الناموس كله، كما يقول الرسول بولس وإن كانت وصية أخرى متضمنة في تلك الكلمة عينها تحب قريبك كنفسك لأن المحبة لا تصنع شرًا بالقريب (غل ٥ : ١٤).

⌖ ليتنا نتعلم كيف عامل الرب إنسان قام في وسط الجمع ليجرّبه، لم يحتد عليه ولا كشف خُبثه... ولكن بطول أناة ورفق احتمله، وكلّمه كلمة الحياة بل وشجعه ومدحه أمام الناس قائلاً: "بالصواب أجبت" حقًا إن ربح النفوس حكمة إلهية... (أم ١١ : ٣٠).

يا ليت هذا المنهج الإلهي يكون لنا طريقًا للسلوك الروحاني لاحتمال الآخرين حتى المجَرِّبين أيضًا... بروح الاحتمال نستطيع أن نربح ونربح كثيرًا.

أراد أن يبرر نفسه:

⌖ يبدو أن إجابة الرب أوقعت الناموسي في حرج أو مأزق ليس فقط أمام الناس بل في الواقع أمام نفسه في الداخل وأمام ضميره، إذ وجد في الموازين ناقصًا... لأنه رغم المعرفة بالناموس والوصايا اكتشف أنه تنقصه الحياة أو قل أنه وجد ذاته محرومًا منها... أو كما قال الرب لآخر لست

بعيدًا عن ملكوت الله، لكنه في ذات الوقت لم يكن داخل الملكوت وهذا ما يتعب النفس بالأكثر لأنه على الرغم من معرفة الطريق إلا أنه ليس محسوبًا ضمن السائرين فيه.

عاد الناموسي يسأل سؤالاً آخر لعله يخرج من مأزقه أو أن يغير الموضوع فيفلِت من وطأة الكلمة الإلهية التي تضع الإنسان في مثل هذه المواجهة الصعبة.

إن هذه هى حقيقة الكلمة، أن تضع الإنسان عند مفارق الطُرق ها قد جعلت أمامك طريق الحياة وطريق الموت... اختبر الحياة فتحيا (**تث ٣٠ : ١٩**)، ومطاليب الكلمة في مثل هذه الحالة هى نفس مُتضعة وقلب منكسر، لا قلبًا معاندًا ورقبة متصلبة.

اسمع القديس بولس الرسول يقول للصوت الذي ناداه من السماء شاول شاول لماذا تضطهدني... من أنت يا رب؟ ماذا تريد أن أفعل؟... وكما وصف هذا الموقف بعينه أمام الملك أغريباس قائلاً: "**من ثمَّ أيها الملك أغريباس لم أكن مُعانِدًا للرؤيا السماوية**" (أع ٢٦ : ١٩).

وهكذا الذين سمعوا الرسل في يوم الخمسين عندما نُخِسوا في قلوبهم قالوا لبطرس وبقية الرسل ماذا نفعل أيها الرجال الإخوة.. (أع ٢ : ٣٧) أما ذات الناموسي المتضخمة، فأبت أن

تنحني أمام حقيقة الكلمة وفعلها في القلب... وأراد أن يهرب من نير الكلمة الذي هو أمضى من كل سيف ذي حدين وخارق إلى مفارق النفس ومميزة أفكار القلب ونياته.

من هو قريبي؟

ومع أن السؤال يبدو ساذجًا إلا أن الرب طويل الأناة والمحتمِل ضعف البشر، يستطيع أن يُخرِج من الآكل أكلاً ومن الجافي حلاوة، فطبيعة ربنا ونعمته سخية وتعاليمه المفعمة حياة تفيض من ينبوع نعمته كإشراق الشمس على الصالحين والأشرار وكما يمطر على جميع أصناف الناس، لأنه إله خيِّر في طبيعته، طيِّب وصالح وليس لصلاحه حدود.

المَثَل:

لكي يُقرّب المعنى للسامعين، توسط بهذا المثل ولكي يُصيب في الصميم قلب الحجر الذي للناموسي تكلم الرب في المثل عن فعل الرحمة الفائق، والحنو الذي هو غاية الناموس لأن الرب يريد رحمة لا ذبيحة، ولأن الرحمة تفتخر على الحكم.

قال الرب:

إنسان كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين اللصوص فعرّوه وجرَّحوه ومضوا وتركوه بين حي وميت.

أورشليم هى مدينة الله، مدينة الملك العظيم، مدينة الهيكل والعبادة والذبائح... وأريحا، قديمًا تدعى لوز، بلد الملذات، ولما بنيت وتحصنت بأسوار أريحا صارت مكمنًا للشر والزنا والنجاسات حتى هدمها يشوع بن نون بالإيمان عندما طاف حولها سبعة أيام، ولما هدم أسوارها لم يستبق من المدينة أحدًا بل قضى على الخطية وأباد عبادها ولم يستحيي سوى راحاب الزانية التي تخلصت بعلامة الخيط القرمزي الذي هو مثال رشاش دم المسيح الذي يخلص الخطاة (يش٦).

فالإنسان في المثل الذي كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا أي منحدرًا من السمائيات إلى الأرضيات، ونازلاً من رتبته وكيانه في أورشليم إلى أريحا في طريق منحدرة نهايتها الهلاك وهذا هو واقع الإنسان، كل إنسان، حينما طُرد من الفردوس وسقط من رتبته إلى الأرض، إلى التراب الذي أخذ منه.

وقع بين اللصوص:

الشيطان روح الظلمة، كان من البدء قتَّالاً للناس، هو غير الرحيم كما تسميه الكنيسة في صلواتها... عندما تقع النفس فريسة في يديه لا يُشفق لأنه لا يعرف الشفقة، الخطية لها سطوة غريبة، كم طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء (أم ٧ : ٢٦).

إن منظر الإنسان الواقع بين يدي اللصوص الأشرار، ينهشون كالأسود الكواسر بلا رحمة، يعطي فكرة عما تكون عليه النفس البشرية وهى واقعة تحت نير الشهوات والأهواء ومُمزَقة بيد الشيطان والجسد والعالم.

فعرَّوه، وجرَّحوه، ومضوا وتركوه بين حي وميت:

أول ما يَعمله العدو الشرير في النفس هو أن يُعرّيها من ثوب النعمة، حقًا، فالخطية فضيحة وعُري... والنعمة سُترة وغطاء. تأمل إنسان كورة الجدريين وهو به لجئون من الشياطين ساكنًا في القبور عُريانًا يصيح ويقطِّع نفسه بالحجارة، وعندما تحنن الرب يسوع عليه وأخرج منه الشياطين، جاء أهل كورته وتعجبوا إذ وجدوه جالسًا ولابسًا وعاقلاً (لو ٨ : ٢٦ – ٣٥).

إن أول مذاقة لمرارة الخطية كما اختبرها الجميع منذ آدم

أبونا الأول كانت مرارة العُري، إنها أول خبرة مرة أليمة "**لأني عريانٌ فاختبأت**" (تك ٣ : ١٠).

وأول نعمة يتقبلها الإنسان الراجع إلى أحضان الآب بعد زمن الغربة والمهانة والخطية، أول نعمة هى الحُلة الأولى، حُلة الستر والسترة، ستر العُري وستر الخِزي، ثياب النعمة التي بالذبيحة أي أقمصة الجلد التي ألبسها الرب الإله لآدم.

⌖ المسيح صُلب على الصليب عُريانًا ليستر عُرينا... فالتأمل في الصليب كل يوم وحب الصليب وحمل الصليب يشفي النفس التي عرتها الخطية، لقد صار لنا صليب المسيح حصن منيع، وستر حصين. لقد افتقر الرب وهو الغني لكي نستغني نحن أيضًا بفقره... نشكرك لأنك سترتنا.

جرَّحوه:

ما أقسى جِراح الخطية التي تطرح الإنسان يعاني من نزف الحياة، ومن ضعف إلى ضعف. جراحات الجسد أمرها هين، وبقليل من دواء وضمادات تُشفى وتبرأ، أما جراحات النفس ونزيف الحياة الداخلية التي تؤدي بالإنسان إلى الموت الأبدي من يشفيها.

نازفة الدم وجدت الطريق بعدما تعبت من أطباء كثيرين

وبعد أن صارت إلى حالٍ أردأ، قالت في نفسها أنا إن مسست هدب ثوبه فقط شُفيت، وقد حدث هذا بالفعل في حال لمسها لهدب ثوب الرب يسوع وقف نزيف دمها في الحال (مر ٥: ٢٥ ـ ٣٤). المسيح مَجروح من أجل معاصينا مسحوق من أجل آثامنا (إش ٥٣: ٥) جراحات يسوع صارت عوضًا عن جراحاتنا. نحن مديونون لمن سفك دمه عنا فداءًا وخلاصًا وغُفرانًا للخطايا.

وتركوه بين حي وميت:

بعد أن سلب اللصوص كل شيء، وعرُّوا الإنسان وجرحوه تركوه طريحًا مضرجًا بدمائه، بين حي وميت.

لا يَترك الشيطان فريسة إلا إذا أرادها في هذه الحالة، يَسلب كل شيء، يُفقِد النفس كل الغنى والفضائل التي تملكها كل ما لها، كل كنوز الروح: المحبة والإيمان والرجاء والاتضاع والقداسة... إلى آخر هبات الروح القدس وثماره في النفس التي هى الغنى الحقيقي والفرح الحقيقي. وقوع النفس فريسة في يد الشيطان والعالم... معناه فُقدان النفس كل غِنى الروح وشركة ميراث القديسين في النور.

وليس هذا فقط، بل عندما اطمئنوا إلى عدم قدرته وفقدانه

كل مُقومات الحياة وقد أشرف على الموت... تركوه... الشيطان لا يترك فريسته إلا إذا رآها على هذه الحالة البائسة حين تصير النفس لا تقدر على مجرد النهوض أو الوقوف، أو حتى مجرد الحركة...

نفوس كثيرة منطرحة مسكينة، هى أقرب إلى الموت منها إلى الحياة بحسب الروح، فمن جهة الحياة الروحية ربما تدخل في عداد موتى الخطية.

لا قدرة على صلاة ولا قوة على صوم، ولا صبر في جهاد ولا احتمال في تجارب... لا تحيا ولا تتحرك بالروح. الذين وقعوا أسرى الجسد وجرحى الشهوات لا يتركهم الشيطان إلا بعد أن يُجردهم تمامًا... ويصيروا ليس قتلى السيف. الذين وقعوا تحت سطوة العالم وحب المال وانجرحوا بجراحات حب الكرامة والمركز والمجد الباطل يُمزقهم الشيطان ولا يتركهم وفيهم رمق الروح أو قوة الاتضاع.

☩ تُرى من يقيم هذا المتروك بين حي وميت، ومن له سلطان الإقامة من الأموات؟

ليس سوى الذي مات وقام وغلب الموت.

ليس سوى الذي مات من أجل خطايانا وأُقيم من أجل

تبريرنا (رو ٤: ٢٥).

ليس سوى الذي قتل الموت بموته وأنار الحياة والخلود.

فعرض أن كاهنًا نزل في هذا الطريق فرآه وجاز مقابلة:

لقد نزل الكاهن واللاوي، النبي والرائي، والشيخ والمعتبر، الكل نزل في هذا الطريق، الطريق المنحدر من أورشليم "الروح" إلى أريحا "الجسد". أغلق على الكل ليس من يفعل صلاحًا ليس ولا واحد (رو٣: ١٢). الجنس البشري كله يَحمل طبيعة ساقطة، لأنه حينما سقط أبونا آدم في الغواية والمخالفة، سقط في الموت. يوم أن تأكل من الشجرة موتًا تموت (**تك** ٢: ١٧). وهكذا بإنسان واحد دخل الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع (رو٥: ١٢).

سقط الجميع في آدم، لأنه في آدم يموت الجميع كما يقول الرسول.

نَظَرَهُ، وجاز مُقابله:

فماذا عساه الكاهن أن يفعل بهذا الإنسان الطريح في الموت؟ فماذا يملك حتى يُقدِم له؟

إن كاهن العهد القديم يَملك الناموس فهل الناموس يُقيم

من الأموات؟

الناموس يرى ويحكم، يُشخِّص الداء، ويدين الخطية، يفضحها ويؤثِمها، ولكنه لا يُخَلِّص منها.

قبل الناموس كانت الخطية كامنة، موجودة، ولكن في سرٍ كانت تعمل وتُهلِك دون أن يفطن إليها الإنسان.

فلما ظهر الناموس، بإحكام ضد الخطايا، كشف أن الكل صاروا تحت اللعنة لأنه مكتوب ملعون من لا يَثبُت في كلمات الناموس ولم يستطع أحد مطلقًا أن يُكمِّل الناموس.

قال القديس بولس الرسول إن الإنسان لم يعرف الخطية إنها خاطئة جدًا إلا بالناموس بل إن الإنسان لم يعرف أن الشهوة خطية إن لم يقل الناموس لا تشتهي (رو٧ : ٧). فهو قبل الناموس كان يشتهي – أي يفعل الخطية دون أن يدرك مدى فسادها – **"لمَّا جاءت الوصية عاشت الخطية، فمُتُّ أنا"** (رو٧ : ٩)، كمثل طبيب يُشَخِص المرض القاتل، فقبل أن يأتي الطبيب، كان المرض موجودًا ولكن لم تكن خطورته القاتلة معروفة، فلما أظهرها الطبيب وأعلنها، أصبحت بمثابة حكم موت على الإنسان فهل يُعاب على الطبيب؟ كلا بل المرض هو البغيض والمميت.

هكذا يقول القديس بولس، هل الناموس خطية؟ حاشا...

فهل صار لي الصالح موتًا؟ حاشا بل الخطية لكي تظهر أنها خاطئة جدًا (رو٧: ١٣). إذن الناموس صالح ومقدس وعادل أما سِر الموت وشوكة الموت وقوة الموت فهي كائنة في الخطية.

على هذا لم يستطع كاهن العهد القديم، أو كاهن الناموس أن يؤدي خدمة للإنسان الواقع بين اللصوص، الملقى بين حي وميت ولا اللاوي أيضًا إذ سلك مسلك الكاهن عندما جاز مقابلة عبر أيضًا.

إن الرجل الواقع بين اللصوص، ليس بحاجة إلى وصايا، وناموس، فرائض وشرائع، إنه في حال الموت ويحتاج من يقيمه ويحييه، يضمد جراحه، ويوقف نزيف دمه. إنه يحتاج لمن يعطيه الحياة، وواهب الحياة فقط هو اللَّه لأن فيه كانت الحياة (يو١: ٤).

ولكن سامريًا مسافرًا:

لم يقل الرب عن السامري إنه كان نازلاً، لقد شبَّه الرب نفسه بهذا السامري الصالح، الشفوق المقيم المسكين من التراب والرافع البائس من المزبلة.

فهو وإن صار إنسانًا، وأخذ شكل العبد، ولكنه غير

الخاطئ وحده، ولد من العذراء ولكنه ليس من زرع البشر فليس فيه خطية ولم يعرف خطية.

فهو ليس ساقطًا، أو نازلاً أو مُنحدرًا كباقي البشر، ليس مثله، لا نبي ولا رئيس آباء، فهو إن اشترك في اللحم والدم، المشي مع الناس، لكنه قال من منكم يبكتني على خطية؟

جاء إليه...:

فهو ليس عابر سبيل، ولا صادفه هذا الأمر مصادفة... بل هو جاء إليه.

لقد سعى الرب نحو الإنسان، بمقاصده الأزلية، جاء يطلب من كان ضالاً، وجاء يطلب ويُخلِّص ما قد هلك (لو ١٩ : ١٠).

لقد جاء للسامرية، ومشى من أجلها ست ساعات حتى تعب وجلس هكذا على البئر في انتظارها (يو ٤).

وجاء إلى لاوي وناداه من عند مكان الجباية (مت ٩ : ٩).

وجاء من أجل الكل ونادى: تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين... (مت ١١ : ٢٨).

وسعى إلى الخاطئ الطريح حتى وجده في مكانه، كمثل راعٍ صالحٍ سعى في طلب الضال... حتى رآه فاحتضنه

وخلَّصه.

ولم يزل يسعى في أثر كل ساقط، جريح، منطرح بين حي وميت يطلب الضال، ويسترد المطرود، يُجْبِرُ الكسير، ويَعْصِبُ الجريح (حز ٣٤ : ١٦).

ولما رآه تحنن:

إن الرب يسوع وهو يقترب من قرية نايين وإذا شاب محمول ميت وهو ابن وحيد لأمه وكانت أرملة، لما رآها يسوع تحنن عليها، وقال لها لا تبكي... ولمس النعش فوقف الحاملون. حينئذ نادى الميت قائلاً: **"أيها الشاب، لك أقول: قُم! فجلس الميتُ وابتدأ يتكلَّم، فدفعه إلى أُمِّهِ"** (لو ٧ : ١٢ ـ ١٥).

هكذا كان حَنَان السامري الصالح، ليست مشاعر بشرية مُجردة، ولا مُشاركة وجدانية عاجزة، تكتفي بالدموع وكلمات الرثاء، لأن ماذا ينفع كل هذا؟ ولكن الحَنَّان القادر على الإقامة من الأموات حَنَان ابن الله الكلمة الظاهر في الجسد، الذي له وحده عدم الموت، واهب الحياة، الذي نادى لعازر من القبر بعد أربعة أيام.

فتقدم وضمد جراحاته:

"فلم يدع إنسانًا يظلمُهُم..." (مز ١٠٥ : ١٤)... **"في كل**

ضيقهم تضايق..." (إش ٦٣ : ٩)... **" أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحمَّلها... وهو مجروحٌ لأجل معاصينا، مسحوقٌ لأجل آثامِنا..."** (إش ٥٣ : ٤ ـ ٥). **"أنا أرعى غنمي وأُربضُها، يقول السيد الرب. وأطلب الضَّال، وأسترد المطرود، وأَجْبرُ الكسير، وأعْصِبُ الجريح..."** (حز ٣٤ : ١٥ ــ ١٦)... **"لأنه هو يجرح ويَعْصِبُ. يسحق ويداهُ تشفيان"** (أي ٥ : ١٨).

هكذا كتب الأنبياء عن مخلصنا الصالح أنه هو شافي سائر أمراض النفس ومُضمّد جراحات الخطية وحده، وليس آخر يستطيع أن يُنجي هكذا.

وربنا ضَمَّد جراحاتنا بجراحاته، وبدل نَزف دمنا بالخطية القاتلة وشوكتها المُرة، قبل أن يَبذِل دمه ويسكبه فداءً عنا. "هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له، فلنسبحه ونمجده ونزيده علوًا" (ثيؤطوكية الجمعة).

وصبّ عليها خمرًا وزيتًا:

وصف الروح القدس حالة بني إسرائيل وقد ابتعدوا عن الرب أنهم صاروا **"من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحةٌ، بل جُرحٌ وأحْبَاطٌ وضربةٌ طريةٌ لم تُعصَر ولم تُعصَب ولم تُليَّنْ بالزيت"** (إش ١ : ٦).

فالزيت، زيت الروح القدس، الذي يلين القساوة، قساوة الرقبة وقساوة الطبيعة والتصلُّب والصَلف...

والخمر، خمر الروح القدس، المقدس والمطهر لسائر الأدناس، وخمر دم المسيح المُعطي الحياة.

وأركبه على دابته:

اِتضع ليرفعنا، وجاع ليشبعنا، وعطش ليُسقينا، افتقر ليُغنينا، لكي نستغني نحن بفقره...

رضى أن يُصلَب على الصليب عُريانًا ليستر عُرينا وخزينا، أي شكر نستطيع أن نُقَدمه لهذا الحنان المترفِق بالخطاة.

وأتى به إلى فندق واعتنى به:

قال الآباء عن الكنيسة المُقدَسة أنها مستشفى، يدخل إليها جميع المصابين بأوجاع الروح وأمراضها فيبرأون، هى مكان شِفاء الجراحات، بيت اللّه، باب السماء.

لا خلاص من خطايا ولا شِفاء من أمراض خارج أسوار الكنيسة، أسرارها كلها معطية الحياة.

⌖ المعمودية خَليقة جديدة وثياب جديدة عِوض العُري والخزي.

⌖ التوبة والاعتراف هو خلع العتيق الفاسد الذي بحسب شهوات الغرور (أف ٤ : ٢٢)، اطرحوا عنكم الكل: الغضب والصِياح والكلام القبيح... إلخ. اخلعوا من جهة التصرف السابق... الأمور التي ذِكرها أيضًا قَبيح.

هنا تفك الكنيسة قماطات الموت ولفائف حيل الشيطان بسُلطان المسيح كما قال للتلاميذ عند قبر لعازر "**حُلُّوهُ ودَعوه يذهب**" (يو ١١ : ٤٤).

⌖ التناول سَريان دم الحياة الجديدة ولِبس المسيح والإتحاد به والاشتراك في الوليمة السمائية ومائدة خبز الحياة والمن المخفي، عِوض الجوع إلى الخرنوب والعطش إلى الشهوات.

⌖ في سر مسحة المرضى، "**وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يُقيمُه، وإن كان قد فعل خطيةً تُغفَر له**" (يع ٥ : ١٥). ومسحة الزيت الروحاني، تنسكب بيد السامري الصالح على جراحات النفس والجسد.

وهكذا يكون دخولنا إلى الكنيسة وتمتعنا بأسرارها، كمن يدخل إلى أحضان الآب تحتويه المحبة وتَشفيه القبلات

وتزيل عنه عار الغُربة وخِزي الخطايا.

وفي الغد لمَّا مضى أخرج دينارين وأعطاهُما لصاحب الفندق وقال له: اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعِند رجوعي أوفيك:

لم يقف عمل الرحمة الإلهية عند هذا الحد، بل امتد وسيمتد إلى يوم رجوعه ومجيئه الثاني فهو يصعد إلى السماء، وسيأتي ثانية كما رأيتموه مُنطلقًا إلى السماء وفي مجيئه سيُجازي كل واحد بحسب عَمَله. ويوفي عبيده الأمُناء أَجر عمل المحبة، لأنه ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة.

الذين يعتنون بالخطاة، ويُضَمِدون الجراحات، ويبذلون الجهد والعُمر محبة في المسيح.

الذين يسهرون على خلاص الآخرين ويُخَلِصوا البعض مختطفين من النار.

الذين يعملون عمل الرحمة على المستوى الروحي، شفقة على الأثمة، ويفتحون أحضان المسيح في كنيسته للضال والمطرود.

الذين صارت راحتهم في حمل الصليب، صليب الآخرين يَنفِقون ويُنفَقون.

الذين عملوا العمل الرسولي، في تعب الخِدمة، خدمة الكلمة وخدمة الأسرار، مُنسَكبين على ذبيحة إيمان أولادهم وصاروا في وسط المخدومين حانين هكذا كما تُربي المُرضِعة أولادها، أو كما في ساعات المُخاض والآلام حتى يتصور المسيح كاملاً في المخدومين.

وكذلك الذين يَعمَلون عمل الرحمة بحسب فعلها الظاهر في افتقاد الأرامل والأيتام في ضيقهم، في زيارة المرضى والمحبوسين، وسَد عوز المحتاجين.

هؤلاء وأولئك، عند رجوعه ومجيئه المجيد سوف يوفيهم أجرًا صالحًا سمائيًا في ملكوته وميراثه الذي لا يضمحل.

دينارين:

دفع الرب لصاحب الفندق المؤتَمن، دينارين، لينفق منهما على سلامة المسكين، لإنقاذ الحياة، ويجمع الآباء على أن الدينارين هما العهدان، القديم والجديد، الحاويان كلمة الحياة النافعة للتقويم والتأديب، التي هى حية وفعالة وأمضى من كل سيفٍ ذي حدين (عب ٤ : ١٢).

والكنيسة هى التي تَنفِق وتُعطي، كمؤتَمنة على الكلمة الحية سَلمها لها المسيح بسلطان، في سر، من الإنجيل توزع

الكنيسة غِنَى للمحتاجين وستر للعرى وقوة للقيام، وراحة للمتعبين، ومن العهدين، الدينارين، تجد النفس المتعبة مراحم اللَّه ونعمته ورحمته وعمل خلاصه.

الكنيسة أخذت من المسيح لتعطي، وتُنفق، الخدمة فيها بذل وتضحية، حب وسَكب، والخادم لا ينتظر مجازاة أرضية أو أُجرة مادية. لكنه بأكثر اجتهاد يعمل منتظر رجوع الرب ومَجيئه الثاني حيث تكون المكافأة ملكوت سماوي وميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل.

أخيرًا بعد أن قال الرب هذا المثال المُحيي، سأل الرب الناموسي قائلاً: فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبًا للذي وقع بين اللصوص؟ فأجاب الناموسي قائلاً: الذي صنع معه الرحمة.

لقد صار المسيح لنا بعمل رحمته على الصليب وافتقاده الخُطاة أقرب من الصَديق وألصق من الأخ.

وما عجز عنه الكاهن (ناموس العهد القديم) واللاوي (الأنبياء) حينما نظروا إلى الجريح فرأوه، ولكن عجزوا عن تقديم المعونة لإنقاذ الحياة، ما عجزوا عنه أكمله المسيح (السامري الشفوق) بحنان بالغ، وصار قريبًا إلينا جدًا إذ

إحتمل آلامنا فصارت محسوسة عنده **"في كل ضيقهم تضايـق، وملاك حَضرَته خلَّصهم" (إش ٦٣ : ٩).**

وصـار قريبًـا لنـا إذا اشـترك معنـا فـي اللحـم والـدم، وأعتـق الـذين كـانوا كـل زمـانهم تحـت العبوديـة بسـبب الخوف.

هكذا تفتخر الرحمة، وحنو المسيح فوق جميع الأحكام والفرائض والوصايا.

فلما أجاب الناموسي هكذا بعقل، بادره الرب قائلاً: اِذهب أنت أيضًا واِصنع هكذا.

لقد وجَّه الرب نظر الناموسي في المرتين إلى ضرورة العمل بمُقتضى الوصايا، فإنه ما لم تخرج الوصايا إلى حيز التنفيذ، وما لم يُترجم الإيمان إلى حياة يبقى ميتًا في ذاته كشجرة بلا ثمر.

فإن كان فِعل الرحمة راق في نظر الناموسي والسامعين حتى إنه رفع الذي صنعها إلى مرتبة أقرب من النبي والكاهن، فالرب يسوع الذي مجَّد الرحمة وأكملها لنا، يدعونا أن نذهب ونصنع نحن هكذا.

ولكن من أين للإنسان أن يصنع هكذا إن لم يؤتمن على روح المسيح وفكر المسيح، إذ يَستحيل على الإنسان في ذاته

أن يضع نفسه هكذا من أجل الآخرين.

✥ على هذا نجد أن صانع الرحمة بهذا المفهوم هو المسيح وحده وكل من أخذ روح المسيح فإنه يعمل الأعمال ذاتها كما قال الرب للرسل الأطهار.

لنسلُك بالروح، ونحب الرب من كل القلب ومن كل الفكر... ونحب قريبنا كنفسنا محبة عملية بإيمان ولنمجد المسيح الإله الذي تنازل وأنقذ ضعفنا من موت الخطية وسطوة الشيطان، وداوى جراحنا بزيت نعمته وخمر محبته وأدخلنا إلى فندق كنيسته واعتنى بنا بكهنة عهده الجديد في خدمة أسراره المحيية إلى يوم ظهوره وملكوته، له المجد في كنيسته من الآن و إلى الأبد. آمين.

{ ١١ }

مثل شجرة التين (لو١٣ : ٦ ـ ٩)

"وقال هذا المثل: كانت لواحدٍ شجرةُ تينٍ مغروسةٌ في كرمه، فأتى يطلب فيها ثمرًا ولم يجد. فقال للكرَّام: هوذا ثلاث سنين آتي أطلب ثمرًا في هذه التينة ولم أجد. اِقطعها! لماذا تُبَطِّل الأرض أيضًا؟ فأجاب وقال له: يا سيد، اترُكها هذه السنة أيضًا، حتى أنقُب حولها وأضع زِبْلاً. فإن صنعت ثمرًا، وإلا ففيما بعد تقطعُها" (لو ١٣: ٦-٩).

المُناسبة التي قِيل فيها المثل:

قال الرب هذا المثل تعقيبًا على ما نقله إليه قوم من أخبار عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم، ويبدو أن آخرين أيضًا أخبروا عن أولئك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج في سلوام فقتلهم... وهكذا تدور أحاديث الناس وهكذا يتناقلون الأخبار كل يوم، ولا يخلو يوم من حوادث، ولا تقف الكوارث عند حد، بل ما دام العالم موجودًا بهيأته الحاضرة، خاضعًا للبطل ليس عن طوع بل أن الخليقة كلها تئن وتتوجع مترقبة كمال الزمان حين تنعتق الطبيعة من الفساد حين تصل إلى زمان استعلان أبناء الله وكمال الخلاص.

إلى ذلك الحين العتيد أن يكون، ستظل هناك حروب وأخبار حروب ومجاعات وأوبئة، وحوادث قد تبدو مُفزِعة ومُفجعة أو مُتعجبة في زمانها وكأنها غريبة من غرائب الدنيا. غير أن واقع هذا العالم الذي نعيشه أثبت أنه لا نهاية لمفاجأته ولا غريب تحت الشمس بل زمان مضى وزمان يجيء، وأحداث تنسخها أحداث أشد وأقوى ومفارقات ومآسي... إلى آخر هذه الأمور.

ولكن الشيء المُستغرب حقًا هو موقف الإنسان من هذه الأمور... في كل زمان... الناس سريعًا ما تنقل الأخبار، تسردها وتتحدث بها ويتناقلها إنسان عن آخر. وعبارات أسى وكلمات فيها أنين، وما يكاد الإنسان يسمع عن أخبار مُروعه حتى ينقلها بدوره إلى آخرين فلا يستطيع أن يحتفظ بها، وكأنها شيء يثقل كاهله ويؤلمه.

ومن السلوك الإنساني الطبيعي، أن الناس سريعًا ما يتأثرون بهذه الحوادث تأثيرًا وقتيًا ينتهي عند سرد الأحداث والانفعال لها انفعالاً كلاميًا، ثم ينخرطون في خضم الحياة التي يحيوها، كل واحد في مشاغله واهتماماته اليومية بالطريقة التي يعيش بها.

وقليلاً جدًا ما غيرت هذه القصص والأحداث التي تُحيط بالإنسان التي يسمع عنها أو يَراها، قليلاً ما غيرت من فكره أو من سلوكه أو حولت من طريقته في الحياة، وكأن هذه الأحداث التي سمع عنها، كأنها على هامش الحياة، هى تمس أشخاص آخرين ولكنها لا تمس حياته الشخصية لا من قريب ولا من بعيد.

وهكذا حينما انحصر الإنسان في ذاته وتحوصل في أنانيته لم يعد يهز كيانه سوى الأمور التي تمسه هو شخصيًا في ذاته، وهذا هو واقع الإنسان الذي ذكره الشيطان أمام اللَّه حينما اشتكى على أيوب البار قائلاً: **"جِلْدٌ بجِلْدٍ، وكل ما للإنسان يُعطِيه لأجل نفسه"** (أي ٢ : ٤).

سؤال: تُرى لماذا يسمح اللَّه أن تَمُر مثل هذه الأحداث؟

إن في الحياة الشخصية لكل واحد خبرات وخبرات... كم من أحداث مرت بنا، كم من حوادث رأتها العين، كم من نكبات مؤسفة سمع عنها الإنسان وقرأ عنها أيام وأيام.

إن عالم اليوم يختلف كثيرًا عنه بالأمس، فعالم اليوم صغير... صغير جدًا، ما يحدث في أطراف الأرض، تَسمع عنه وتراه في ذات اليوم، وسائل الإعلام المختلفة تَنقل لك

كل ما يَجري تحت السماء.

ولا تخلو نشرة أخبار واحدة من ذكر حوادث طبيعية في مناطق متفرقة من العالم يروح ضحيتها عشرات وربما مئات بل أيضًا حروب وانقسامات، وإرهاب وتخريب، وأحداث دامية، ومأساوية... شيء رهيب حقًا.

ولكن ما هو موقفنا إزاء ما يدور حولنا؟

نفس القصة متكررة، نتناقل الأخبار ونُبدي دهشتنا أو استياؤنا أو حزننا أو رهبتنا... إلى آخر هذه الانفعالات الوقتية. وهذا السلوك عينه، نعيشه كلما عَرض لنا أن نسمع عن شيء غير عادي يَجري في عالمنا.

ولكن الشيء الذي نبه الرب يسوع إليه ذهننا، هو أنه حوَّل مجرى كلام أولئك القوم الذين اخبروه ونقلوا إليه الأخبار، حوَّل الحديث عن الآخرين والاهتمام السطحي والشكلي بالأخبار الخارجية إلى حديث يخصهم هم أنفسهم.

وحوَّل دفة الحديث من أخبار وحوادث إلى حديث عن التوبة وخلاص النفس، واخرج من مادة الحديث هذه ومن الحوادث درسًا للرجوع إلى الله.

كيف كان ذلك؟

سألهم الرب: أتظنون أن هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر من كل الجليليين لأنهم كابدوا مثل هذا؟

ولم ينتظر الرب إجابة من اليهود بل بادر هو بالإجابة قائلاً: كلا أقول لكم بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون، وهكذا كرر الرب قوله بالنسبة للذين سقط عليهم البُرج مكررًا عبارته لسامعيه... إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون...

فالفكر اليهودي، الفريسي الذي يميل إلى تبرير الذات ودينونة الآخرين واحتقارهم، كان يقول إن هؤلاء الجليليين ما كابدوا هذا العذاب إلا لكونهم أكثر خطية وأحق بالعقاب، وهكذا كان الشيطان يَعمل في قلب الناس، يشوه الحق ويجرف الإنسان بعيدًا عن خلاصه والاهتمام به.

تمامًا كما فعل الفريسي حينما برر ذاته على حِساب العشار، إستذنب العشار ودانه لكي يتزكى هو في عيني نفسه، فنزل العشار إلى بيته مبررًا دون ذاك.

وكما جال أيضًا في خواطر التلاميذ حينما سألوا الرب قائلين: "من أخطأ: هذا أم أبواه حتى وُلِد أعمى؟" فأجابهم الرب يسوع قائلاً: لا هذا أخطأ ولا أبواه حتى ولد أعمى، ولكن لتظهر أعمال الله فيه.

علـى هـذا كشـف الـرب أعمـاق القلـوب الفريسـية قـائلاً: أتظنـون أن هـؤلاء الجليليـين كـانوا خطـاة أكثـر... كـلا أقـول لكـم. هـل كانـت خطيـتهم أكثـر مـن بـاقي الجليليـين...؟ كـلا أقول لكم.

وبالأولى هل كانت خطاياهم أكثر من خطاياكم أنتم؟ كلا أقول لكم.

ما كان مستحيلاً على القلب الفريسي، أن يضـع نفسه فـي مصاف الخُطاة جعله الرب سهلاً وميسورًا حينما يتنقي الفكر وتتكشف خطاياه في نور وجه يسوع المسيح.

حينمـا يعاقـب الآخـرون، يقـف أصـحاب القلـوب الفريسـية موقـف الدينونـة وتحليـل الأخبـار بحسـب هـوى نفوسـهم، بينمـا لسان حال القديسين يقول: "لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصِرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة".

فالقديسون يميلون إلـى تبرير الآخرين وسريعًا ما يلتمسون لهم العذر، أما أنفسهم فيرجعون بالملامة على ذواتهم فـي كل شـيء وهـذا هـو الفـرق الجـوهري الـداخلي الـذي تكشـف عنـه التصرفات الخارجية.

دعوة إلى التوبة:

إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون:

التوبة هى تغيير الفكر وتغيير الحياة، وَعظ النفس وتبكيتها ومعرفة خطورة حالتها إن هى أكملت مسيرتها في حياة التهاون والبُعد عن الله، وليس أقدر من الحوادث المروعة التي تهز الكيان والكوارث والفواجع، ليس شيء أقدر منها على تحويل مسار النفس ومراجعتها وردها إلى سبل البر.

فإن لم تتب النفس ولم تتعظ من الأمور غير الطبيعية، فماذا يكون مصيرها؟

وكأن الفُرص التي تسوقها النعمة فيما يرى الإنسان ويسمع، كأنها مُهيأة من الروح واحدة بعد الأخرى كمداخل للتوبة وكتنبيهات للنفس الغافلة لعلها تفيق من غفلتها. والدارس في سير القديسين يدرك كم كان آباؤنا يغتصبون فُرص التوبة ويستجيبون لأول نداء لتحرك النعمة في داخل قلوبهم.

فها القديس أنبا بولا أول السواح، يُحرِكه مشهد جنازة أحد العظماء، لكي يلقي عنه كل اهتمامات هذا العالم الزائل ويجول في البراري والقِفار محبه في الملك المسيح وغِنى ميراث القديسين.

وكـم مـن ألـوف تغيـرت حيـاتهم ممـا رأوا فـي الحـروب أو الكـوارث الطبيعيـة إذ تحققـوا زوال هـذا العـالم وكـل ما فيه.

هكذا حـوَّل الـرب الحـديث مـن كونـه سـردًا للحـوادث إلـى دافـع للتوبـة وتغييـر الحيـاة وإلـى مراجعـة الـنفس قياسًـا إلـى الحـوادث وأن الجميـع تحـت الحكـم، ولـيس مـن ينجـي نفسـه، لأن أي إنسان يحيا ولا يرى الموت.

مَثل شجرة التين:

تبع الرب حديثه السابق بكلمات هذا المثل الحي والواقعي معًا قـائلاً: "كانـت لواحدٍ شجرة تينٍ مغروسةٌ فـي كرمـه، فـأتى يطلب فيها ثمرًا ولم يجد".

ومن سياق حديث الرب ندرك أن التوبة التي كان يحدث الجميع عنها هى الثمرة المشتهاة في عينـي الـرب، ثمرة الحياة التي أعطاها والغرس الذي غرسته يمينه.

وبـادئ ذي بـدء لا بـد لنـا أن نُـدرِك القصـد الإلهـي مـن وجودنـا فالشـجرة مغروسـة لكـي تثمـر، فـإن كنـا نحـن عملـه وغرس يمينه فغاية وجودنا هى أن نثمر لله.

وثمـر الـروح هـو محبـة، فـرح، سـلام، طـول أنـاة، لطـف،

صلاح، إيمان، وداعة، تعفف.

وهذا الثمر فينا يصير دليل شركتنا في الروح وثباتنا في المسيح، والله يأتي إلينا يطلب ثمرًا في أوانه بحسب الزمان الذي يعطيه هو، الذي ينبغي أن تنضج فيه الثمار، وبدون هذا الثمر لا يمكن إرضاؤه...

وهذا الثمر يُفرِح قلب الله.

والرب يسوع قال: إن الشجرة مغروسة في كرمه والكرمة المشتهاة هى الكنيسة التي هى جسده.

ونحن مغروسون فيه، بالمعمودية، صِرنا أغصان في الكرمة الحقيقية، وكل غصن لا يأتي بثمر ينزعه... وكل ما يأتي بثمر يُنقيه ليأتي بثمر أكثر.

☩ تذكر كيف لعن يسوع شجرة التين التي لم يكن فيها ثمر، فيبست من أصولها، وقال لها لا يأكل أحد منك ثمر فيما بعد، وهى إن كانت رمزًا لحياة المظاهر الكاذبة، وشكل التقوى بدون ثمر، صار للأحياء بالمسيح الثابتين فيه قوة لرفض الحياة المظهرية وكشف أغوارها، إذ لم يعد يستهويهم زيف الأوراق وحياة القشور الكاذبة فلا يمدوا أيديهم ليأكلوا من زيف ثمرها فيما بعد.

☩ تأمل لُطف الله وطول أناته، فهو يطلب الثمر مرات

متكررة وفي سنوات متتالية متأنيًا عليها. إنه بطيء الغضب، وكثير الرحمة، يَصبر على التينة لعلها تنضج ثمرًا، ويعطيها رجاء، وإذ فشلت في إنضاج الثمر، أعطاها فرصة أخرى وثالثة...

ولكن ليس هكذا يصير جزاء لُطف اللَّه وإمهاله وطول أناته كما يقول الرسول إن عدم استغلال طول أناه اللَّه سمّاه الرسول بولس إستهانه به **"أم تستهين بغنى لطفِهِ وإمهالِهِ وطول أناته، غير عالمٍ أن لُطف اللَّه إنما يقتادك إلى التوبة؟"** (رو ٢ : ٤).

فهو إن أعطى فُرصًا متكررة فإنما تكون غايتها أن تتغير النفس التائهة وترجع إلى ذاتها وتراجع حساباتها وتقدم توبة إلى الرب وتعطي ثمر الحياة الأبدية.

⌖ يقول بعض الآباء أن الثلاث سنوات التي يطلب فيها الرب ثَمره هى مراحل حياة الإنسان في طفولته وشبابه وشيخوخته، فاللَّه يمهل الإنسان إن ضاعت منه فرص التوبة والحياة للَّه في مرحلة، فإنه يعوضه إياها بأخرى عوض السنين التي أكلها الجراد.

لا تظن يا هذا أن قلع الشجرة يشوبه شيء من التسرع أو

عدم الصبر حاشا... فكل أعماله بحكمة صنعت وإرادته صالحة دائمًا.

شفاعة الكرّام:

✥ يبدو واضحًا من كلام الرب أن الشجرة عديمة الثمر صارت تُبطل الأرض، ليس فقط أنها لا تنضِج ثمرًا. بل صار لوجودها أضرارًا سلبية، صارت تبطل الأرض.

فهي مغروسة فيها محسوبة عليها، تمتص قوتها وتستهلك عافيتها، فلو لم توجد لتركت المجال لغيرها ينمو ويستفيد، وهذا أمر يحتاج إلى مراجعة للنفس، ومراجعة للمواقف...

فليس صحيحًا أن يظن إنسان أنه لا يضر أحدًا ولا يؤذ أحدًا فهو من النواحي السلبية والخطايا نحو الآخرين وإيذائهم يقف موقف الحياد كشجرة لا تعطي ثمرًا... وبهذا يكتفي الإنسان ويستريح ضميره، مثل الفريسي الذي افتخر أنه ليس مثل سائر الناس الخاطئين الظالمين الزناة.

✥ الواقع أن هذا الفكر خاطئ من أساسه، ربما يريح ضمير المتوانين. إن كل شجرة مغروسة في حقل الكنيسة، تشرب تعاليمها وتمتص عصارة حياة الروح فيها ولا تؤتي ثمر الروح من المحبة والفرح والسلام واللطف والوداعة

والصــلاح والتعفـف... فإنهــا تكــون محســوبة إنهــا تبطــل أرض الكنيســة المُعتبـرة أنهــا الأرض الجيــدة والجديــدة فــي آن واحد.

قال الرب عن التينة، موجِهًا كلامه للكرَّام... اقطعها لماذا تبطل الأرض؟ ولكن يا للصوت الرحيم الشفيع الذي نطق به الكرام المبارك يستعطف صاحب الكرم قائلاً: اتركها هذه السنة أيضًا حتى أنقب وأضع زبلاً فإن صنعت ثمرًا وإلا ففيما بعد تقطعها.

⌖ أعطى الرب فرصة ثلاث سنين متتالية للتينة، ملتمسًا لها الأعذار بلا عقوبة، مع طول أناة اللَّه ولطفه وإمهاله، برجاء حي، ولكن التينة كانت في كل فرصة ثمر تبدو مُخيِّبة للآمال، ربما اكتفت بالورق، وغرها المظهر الكاذب...

ولكن ها فرصة أخيرة تأتي على غير التوقع، فإن سكن الإنسان إلى نفسه بهدوء يشعر يقينًا أن معاملات اللَّه معه كانت على هذا المستوى العجيب... كم من مرة تجددت لنا فرصة الحياة؟!

- مرات كثيرة ننجو من موت مُحقق أنها فرص أخرى لعلنا ننضج ثمرًا للروح لاقتناء النفس للخلاص.

- كم من مرة تهيئ لنا النعمة فرصًا كأنها جديدة بعد

انتهاء الفرص التي أتت متكررة وكان يظن أنه لا وجود لفرص أخرى.

- كم من مرة يستجيب الرب لشفاعة تصرخ من أجلنا فيبقي لنا بقية بعد أن نكون مستوجبين حكم الدينونة.

⌖ انظر كيف وقف موسى – كرمز للمسيح – موقف الكرام متوسلاً إلى الله من جهة إسرائيل حين كاد الغضب الإلهي أن يفنيهم بسبب قلة إيمانهم وغلاظة قلوبهم، حين قال الله: **"اتركني فأُبيدهم وأمحوا اسمهم من تحت السماء، وأجعلك شعبًا أعظم..."** (تث ٩ : ١٤).

كان الله قد أوشك أن يَقطع هذه التينة، ويهلكها لولا هذا الشفيع الواقف يتوسل لدى الله بسؤال الصلاة قائلاً: "وصليت للرب وقلت يا سيدي الرب لا تهلك شعبك وميراثك..." حتى بلغت به الدالة التي ما بعدها دالة إذ يقول: "إن غفرت خطيتهم وإلا فامح اسمي من كتابك الذي كتبت".

إلى هذه الدرجة يقف القديسون، الذين ائتمنهم على كرمه... وسماهم أحباءه، فموسى دُعي كليم الله، وإبراهيم أبونا دُعي خليله، وعاموس النبي يقول: إن الرب لا يصنع أمرًا إلا ويُري عبيده الأنبياء ما لا بد أن يكون، بل كتب في المزمور أنه يصنع إرادة خائفيه.

فإن كان قد صار هكذا في العهد القديم حيث الظلال والرموز فكم يكون الحال في الحياة الجديدة والخليقة الجديدة.

لقد صار الكرَّام هو شخص ربنا يسوع المسيح نفسه، وصار وسيطًا لدى الآب ودمه الذي بذله عنا صار كفَّارة لخطايانا، ليس بتوسلات كما في العهد القديم، بل بقوة الدم الإلهي وفِعل التطهير يقدس الذين يتقدمون به إلى اللَّه كل حين.

⌖ وعلى هذا أيضًا صار في الكنيسة، في الرعاة والقديسين، الذين لهم روح المسيح، وميراث الرسل الأطهار، صار لهم به جراءة وقدومًا لدى الآب، ودخول إلى ما داخل الحجاب، يطلبون ويتوسلون... والرب يستجيب ويعطي فرصًا جديدة لشجرة التين، لعلها تصنع ثمرًا.

قال الكرَّام، إنه من باب العناية بالتينة، أنه مزمع أن ينقب حولها ويضع زبلاً...

إنه عمل مُكثف وجهد مُركز، عناية خاصة تحتاجها هذه الشجرة في هذه المرحلة الأخيرة...

يا ليت الرعاة والمؤتمنين على خدمة النفوس تلهبهم هذه الغيرة لبذل قصارى الجهد نحو هذه العينات التي أنقذتها شفاعة الكرَّام وتوسلات الصلاة من أن تكابد المصير

المحتوم وحفظتها حتى هذه الساعة معدودة من جملة الأحياء.

أين العرق الكرازي والدأب والسهر، في الحفر والتنقيب حول الشُجيرات التي كادت تخنقها أشواك الخطية أو امتصت الحشائش عُصارة حياتها فحرمتها من ثمرة مشتهاه.

أين سواعد الخُدام، تَقبل التعب بفرح حتى تتعمق حول جذور هذه الشجرة لتتعرف بعمق على المشكلات الخانقة والقاتلة للحياة الروحية.

⌖ أين سقي الروح ودسم النعمة... الذي حينما يُحيط بالنفس فإنه يحيي موتها ويُنعش حياتها ويجعلها تنمو وتثمر لله.

⌖ لقد صادف سؤال الكرام وتوسُله قبولاً حسنًا لدى مخلصنا الله، فهو لا يشاء موت الخاطيء مثلما يرجع وتحيا نفسه، قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ، فتوسلات القديسين ودموع الكرامين وصراخهم "اتركها هذه السنة أيضًا". هذه الطلبة على وجه الخصوص، يستجيب لها ويفسح مجالاً لعمل رحمته وطول أناته ويظهر لطفه وإمهاله.

وكم من مرة تكلم الرب على شعب بالهلاك والقلع والهدم،

ثم صار هذا بمثابة إنذار، فقام الشعب ورجعوا إليه بالتوبة والدموع ورجع كل واحد عن طريقه الردية، فعاد الرب وندم عن الشر وبدَّل العقوبة خلاصًا.

وها قصة أهل نينوى تقف شاهدة على رحمة الله غير المحدودة ولجة حبه غير الموصوفة.

على هذا نستطيع أن نستثمر هذا الموقف لحساب توبتنا إذ نحسب أن كلمات التوبيخ والتأديب وكلمات الإنذار الشديدة، هى شفاء النفس المتوانية... ونثق في الحب اللانهائي. الذي لا يتركنا إلى النهاية بل إن كل من يحبه يؤدبه ويوبخه.

⌖ كان القديس يوحنا المعمدان، المُترجَم اسمه الله حنان، يَكرز ويُبشّر بحنان إلهي لرد قلوب العُصاة ولكن كانت الكلمات حازمة وحاسمة، وضعت الفأس على أصل الشجرة... "كل شجرة لا تصنع ثمرًا تُقطع وتُلقى في النار". هذه كلمات حنان ولطف إلهي وإن اتخذت طبع روح إيليا الناري وقوته لكي لا تعرج النفس بين الفرقتين... بل تصير كلها للرب ولمسيحه.

⌖ ليحسب كل واحد نفسه أنه يعيش هذه السنة الأخيرة، وأنه إن كان له بعد بقية من أيام، فليس هذا

عن استحقاق أو كأن له مُتسع من الفرص، وأن ما مضى من زمن كان مليئًا من ثِمار... بل على العكس، كان الرسل الأطهار يكررون "أنها الساعة الأخيرة لنسهر ونصح". خلاصنا الآن اقرب مما كان حين آمنا.. أنسى ما هو وراء وأمتد فيما هو قدام... لست أني قد نلت أو صرت كاملاً... أسعى لعلي أدرك الذي من أجله أدركني المسيح... وكان إحساسهم يتزايد بقرب مجيء الرب وانتهاء الزمان...

وها الكنيسة تُعلمنا أن نصلي في ساعة الغروب، أنه قد مضى منا النهار وفات والآن أتكل على غنى رحمتك... أي أنه ما بقى من الزمن ليس سوى الساعة الحادية عشرة كفرصة أخيرة للتوبة والرجوع.

فلنحسبها إذن ساعة خلاص ووقت مقبول ونجتهد بالصوم والصلاة والسهر وتقديس الحياة لعلنا نفوز برحمة، فتعمل النعمة فينا عملها وتثمر فينا فنُفرِّح قلب الله.

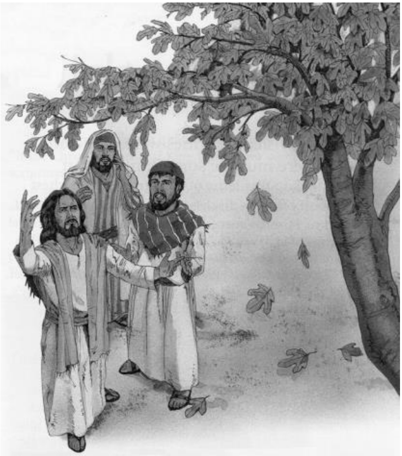

{١٢}
مَثل العبد غير الرحيم

(مت ١٨ : ٢١ ـ ٣٥)

"حينئذٍ تقدَّم إليه بطرس وقال: يارب، كم مرَّةً يُخطئ إليَّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مراتٍ؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرةً سبع مراتٍ. لذلك يُشبه ملكوت السموات إنسانًا ملكًا أراد أن يُحاسب عبيده. فلمَّا ابتدأ في المحاسبة قُدِّم إليه واحدٌ مديونٌ بعشرة آلاف وزنة. وإذ لم يكن له ما يوفي أمر سيده أن يُباع هو

وامرأتـه وأولاده وكـل مـا لـه، ويُـوفي الـدين. فخـرَّ العبـد وسـجد لـه قـائلاً: يـا سـيد، تمهَّـل علـيَّ فأوفيـك الجميـع. فتحـنَّن سـيدُ ذلـك العبـد وأطلقـه، وتـرك لـه الـدين. ولمَّـا خـرج ذلـك العبـد وجـد واحـدًا مـن العبيـد رُفقائـه، كـان مـديونًا لـه بمئـة دينـار، فأمسـكه وأخـذ بعنقـه قـائلاً: أوفـني مـا لـي عليـك. فخـرَّ العبـد رفيقـه علـى قدميـه وطلـب إليـه قـائلاً: تَمهَّـل علـيَّ فأوفيـك الجميـع. فلـم يُـرد بـل مضـى وألقـاهُ في سـجنٍ حتـى يُـوفي الـدين. فلمـا رأى العبيـد رُفقـاؤه مـا كـان، حزنـوا جـدًا. وأتـوا وقصُّـوا علـى سـيدهم كـل مـا جـرى. فـدعاه حينئـذٍ سـيده وقـال لـه: أيهـا العبـد الشـرير، كـل ذلـك الـدين تركتـه لـك لأنـك طلبـت إلـيَّ. أفمـا كـان ينبغـي أنـك أنـت أيضًـا تـرحم العبـد رفيقـك كمـا رحمتـك أنـا؟ وغضـب سيده وسـلَّمه إلى المعـذِّبين حتـى يُـوفي كـل مـا كـان لـه عليـه. فهكـذا أبـي السـماوي يفعـل بكـم إن لم تتركـوا مـن قلـوبكم كـل واحـد لأخيـه زلاتِـهِ"

(مت ١٨ : ٢١ ـ ٣٥).

اتساع الوصايا المسيحية:

سأل القديس بطرس الرسول الرب، كم مرة يخطئ إلـيَّ أخي وأنا أغفر له، هل إلى سبع مرات؟

فأجابه الرب: لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات...

وقد كشف الرب بهذه الكلمات عن طبيعة الوصايا المسيحية وعدم التقيد بالحرف اليهودي.

فالأساس في هذه الوصية هو قبول توبة الأخ المخطئ في حقي، إذا رجع تائبًا، والغُفران والصَفح القلبي من نحوه هذا هو عمل روحاني داخلي وحركة باطنية يعملها روح الله في حياة السالكين بالروح في طريق الملكوت.

فهل تُقيَّد هذه الحركة بأعداد حتى إذا ما كملت سبع مرات تتوقف حركة الغفران ويرتاح الضمير في العداوة؟

حاشا، إن الذين استؤمنوا على روح المسيح في الغفران والمحبة والعطاء والبذل وإنكار الذات لا توجد قوة في الوجود تستطيع أن تمنعهم عن الاستمرار في العطاء، بل على العكس فإن قوة الغفران والصفح والمحبة القلبية تغلب البغض والضغينة والشر كما تغلب أشعة النور فلول الظلام، وكما لا تقوى الظلمة على الصمود أمام النور هكذا فإن النور الذي فينا يصير قادرًا على تبديد الظلام مهما كان قدره.

فهل إلى سبع مرات ثم نعجز عن الغفران؟

وهل إلى سبع مرات ثم ننقلب إلى العداوة؟

وهل إلى سبع مرات ثم يرتاح الضمير كأنه وصل إلى أقصى المدى؟

لا بل إلى سبع مرات سبعين مرة، يقول المرتل لكل تمام رأيت منتهى أما وصاياك فواسعة جدًا.

لا حدود للوصية في الحياة المسيحية، لأنها وصايا لا نهائية، ننمو فيها كل يوم، ونكملها على قدر الاستطاعة ولكن كمالها اللانهائي يبقى عاليًا ومتسعًا جدًا.

فإن كانت علوم هذا عددها في العالم متفرعة ومتشعبة وتخصصات لا حصر لها ولا عدد، ويسعى العلماء كل يوم ويتقدمون في المعرفة والاكتشافات... وعجلة التقدم تسير بسرعة مذهلة، ومع كل هذا لا يدعى عالم من أساطين العلم أنه بلغ الكمال، فما زال المجال متسعًا وأسرار العلم أعلى من قامته بما لا يقال، فإن كان الحال هكذا مع علوم الأرض فكم يكون الحال مع أسرار الملكوت ووصايا المسيح.

لذلك قال الرب، سبعين مرة سبع مرات، أي بهذا الاتساع اللانهائي يكون الغفران، وهل يعقل أن يخطئ إليك إنسان هذا العدد في اليوم الواحد؟

إذن المسيح المبارك بهذا الرد على استفسار القديس

بطرس الرسول كشف عن اتساع الوصية وشمولها وكيف أنها تصل بالإنسان أن يكون صاحب قلب يتسع لإساءات هذا عددها من شخص واحد في يوم واحد.

فإن تأملت إلى إنسان امتدت به الوصية إلى هذا الحد من الغفران فأي إنسان ملائكي يكون هو، وأي قلب رحيم يحمل بين جانبيه، إنه أفضل منظر سماوي يمكن أن تراه حقًا.

فإن كانت الخطية تغلق على الإنسان وتحط من شأنه وإمكانياته، فإن وصية المسيح ترفعه فوق مستوى الطبيعة وتُصِّيره جديرًا بميراث مجد ملكوت ابن اللَّه.

إمكانية التنفيذ:

ولكن يقول قائل هل هذا الكلام يمكن تنفيذه، هل يصلح للحياة العملية، هل يستطيع أحد مهما أوتي من قوة أن يغفر للأخ المسيء سبعين مرة سبع مرات في اليوم؟

الواقع أن مناقشة القضية على هذه الصورة نظريًا يجعلها مستحيلة وتضع الإنسان في موقع العاجز وتضع الوصايا في مكان مرتفع عن قامة الإنسان فيصير الإنسان في صغر النفس ويبتلع من اليأس القاتل.

إن وصايا المسيح لـه المجد للاختبار، يبدأ الإنسان فـي قبول الحق الإلهـي فيهـا، ويقتنـع قناعـة الإيمـان أن هـذا هـو الطريـق الأوحـد وأن دونـه ضـياع وفقدان، وأن وصـايا يسـوع مُدّخَر فيهـا كـل الحكمـة الإلهيـة المرتفعـة بمـا لا يقـاس عـن أفهـام البشـر وقياسـهم. وإنـه مهمـا سـما عقـل لإنسـان ومهمـا بلغـت فطنتـه فإنـه صـغير وجاهـل بمـا تحويـه الوصـايا مـن حكمة نازلة من فوق.

فـلا يتصـور الإنسـان بحـال مـن الأحـوال أن فكـره يُخلِّصـه وأن تـدبيره الخـاص وتصـريفه للأمـور أكثـر نفعًـا أو أنـه إذا انصـاع للوصـية وخضـع لنيرهـا فإنـه سيخسـر ويتأخر.

لابد للإيمـان أن يسبق ويترسخ فـي قلـب وذهـن الإنسـان، إن الخسـارة التـي قـد تحـدث بسـبب تنفيـذ الوصـايا أفضـل بمـا لا يُقـاس مـن المكسـب الـذي يتـأتى بالسـعي وراء الـذات وتنفيـذ المشـيئة الخاصـة وطاعـة العقـل والفكـر والمنطـق البشري.

وهنـا حين يلقـي الإنسـان جانبًـا كـل حكمـة النـاس ومشـورة العقل ويلقـي رجـاءه بالتمـام باتكـال كامـل علـى النعمـة ويقبـل روح الوصـية بحـب وخضـوع إرادي، حينمـا يكـون تـدبير

الإنسان الداخلي وقناعته الباطنية مرتكزة هكذا على الإيمان بالمسيح والثقة فيه والمحبة له، حينئذ تصير الوصايا محبوبة، والبذل فيها مُحبب للنفس مُيسّرًا (بل في ساعتها تحسب يقينًا أن المر الذي يختاره ليَّ الرب خيرٌ من الحلو الذي أختاره لنفسي).

⌖ وحين تبتدئ النفس تدخل أولى خطوات التنفيذ للوصية تكون كمن اقتحمت دائرة النور الذي لا يُدنى منه، وفي انعكاس هذا النور تنفتح البصيرة وترى النفس الأمور التي لا يُنطق بها...

مثل الشهداء، حافظي وصايا يسوع وشهاداته، حين خطوا بأرجلهم دائرة الشدائد محبة في المسيح، انفتحت لهم السماوات وذاقوا أطيب ما في المسيحية من خِبرات عزاء وفرح وحب، بل انفتحت عيونهم على الأبدية كمثل استفانوس الشهيد الأول الذي رأى السموات مفتوحة فاستهان بآلام رجم الحجارة، ونطق بكلمات الغفران في أقسى ظرف يتعرض له إنسان من مسيئين أبغضوه بلا سبب.

هنا تخطى الغفران ما قد يتصوره البعض من حدود في الوصايا، لقد زاد استفانوس على حدود السبعين مرة سبع مرات، فلم يعد الغفران كلمات أو حتى نقاوة

قلب نحو مُسيء في أمر يهون، بل صار غفرانًا للقاتلين والراجمين تخطى كل منطق بشري وحدود القامة الطبيعية إلى ما هو فوق الطبيعة... إلى طبيعة غفران المصلوب لصالبيه... وباختصار فإن اسطفانوس صار نموذجًا لاستمرار الصليب وقوة المصلوب وروح المصلوب في آن واحد.

إذن فليس علينا إلا أن نمتلئ من روح الإيمان هذا، ثم نتبعه على الفور بالتطبيق العملي الناتج عن التصديق القلبي بفاعلية الوصايا ومنفعتها ليس للحياة الحاضرة فقط بل وللحياة الأبدية بالأحرى.

وما أن يبتدئ الإنسان في التنفيذ المستَنِد على التصديق والثقة في كلام المسيح، حتى تؤهله النعمة وتحمله على الصعود على الدرجات الأعلى مثل أم تهتم بصغيرها.

وما أن يتذوق الإنسان النعمة الكائنة في الوصايا حتى يشتهي أن يبذل أكثر وحتى يشتهي أن يَنفِق ويُنفَق.

وما أن تتحرك هذه الشهوة المقدسة في الإنسان حتى تكون النعمة قد هيأت فرصًا أوسع للتنفيذ، كأن تضع النعمة في طريق الإنسان إمكانيات البلوغ للدرجة الأعلى،

وهذا ربما يكون على شكل امتحان للإرادة والثبات في الإيمان أو القدرة على البذل والتصدي للحكمة البشرية ومشورة العقل الذي يحاول أن يعرقل سير النفس وصعودها ويستميلها باستمرار أن تتعقل بذاتها، فإن هى أصغت إلى هذا الصوت تتعطل مسيرتها نحو الهدف السماوي.

هكذا يبلغ الإنسان، سبعين مرة سبع مرات، بل وأكثر وأكثر بلا حدود، كلما احتضن الوصايا في قلبه ودفعه الحب للمسيح كطاقة جبارة، إذ يفعل كل شيء محبة في ذاك الذي أحبنا حتى الموت وحتى الصليب، ومهما عمل الإنسان فإنه لا يطغي عليه روح التفاخر كأنه عمل شيئًا بل يحسب دائمًا نفسه كأنه ما عمل شيئًا بل يصير لسان حاله يقول: "أنا ما أنا بل نعمة الله التي معي".

وإن عمل كل البر يقول: "أنا عبد بطال لم أفعل إلا ما أمرت به".

ملاحظة هامة:

هناك ملاحظة هامة لا يجب أن تفوتنا ونحن بصدد الحديث عن تنفيذ مثل هذه الوصايا (الصعبة)، إن وصايا يسوع المسيح ربنا لا تُنفذ بعيدًا عن يسوع المسيح نفسه،

أليس هو القائل بدوني لا تقدرون أن تَفعلوا شيئًا، فهي إذن ليست قدرات بشرية ولكن يجب على النفس أن تنموا بالحياة في المسيح أولاً لكي تستطيع أن تُنفِّذ الوصية... أي أن المسيح فينا هو الذي يعمل الأعمال والله هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة.

وهذا يُفسِر مرات الفشل والتناقض الرهيب في حياة الذين يريدون أن ينفذوا وصايا يسوع دون أن تكون لهم شركة في سر المسيح وحبه من كل القلب والحياة به وله وفيه سواء بالأسرار أو بالكلمة والتسبيح والصلاة وكل وسائط نعمة المسيح بالروح القدس.

المثل:

بعد أن تقدم بطرس وسأل الرب هكذا... وقد جاوبه الرب بقوله لا أقول لك سبع مرات بل سبعين مرة سبع مرات استطرد الرب قائلاً: لذلك يشبه ملكوت السموات... وأكمل... هذا المثل الحي والعجيب حيث كشف الرب فيه غنى حبه ولطفه.

إنسانًا ملكًا أراد محاسبة عبيده:

لابد للعبيد أن يقفوا هذا الموقف، إن آجلاً أو عاجلاً وجيد للعبد أن يكون مُستعدًا، قال القديس بولس الرسول: لا بد لنا جميعًا أن نَظهر أمام كرسي المسيح ليُعطِي كل منا حسابًا عما قدمه بالجسد خيرًا كان أم شرًا.

هذا أمر معروف لا يحتاج إلى تدليل.

الإنسان الملك هو المسيح الإله ديان الأرض كلها:

والعبد الذي يُقدَّم للمحاسبة هو أنا وليس الآخرين، لأنه إن حاكمنا أنفسنا لما حُكم علينا، وكما يقول ماراِسحق: "جيد الإنسان أن يأتي بالملامة على نفسه في كل شيء". ووقوفي أمام الديان العادل، موقف مرهوب ومخيف... أُصلي كل ليلة من أجل هذا الموقف قائلاً: هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوبًا ومرتعبًا من كثرة ذنوبي.

حبذا لو تذكر كل إنسان هذا الموقف بصورة جدية وفكر فيه بعمق الروح لا بفكر العقل وتذكر الكلمة المكتوبة "**مخيفٌ هو الوقوع في يدي اللَّه الحيِّ!**" (عب ١٠ : ٣١).

فلما ابتدئ الملك في المحاسبة قُدِّم إليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة، (والوزنة = ٣ آلاف شاقل، والشاقل حوالي ٧ دينار). مبلغ باهظ حقًا يُقَّدر بملايين الدينارات (أكثر من ٢٠٠ مليون)، وهذا عبد مسكين، من أين له أن

يُسدِد هذا المبلغ الخيالي!! لا وسيلة ولا إمكانية ولا احتمال قائم، لا توجد بارقة أمل في أن هذا العبد يَقدِر أن يُسدِد هذا الكم الهائل من الديون!!

حتى لو بِيع هو وكل ماله وكل من له، لا يستطيع أن يوفي! ما معنى هذا؟

معناه أن ما كنا مديونين به نحو الله من الخطايا والذنوب، لا سبيل لإنسان كائن من كان أن يوفي أو يسدد مطاليب عدل الله لأن أجرة الخطية هى موت... موت أبدي لا نهائي... من يستطيع أن يَفلِت منه.

سؤال: هل يوجد عبد بلا دين أمام السيد الملك؟

لا، ليس ولا واحد. أُغلِق على الكل تحت الخطية، ليس بار...

⌖ وإذ لم يكن له ما يوفي أمر سيده أن يُباع هو وامرأته وأولاده وكل ما له ويوفي الدين... هذا حكم عادل، إن تسبيح السمائيين مبني على أساس أحكام الله الحق والعادلة معًا "عادله هى أحكامك يا ملك القديسين" من لا يخافك يارب... ومن لا يسبحك على أحكام عدلك.

⌖ فخرَّ العبد وسجد له قائلاً: يا سيد تمهل عليَّ

فأوفيك الجميع، فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين.

علة الغفران الأولى وترك الدين هى حنان اللّه. وهذا ما يجب أن نَدركه ونتأمله جيدًا... ليس استحقاقًا من العبد ولكنها نعمة السيد المتفاضلة ولجة حبه وحنانه.

- اللّه الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة ونحن أموات بالخطايا أحيانا في المسيح.

- مغفورة لكِ خطاياكِ... اذهبي بسلام.

- أما دانكِ أحد... ولا أنا أدينكِ اذهبي ولا تعودي تخطئي.

- محا الصك الذي كان علينا الذي كان ضدًا لنا... مسمرًا إياه بالصليب.

- نحن كنا مديونين للعدل الإلهي وهو وفَّى الدين عنا (صلاة القسمة).

- مِثل بُعد المَشرِق عن المغرب أبْعَدَ عنا معاصينا.

- خطاياكم لا أعود أذكرها، أطرحها في بحر النسيان.

- من هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات، بل بالحري قام أيضًا ... الذي أيضًا يشفع فينا.

إن اللّه كان في المسيح مُصالِحًا العالم لنفسه غير حاسبًا لهم خطاياهم.

إن محـور الإيمـان المسـيحي مرتكـز علـى هـذا الحـق، عَجْزنـا الكامـل والمُطلَـق فـي تسـديد الـدين، والتكفيـر عـن خطايانـا، ورحمـة الله الحانيـة ولُطفـه الشـديد الـذي أظهـره فـي المسيح يسوع نحونا عندما حمل خطايانا على الخشبة ووفَّى الدين عنا وسامحنا.

لقد حررنا المسيح، وفكَّ قيودنا، وترك لنا ديننا الأبدي إذ وفّاه يوم صلبه قاتلاً العداوة ومُسامحًا عن الخطايا السالفة.

أي شكر وأي عِرفان يصير في ذلك العبد وأي فرح هذا الذي حصل فيه... إذ أُعتق من الديون صار مَدينًا بحياته لسيده "أنتم الذين كنتم عبيدًا للخطية والإثم، إذ أعتقتم صرتم عبيدًا للبر"، عبيدًا للذي اشترانا بدمه...

⌖ فلما خرج العبد وجد واحدًا من العبيد رفقائه مديونًا له بمئة دينار فأمسكه وأخذ بعنقه قائلاً: أوفني ما لي عليك.

لا وجه للمقارنة على الإطلاق بين ما كان العبد مديونًا به (عشرة آلاف وزنة، أي ملايين الدينارات) وبين ما كان مُداينًا العبد رفيقه (١٠٠ دينار).

وهذا واقع يجب أن ندركه، أن ما كنا مديونين به لله لا يُقارن بحال من الأحوال بديون إخوتنا نحونا...!

فديوننا نحو بعضنا لا تتعدى ١٠٠ دينار، أي أنه أمر

مُيسَّر مَقدور عليه يكاد يكون تافهًا وبلا قيمة إذا قورن بالدين العظيم الذي تركه السيد.

فالنظر لحظة واحدة في مراحم اللَّه وغفرانه لنا كفيل بأن يَردنا إلى جادة الصواب.

المطلوب إذن أن لا نُقيّم خطايا الإخوة تقييمًا مُجردًا، فلابد أن ننظر خلال مراحم اللَّه التي شملتنا وعطفه الإلهي نحونا.

إن كان اللَّه قد ترك لنا الكثير اللانهائي أفعظيم أن يطلب منا أن نترك القليل؟

هل إذا غفرنا فعلاً سبعين مرة سبع مرات ووصلنا إلى هذا الحد الذي يبدو أنه غير معقول، هل يقارن هذا الغفران بغفران الصليب ودم الصليب، ألا يحسب كأنه لا شيء فعلاً.

ولكن أن ينسى الإنسان معروف اللَّه وحبه الحاني وغفرانه فإنه يصير في نظر نفسه إنه صاحب حق يتمسك به ويتشبث به بإصرار ويطالب به بعنف ويسلك في ذلك مسلك هذا العبد القاسي القلب.

أليست هذه الصورة هى التي نقابلها كل يوم من القساوة وعدم الصفح بين الإخوة وتضخيم الإساءات ومرارة مُر العداوة، لقد صارت محاكم الدنيا تَضيق بتلال القضايا ليس

بين المؤمنين فحسب بل حتى بين الأشقاء منهم.

كل منهم يتمسك بعُنق أخيه لا يسمع لاستعطاف ولا يرضى بواسطة، لقد ملكت القساوة على قلوب كثيرة... بل وتمكنت حتى صارت وكأنها القانون السائد في المعاملات بين الإخوة.

ونسينا تمامًا أو تناسينا، ما صنعه المسيح معنا وكيف أسلم ذاته فداءً عنا، نسينا كيف عاملنا برحمته وشملنا بحبه وردنا إلى حرية مجد أولاد الله.

واعتذرنا كثيرًا عن طاعة الوصية وعللنا أنفسنا بعِلل في الخطايا... يقول البعض إننا بشر، أنا إنسان من أين لي أن أغفر وأسامح؟ المسيح صفح وغفر حتى للصالبين، لأنه إله وهو القادر على كل شيء. أما أنا فبشر ضعيف لا طاقة لي بغفران لهذا المقدار. وهكذا يعلل الإنسان نفسه بعلل في الخطايا.

هى سلسلة من الخطايا ملكت على ذلك العبد حتى وصلت به إلى قساوة القلب، إذ لا يمكن أن يتقسى القلب في لحظة... إنه إهمال إصلاح الداخل والتغاضي عن الاعتراف وعزل الخطايا والأفكار البطالة حتى تراكمت فاستبدلت قلب اللحم بحجر القساوة

والجحود.

لا يولد الإنسان قاسي القلب ولكنه يتحول إلى القساوة شيئًا فشيئًا...

موقف الرفقاء:

"فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان حزنوا جدًا وأتوا وقصوا على سيدهم ما جرى".

توبة الخطاة تُفرّحِ السماء والسمائيين، فالسماء تفرح بخاطئ واحد يتوب، ويكون فرح بين ملائكة الله في السماء بخاطئ واحد يتوب... بل إن توبة الخاطئ تُفرّحِ قلب الآب نفسه، وفي قصة الابن الضال قيل أنهم ابتدأوا يفرحون، بل إن صوت الطرب وآلات الفرح سمعها الابن الأكبر من خارج أي من على بُعد.

هذا معناه أن النفوس التي تنحاز إلى الله بالتوبة تُمَجِّد مشيئته وتمدح مجده وتُكمِّل مسرته... هذا معنى إيجابي بحت... ومعناه أيضًا من الناحية السلبية، انهزام الشر أمام الفضيلة وفشل مشورة الشيطان وسقوط الغواية وانكسار الفخاخ إلى آخر هذه المعاني السلبية التي يبتدعها العدو الشرير. فإن أخذ أحد في هوة الهلاك وسقطت نفسه صريعة الخديعة وعمل الشيطان، فماذا

يكــون موقــف العبيــد الرفقــاء ســوى الحُــزن والأســف إن جــاز هــذا التعبيــر وإن وجــد حُــزن فــي صــفوف السمائيين...!!

إنهم في الأماكن العلوية ناظرين إلينا يترقبون خلاصنا ويسـندون جهادنـا... يـودون أن نكمـل بخـوف خلاصـنا. قـال الـرب لمنتظـري اليـوم وهـم تحـت المـذبح... إلــى أن يكمـل العبيـد رفقـاؤكم... فهـم لا يكملـون بـدوننا إذ أننـا جميعًا سننتهي إلى وحدانية الروح والإيمان في الجسد الواحد.

هكذا صار... لما رأى العبيد ما كان من قساوة وعدم رحمة وعدم غفران، لما رأوا حزنوا جدًا...

إن ما يحدث سواء من توبة أو جحود يراه القديسون إذ هم سحابة شهود مقدار هذه محيطة بنا فعلاً.

ألم يقل الرسول أننا صرنا منظرًا للملائكة والناس؟!!

ألا يصـير هـذا مُشـجِّعًا لنـا أن توبتنـا مـؤازرة بـأرواح القديسين وهم يرفعونها إلى الآب السماوي ويحدثون بها في حضرة القدير إذ أن سيرتنا نحن هى في السماوات... حتى أن تكليلنا في يوم المسيح سيكون أمامهم إذ يفتخر المسيح ويعترف بمحبيه أمام الملائكة والقديسين!!

وألا يصـير هـذا أيضًـا مُخيفًـا أن مـا نفعلـه مـن شـر أو

جحود وحقد وعدم محبة أو دينونة وعدم رحمة أو قساوة قلب وعدم لطف أو عدم حب للإخوة وعدم غفران... كل هذا مُعلن أمام الملائكة والقديسين، فلنخف ونعمل حسابًا لحضورهم معنا ورؤيتهم لأعمالنا فلنراجع أنفُسِنا... ماذا يقولون عنا؟ أو ماذا ينقلون للآب السماوي لأن الرب قال أنهم قصوا على سيدهم ما جرى...

وإن كان الإنسان يَخشى أن يراه الناس وهو مفضوح أو ساقط أو مخزي، ويخشى ويعمل ألف حساب لكلام الناس ونظرات الناس، فكم بالحري القديسين والملائكة...

ليكن هذا دافعًا للرجوع عن الشر وعدم تكميل الخطايا إلى النهاية.

دعاه سيده:

لما سمع السيد ما صنع العبد القاسي بأخيه... دعاه... قال معلمنا بولس الرسول: لا بد لنا جميعًا أن نظهر أمام كُرسي المسيح ليعطي كل واحد منا حسابًا عما قدّمه بالجسد خيرًا كان أم شرًا.

فمثول العبد أمام سيده أمر حتمي لا مفر منه...

آه لو تفكر العبد في هذا الأمر!

آه لو يتفكر كل واحد فينا في ذات الفكر!... لتغير الحال وانصلحت الأحوال.

أي موقف مخزي صار إليه العبد، لا يستطيع أن ينظر إلى وجه السيد الغفور بعينيه القاسية، ولا أن يتكلم أمام الرحوم بلسان القسوة، ولا أن يحتج إذ ليس له عذر في خطيئته... استد الفم وهو واقع تحت الحكم، ستقف الرحمة تفتخر يوم الحكم... هكذا قال ربنا... كونوا رحماء... كونوا لطفاء بعضكم لبعض... لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم... اغفروا يُغفر لكم... أعطوا تُعطوا... لأنه بالكيل الذي به تكيلون به يُكال لكم.

ستَرفع الرحمة رأسها أما القدير مصدر الرحمة... يفرح القلب الغفور في يوم الدينونة إذ لا تقع عليه دينونة البتة، لأنه حاشا أن يسقط حرف من الكلمة القائلة لا تدينوا لكي لا تُدانوا.

قضاء السيد:

"أيها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إليَّ...".

سمع العبد البطال كلمات الدينونة، كم وقعت قاسية

كالصاعقة على نفسه المسكينة، لا رحمة في الدينونة لمن لم يستعمل الرحمة.

قد تكون كلمات الوصايا صعبة، وتنفيذها يتطلب جُهدًا وعَرقًا ومجاهدة النفس وإنكار الذات، وقد يستصعب الإنسان التسامح ويستكبر التنازل، ولكن سيكون أصعب بما لا يقاس سماع كلمات الدينونة وصوت القدير يطالب بالحق الإلهي!!

سيضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم بينما سراج الأشرار ينطفئ إذ يسكنون الظُلمة التي عاشوا بمقتضاها في العالم.

⌖ أفما كان ينبغي أنك أنت أيضًا ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا. وغضب سيده وسلَّمه إلى المعذِّبين حتى يوفي كل ما كان عليه.

دينونة الله عادلة لا تأتي من فراغ بل إن الأمر زرع وحصاد فما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا، من يزرع بالبركات فبالبركات أيضًا يحصد، ومن يزرع بالشُح فبالشح أيضًا يحصد.

غضب السيد وسَلَّمه للمعذِّبين:

من يستطيع أن يقف يوم الغضب واستعلان الدينونة...

يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا من وجه الجالس على العرش... لكن تُرى كيف تَغير السيد، ألم يكن هو الرحوم تارك الديون وغافر الذنوب، ألم يكن هو اللطيف والطيب المتحنن، ما باله قد صار غاضبًا يُسلِّم إلى المعذِّبين ويأمر بالقسوة والعقاب؟

حاشا لم يتغير السيد... هو هو أمس واليوم وإلى الأبد... الذي تغير هو موقف الإنسان ومركز الإنسان، فالذي لا يبقى في النور تَدرُكه الظُلمة والذي يرفض عمل الرحمة تدركه القسوة.

إن السيد الرب سيكون في الدينونة حنونًا بالأبرار يناديهم بأرق الكلمات: "ادخلوا إلى فرح سيدكم" بينما يسمع الخطاة كلمات الدينونة في ذات الوقت، العيب يكمن إذن فينا. إذن فاللطف يستحقه من يثبت في اللطف كما يقول معلمنا بولس الرسول: هوذا لطف الله وصرامته...

حتى يوفي كل ما كان عليه!

ألم يكن قد سامحه السيد؟ ولكنه لم يوجد أمينًا ومستحقًا. وأثبت بسلوكه نحو العبد رفيقه أنه ليس أهلاً للغُفران فعاد مديونًا بكل ديون خطاياه السالفة.

وفي يوم الدينونة من أين له أن يُوفي الدين بعد أن أُغلق الباب؟ سيظل إلى أبد الآبدين حبيس السجن الأبدي حيث نارهم لا تطفئ ودودهم لا يموت.

⌖ فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته.

ختم الرب حديثه المُحيي في هذا المثل بهذه الآية العميقة والخطيرة "هكذا بذات المقياس ونفس القانون ستكون دينونة اليوم الآخر"، سيُكابِد هذا المصير التعس كل من سلك ذات السلوك غير الرحيم الذي سلكه العبد الشرير مع أخيه.

الأمر إذن خطير لا لَبس أو تشبيهات ولا تأويل لكلمات، بل حق إلهي لا يحتمل الصدق والكذب. ليس فيه نعم ولا، بل فيه النَّعم وفيه الآمين.

ولكن الرب هنا يُنبه ذهننا الروحي إلى الغفران القلبي الكامل فالموضوع ليس مَظهر خارجي أو صُلح أو غفران أو مصالحة باليد وابتسامة مرسومة على الوجه بينما القلب في الداخل حاقد وجاحد ومملوء مرارة وعداوة، هذا وإن انطلى على الناس فإنه ليس هكذا أمام الله.

اللّه يريد غفران وترك من القلب، من الداخل قبل الخارج، من القلب قبل اللسان حتى يتمتع الإنسان بالغفران والسماح من اللّه.

الذين لا يتركون من قلوبهم يدخلون في زمرة الخيانة مثل يهوذا الذي كان يُقبِّل سيده وقلبه ضامر الشر وقد باع وقبض الثمن.

يا ليتنا نهرب بكل قوة من الرياء الممقوت لا سيما في الترك والغفران. ألم تجعل الكنيسة قُبلة المصالحة بين الإخوة هى الشرط الأول للتقرب للأسرار الإلهية!!

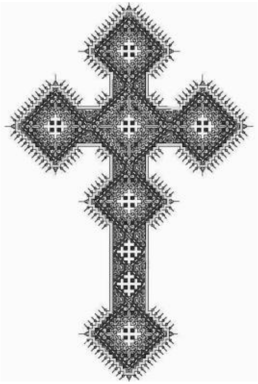

{١٣}
مثل عُرس ابن الملك

(مت ٢٢ : ١ ـ ١٤ ، لو ١٤ : ١٦ ـ ٢٤)

"وجَعَلَ يسوع يُكلِّمهم أيضًا بأمثال قائلاً: يُشبه ملكوت السموات إنسانًا ملكًا صَنَعَ عُرسًا لابنهِ، وأرسل عبيدهُ ليدعوا المدعوِّين إلى العُرس، فلم يُريدوا أن يأتوا. فأرسل أيضًا عبيدًا آخرين قائلاً: قولوا للمدعوِّين: هوذا غدائي أعددته. ثيراني ومُسمَّناتي قد ذُبحت، وكل شيءٍ مُعدٌّ. تعالوا إلى العُرس! ولكنهم تهاونوا ومضوا، واحدٌ إلى حقله، وآخر إلى تجارته، والباقون أمسكوا عبيده وشتموهُم وقتلوهُم. فلمَّا سمع الملك غضب، وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم. ثم قال لعبيده: أما العُرس فمستعدٌّ، وأما المدعوُّون فلم يكونوا مستحقِّين. فاذهبوا إلى مفارق الطرق، وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس. فخرج أولئك العبيدُ إلى الطرق، وجمعوا كل الذين وجدوهم أشرارًا وصالحين. فامتلأ العُرس من المتكئين. فلمَّا دخل الملك لينظر المتكئين، رأى هُناك إنسانًا لم يكن لابسًا لباس العُرس. فقال له: يا صاحبُ، كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس؟

فسكت. حينئذٍ قال الملك للخدَّام: اربطوا رجليه ويديه، وخذوه واطرحوه في الظُّلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصَرِير الأسنان. لأن كثيرين يُدعَوْنَ وقليلين يُنْتَخَبُونَ"
(مت ٢٢ : ١ ـ ١٤ ، لو ١٤ : ١٦ ـ ٢٤).

من الحقائق المسيحية المُشبِعة للنفس التي كشفها الرب يسوع بالكلمة أن ملكوته السماوي مثل عُرس أبدي وفرح لا ينقطع، ونحن مدعوون لا أن نعي الحقيقة الروحية بالذهن فقط، بل أن نحيا بمقتضاها ونبني حياتنا على أساسها.

فنفوس المؤمنين المفديين بدم المسيح والمغسولين بالمعمودية مدعوة للدخول إلى الفرح الأبدي، وهي دعوة ليس لعنصر الاستحقاق مكان فيها ولكن النعمة هي صاحبة الفضل الأول، وما على النفس سوى قبول النعمة والحياة بمقتضاها. والتمتع والشركة هما حالة النفس التي تصير فيها. ومن العجب أن نفوس كثيرة تكتفي بإدراك الحقائق الإيمانية بحسب الذهن البشري وتَعتبِر أن حفظها بالعقل هو بلوغ غاية الحقائق الإيمانية، ولكن ليس الأمر كذلك، فمعرفة الحقائق الإيمانية لا يضمن للنفس الدخول إلى الملكوت، فالشاب الغني حفظ الوصايا منذ حداثته ولكنه لم يحيا

بمقتضاها وعندما دخل امتحان محبة الله من كل القلب ومن كل الفكر ومن كل الحواس... سقط لحاله ومضى حزينًا لأنه كان ذا أموال كثيرة سيطرت على مراكز الحب في قلبه واستحوذت على عاطفته الداخلية وحالت بينه وبين محبة الله إذ لم يستطع أن يخدم سيدين، فلازم الواحد واحتقر الآخر كقول الرب، وكان أن وقف خارجًا، وقف خارج الملكوت. الأمر إذن ليس كل من يقول: "يارب يارب" ولا كل من وعى بعقله كل حقائق الإيمان ولو صار مُعلِمًا ومُلقِنًا لها يستحق الدخول، ولكن كل من صارت له شركة التمتع والحياة وكل من أنضج ثمر الإيمان وبالأعمال برهن الإيمان إذ أن الإيمان بدون أعمال ميت في ذاته.

المدعوون الرسميون:

أول ما يلفت الذهن في هذا المثل هذه العينات من المدعوين وكيف أنهم جميعًا صاروا يعتذرون عن الحضور كلٍ بحسب العذر الذي رأى أن يُقدِمه.

فجميعهم برأي واحد وفكر واحد استعفوا وجميعهم فضلوا ما يخصهم من باطل الأعمال ومن زوال العالم ومتعه وشهوته على أن يدخلوا إلى الفرح. والواقع أنهم حسبوا أنفسهم

أنهم يعيشون في فرح فما حاجتهم إلى عُرس ابن الملك؟ حسب الذي تزوج بامرأة، أن يفرح، هذا الفرح صار كافيًا له واستغنى به عن الفرح الآخر وذاك الذي حسب أنه اشترى خمسة أزواج البقر وهو ماض ليمتحنها عاقهُ هذا العمل عن المشاركة في العُرس، إذ لا يستطيع أن يوفي مطاليب الاثنين معًا. والآخر الذي ربط قلبه بقطعة من الأرض برباط الملكية القاتل، صار فرحًا بما ظنه امتلاك واقتناء فاكتفى بالنصيب الترابي يفرح بالنظر إليه وصار غير قادر على متابعة الحركة نحو السمائيات والفرح الأبدي.

ولكنهم تهاونوا:

القديس متى يُضيف عنصرًا آخر يكشف به دواخل الذين حَرموا أنفسهم من الانضمام إلى فرح العرس الأبدي... ويقول أنهم تهاونوا، استهانوا بالدعوة.

لقد شبَّه ربنا ملكوته كمن وجد كنزًا مَخفيًا في حقل، فمن الفرح مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل، أو كمن يتاجر في اللآلئ الثمينة متى وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ماله واشتراها، فالملكوت إذن هو اكتشاف خطير، يتبعه تفريط تلقائي في كل ما كان يَحسبه الإنسان

ربحًا، أو نجاحًا أو امتلاكًا أو تجارةً أو ارتباطًا أو فرحًا إلى آخر هذه الأمور. وإلا يظل الإنسان متمسكًا بما عنده ويصير مستحيلاً عليه أن يفرط في شيء ولو كان تافهًا أو حقيرًا.

والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم:

هذا موقف آخر من مواقف الرافضين لدعوة الملكوت، هؤلاء الذين قابلوا الإحسان الإلهي والمحبة الحانية ليس بالرفض فقط بل بالجحود والنكران، وعبيد الله الحي، خُدَّامه الكارزين بإنجيل الخلاص كم لاقوا من إهانات، وكم عانوا ويعانون من اضطهادات؟ وقد شَهِد إستفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء أمام مجمع اليهود قائلاً: **"أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم؟ وقد قتلوا الذين سبقوا فانبأوا بمجيء البار"** (أع ٧ : ٥٢).

هذا المسلك يَنطبِق أيضًا على المُجدّفين، والناكرين للإيمان والمحتَقِرين الكلمة والذين يُشكِكُون في صِدق مواعيد الله، الذين ازدروا بخُدامه وأهانوا عبيده حُرِموا من الدخول إلى الوليمة السمائية ونالوا عقابًا أبديًا، وكذا الذين لم يخضعوا ليطيعوا الكلمة ويقبلوها كدعوة سمائية، وكذلك أيضًا الذين

تهاونوا بها.

هذا ما عبَّر به الرب قائلاً: "فلما سمع الملك غَضِب وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم".

دعوة:

قال الرب: أن كثيرين يُدعَون وقليلون يُنتَخبون... فالدعوة وجهها الرب للجميع... قائلاً: "ما جئت لأدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة"، فإن كان قد وجه دعوته للخطاة فماذا يكون بعد... وليس مِثل الرب إلهنا الكريم في سخائه حتى أنه يقول: "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وانا أُريحكم... من يقبل إليَّ لا أُخرِجه خارجًا".

على إننا لا بد أن ننتبه إلى شرف الدعوة التي دُعينا إليها، فالذي دعانا إلى مجيئه الأبدي وعُرسه السماوي هو الآب نفسه. فكيف نتهاون أو نتكاسل؟ أو كيف نعتذر أو نتخلف؟ أي شرف يكون للإنسان إذا دعاه ملك أرضي أو رئيس لكي يَجلِس إلى مائدته ويتعشى معه؟

وماذا يقال عن إنسان يُكرمه الملك ويُشرفه بدعوته، وهو يتهاون ولا يقيم للدعوة اعتبارًا، بل يتهاون ولا يذهب؟

وصف مبهر للعُرس:

سفر الرؤيا يُقدِم لنا وصفًا مُبهرًا للعُرس الأبدي في الإصحاح التاسع عشر، **"وخرج من العرش صوتٌ قائلاً: سبِّحوا لإلهنا يا جميع عبيده، الخائفيه، الصغار والكبار! وسمعت كصوت جمعٍ كثيرٍ، وكصوت مياهٍ كثيرةٍ، وكصوت رُعودٍ شديدةٍ قائلةٍ: هللويا! فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيءٍ. لنفرح ونتهلل ونُعطه المجد! لأن عُرس الخروف قد جاء، وامرأته هيَّأت نفسها. وأُعطيت أن تلبس بزًّا نقيًّا بهيًّا، لأن البَزَّ هو تبرُّرات القديسين. وقال لي: اكتُبْ: طوبى للمدعُوِّين إلى عشاء عُرس الخروف! وقال: هذه هى أقوال اللّه الصادقة"** (رؤ ١٩ : ٥ ـ ٩).

فعُرس ابن الملك، هو عُرس الابن الوحيد الجنس، ابن الآب بالحق والمحبة، هو عُرس الخروف القائم كأنه مذبوح، وعَروسه هى الكنيسة التي اقتناها بدمه، ذُبِح واشتراها من كل لسان وشعب، وقد أُعطيت أن تَلبِس بزًّا نقيًّا، الذي هو تبرُّرات القديسين الذين بررهم بدمه الذكي... والعُرس عُرس أبدي، لا ينتهي فيه الفرح لأنه فرح المسيح الخاص الذي لا يَشوبه حزن ولا كدر، حقًا طوبى للمدعوين إلى عشاء عُرس الخروف، يُطعِمهم المن المخفي ويُسقيهم من ينبوع الماء

الحي ويَقتادهم ويُشرِق عليهم إلى أبد الآبدين، لك أن تتأمل ذاتك أيها الحبيب مَدعوًا ومتكئًا في الوليمة السمائية في الثياب البيض، في المجد الأبدي، هل يُقارن بهذه الكرامة فرح في العالم مهما بلغ؟

أما العُرس فمستعد:

من جهة الله فهو مُستَعِد دائمًا، ملكوته الذي ادخره لمُختاريه، قد أعده قبل إنشاء العالم، ذبيحته الإلهية التي فيها الكفاية، لتقديس المدعوين وشِبع النفوس الجائعة، قد أكملها ربنا يسوع المسيح بكل مطاليبها بلا نُقصان، إلى أن قال على الصليب "**قد أُكمل**". كل شيء مُعد، والملكوت مُستعد، أما العيب فكان في المدعوين، الذين تهاونوا واستهانوا وأساءوا إلى العبيد الذين وجَّهوا لهم دعوة سيدهم، فهل يبقى العرس بلا مدعوين؟

إن رفض أُناس ذبيحة المسيح، وحُبه الحاني وعطية جسده المقدس ودمه الكريم، فهل يصير الصليب بلا ثمر؟ حاشا.

"جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله"، فماذا كان، أَعلن الرب حبه للأمم، ودعا التي ليست محبوبة محبوبة، "وكل

الذين قبلوه أعطاهم سُلطان أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه".

كان رفض المدعوين الرسميين مُصالحةً للعالم، وقبولاً للأمم، ودخولاً للمساكين إلى العُرس الإلهي.

رحمة الله المتناهية:

ظهرت نعمة الله مُخلصنا لجميع الناس، حينما أرسل رسله الأطهار، عبيده وخدام كلمته، إلى شوارع المدينة، أزقتها، ليدخلوا بكل من يجدونه إلى الفردوس أبرارًا وخطاة على السواء، وهكذا ما قاله المسيح في هذا المثل بالفعل حين قام من الأموات ونفخ في وجه تلاميذه القديسين قائلاً لهم: "امضوا وتلمذوا جميع الأمم، وعلِّموهم جميع ما أوصيتكم به وعمدوهم بِاسم الآب والابن والروح القدس"، وأعلمهم أنهم يكونوا له شهودًا في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض، فخرج الرسل وجالوا مبشرين بالكلمة، وكمل كلام المرنم: "الذين لم يسمع لهم صوت إلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم".

كرزوا بالخبر السار ونادوا ببشارة الإنجيل كدعوة للعُرس الأبدي، وأدخلوا كل من وجدوه إلى شركة الفرح، إلى حظيرة

الخـراف، إلـى الكنيسـة، وقـدّموا الوليمـة السـمائية، ذبيحـة المسـيح، سِـر الفـرحِ والشـبع، لكـل الـداخلين، الـذين لم يكونوا أصلاً مَدعوين أو مستحقين، الذين لم يكونوا شعبًا، أمـا الآن فشـعب مُختـار كهنـوت ملـوكي شـعب اقتنـاء لكـي يُخبروا بفضائل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب.

كَمُلَ كـلام الحكـيم سليمان، "الحكمـة بنـت بيتهـا بأعمـدة أسـرار الـروح السـبعة، ذبحـت ذبائحهـا مَزَجَـت خمرهـا فـي البواطي المقدسة".

طوبى للمدعوين الجدد، الذين ما أن سمعوا بالخبر السار حتـى قَبِلوه بفرحٍ، ومـا أن دعـاهم بصـوته الحنـون حتـى تركـوا كل شـيء وتبعـوه، فـأدخلهم إلـى كنيسـته مَسكن الفرح يغذيهم ويطعمهم خبز الحياة وكأس الخلاص.

اشتروا... ولكن مجانًا!!

العُرس عُرس ملـوكي لـه قواعده ولـه ترتيبـه السماوي ولـه أصـول الـدخول والخـروج، وأصـول البقـاء فـي بيـت الملـك والتقـرب إليـه، لـيس لأن كـل شـيء مجانًـا وبـلا ثمـن مـن جهـة المـدعوون فيصـير رخيصًـا أو مبتـذلاً؟ حاشـا، بـل علـى العكس تمامًا، لأن كـل مـا لـلإنسـان يُعتبَـر كـلا شـيء

وبلا قيمة ولا يؤهِل الإنسان لدخول الوليمة السمائية، لذلك لا يطلب من الإنسان فضة أو ذهب من سيرته الباطلة ليكون مستحقًا للدخول، وهذا معناه أن الإنسان بذاته عاجز تمامًا عن بلوغ الدخول إلى الملكوت، ولكنها أولاً وأخيرًا نعمة مجانية، ومرة أخرى بلا فضة أو ذهب ولكن لا بد أن يشتري الإنسان مجانًا، بمعنى أن يظهر بالإرادة المطلقة خلوص نيته في الاحتياج، جوعًا وعطشًا إلى البر، وفقرًا نحو غنى المسيح البار الذي يُبرر كثيرين، وشوق ولهفة نحو العطية رغم أنها مجانية ولكن ثمنها دم المسيح معروفًا سابقًا قبل تأسيس العالم.

هذا ما يُمكِن أن نفهمه من نبوات إشعياء النبي **"أيها العِطاش جميعًا هلُمُّوا إلى المياه، والذي ليس له فضةٌ تعالوا اشتروا وكلوا. هلُمُّوا اشتروا بلا فضةٍ وبلا ثمنٍ خَمرًا ولبنًا"** (إش ٥٥ : ١).

لباس العُرس:

على هذا القياس نفهم كيف يدخل إنسان شارع المدينة والأزقة إلى حفل الملك العظيم، إنه يتغير عن شكله

تمامًا، حال دخوله من الباب الذي هو المسيح، المسيح هو باب الخراف والذي يدخل به، ولباس العُرس هو ثياب البر الذي للمسيح، ثياب بيَّضها بدمه، اشتراها بصليبه، ما أبهظه ثمن وما أغلاها ثياب، هى معموديتنا، أغلى مالنا في المسيح، كلها نقاء، كلها قداسة نأخذها عند باب الكنيسة، هى المَدخل إلى العُرس ندخل إلى جُرن المعموديِة، بطن الكنيسة الذي لا يشيخ فنولد من الماء والروح، ونلبس المسيح، "أنتم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح"، وهذا يسبقه، خلع القديم، موت القديم، خلعتم الإنسان العتيق الفاسد الذي يفسد كشهوات الضلالة، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه.

ليس عليه ثياب العُرس:

عندما دخل الملك لينظُر المدعوين، يُشرِق عليهم ويحل فوقهم، رأى إنسانًا ليس عليه ثياب العرس، بكل تأكيد لا يستطيع أن يختفي، إنه مثل النشاز في وسط لحن جميل، أو كبقعة داكنة السواد في وسط ثوب ناصع البياض يبدو هكذا منظره كئيبًا في وسط الفرح، غريبًا عن القطيع، كمثل

الماعز في وسط الخراف.

بادره الملك بالسؤال، كيف دخلت إلى هنا، وليس عليك ثياب العرس؟ وهذا معناه أنه لم يخلع جسم البشرية بالموت لم يختبر الصليب، ولا لبس حلة الخلاص وثياب البر فصار في خزي العراة.

* كيف تثبت الطبيعة الفاسدة في عدم الفساد؟
* وكيف تعيش البشرية الساقطة في القيامة؟
* أو كيف يرث المائت عدم الموت؟

هذا شيء يفوق الخيال.

الذين في السماء لهم ثياب بيض، غسلوها وبيَّضوا مرارًا وتكرارًا في دم المسيح، الينبوع الدائم للخلاص، وهذا الإنسان ليس له الثياب أصلاً؟ كيف يستقيم هذا، الأبرار حرصوا على نظافة الثياب لكي لا تتسخ، أما هذا فعريان من ثياب النعمة تمامًا. القديسون بكوا دموع التوبة العمر كله، فصارت لهم دموعهم معمودية دائمة للغسيل وتطهير القلب والضمير.

وحزنوا لأقل دنس وقع على ثيابهم و لو شبه شر عكَّر صفو طهارتهم الناصعة، فبقت ثيابهم كأنها مغسولة توًا في الدم والماء بشهادة الروح وصدق الضمير.

أما هذا فلم يحصل حتى على الثوب، فلم ينعم بستر

العلي ولا ظل القدير، أنه كمثل سارق لم يطلع من الباب، لم يجتز المعمودية ولم ينل الصبغة المقدسة.

فسكت:

قال له يا صاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك ثياب العرس؟ فسكت... إنها دينونة رهيبة انعقد اللسان من الرهبة ومن هول الموقف لم يستطع الكلام، لقد انتهى الكلام جملة. كمن يقول للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا.

سكوت الخوف، سكوت العري.

سكوت الخزي الذي لا ينتهي.

سكوت المحكوم عليه بالموت.

بماذا يجاوب؟ أمام النور الذي لا يدنى منه، والحق المطلق، هكذا تكون الدينونة للخطاة، وهكذا يكون موقف الخطاة، حين يُسد كل فم ولا يستطع الكلام.

مجازاة عادلة:

صار أمر الملك لعبيده، أن يطرحوه خارجًا، حيث البكاء وصرير الأسنان، إذ لا يمكن أن يبقى في المجد أو يدوم في الملكوت، ولأنه لا يدخله شيء نجس أو دنس ولا كل من يصنع كذبًا، يا للنصيب التعس الذي صار لهذا المقتحم، ظن

أن يحيا بذاته ويَسلُك بهواه، ولم يقبل أن يُخضِع نفسه ويضعها ويطيع وصايا الذي دعاه، بل صار مثل يهوذا، كان يدخل لينظر وقلبه ضَمَر له شرًا، ما اتحد بالمسيح ولا عاش له، بحسب المظهر الخارجي كان محسوبًا أنه مدعو وأنه داخل العرس، ولكن بحسب الجوهر لم يلبس ثياب العرس ولا استحق أن يلبسه فينعم به، لذلك طُرح خارجًا، كان يهوذا محسوبًا مع الأحد عشر ولكن صارت داره خرابًا ووظيفته أخذها آخر، أما هو فانشق في الوسط وانسكبت أحشاؤه.

* قال الملك للخدام اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظُلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان.

الموضوع إذن ليس مجرد حِرمان من العُرس الأبدي والفرح السماوي فحسب، بل قيود أبدية في الظلمة الخارجية، وبكاء لا ينتهي وصرير الأسنان، لا بد للإنسان أن يتفكر فيها جيدًا.

فإن كنا قد دُعينا إلى ملكوت المسيح، وبلغت إلينا دعوته، فنَسلُك كما يحق للدعوة التي دُعينا إليها بكل تواضع القلب.

وإن كنا قد أُئتمِنا على ثوب العُرس فلبسناه في المعمودية، فلنحرص عليه أشد الحِرص أن يبقى نقيًا طاهرًا ولنَغسِل

ثيابنا ونبيِّضها في دم الحمل باعترافنا الدائم ودموع توبتنا، وإن كان موضوع العُرس هو مكاننا الطبيعي وفَرحنا الدائم، فلا تميل نفوسنا إلى ولائم أُخرى يُجهزها العالم ويخبئ فيها الشيطان سم الموت.

{ ١٤ }
مثل الوزنات

(مت ٢٥ : ١٤ ـ ٣٠)

"وكأنما إنسانٌ مسافرٌ دعا عبيده وسلَّمهم أمواله، فأعطى واحدًا خمس وزناتٍ، وآخر وزنتين، وآخر وزنةً. كل واحدٍ

علـى قـدر طاقتـه. وسـافر للوقـت. فمضـى الـذي أخـذ الخمـس وزنـاتٍ وتـاجر بهـا، فـربح خمـس وزنـاتٍ أُخـر. وهكـذا الـذي أخـذ الـوزنتين، ربـح أيضًـا وزنـتين أُخـريين. وأمـا الـذي أخـذ الوزنـة فمضـى وحفـر في الأرض وأخفـى فضـة سـيده. وبعـد زمـانٍ طويـلٍ أتـى سـيد أولئـك العبيـد وحاسـبهم. فجـاء الـذي أخـذ الخمـس وزنـاتٍ وقـدَّم خمـس وزنـاتٍ أُخـر قـائلاً: يـا سـيد، خمـس وزنـاتٍ سـلَّمتني. هـوذا خمـس وزنـاتٍ أُخـر ربحتهـا فوقهـا. فقـال لـه سـيده: نِعِمَّـا أيهـا العبـد الصـالح والأمـين! كُنـت أمينًـا في القليـل فأُقيمـك علـى الكـثير. اُدخـل إلى فـرح سـيدك. ثـم جـاء الـذي أخـذ الـوزنتين وقـال: يـا سـيد، وزنـتين سـلَّمتني. هـوذا وزنتـان أُخريـان ربحتهمـا فوقهمـا. قـال لـه سـيده: نِعِمَّـا أيهـا العبـد الصـالح الأمـين! كنـت أمينًـا في القليـل فأُقيمـك علـى الكـثير. اُدخـل إلى فـرح سـيدك. ثـم جـاء أيضًـا الـذي أخـذ الوزنـة الواحـدة وقـال: يـا سـيد، عرفـت أنـك إنسـانٌ قـاسٍ، تحصـد حيـث لـم تـزرع، وتجمـع مـن حيـث لـم تَبْـذُر. فخِفْـتُ ومضـيت وأخفيـت وزنتـك في الأرض. هـوذا الـذي لـك. فأجـاب سـيده وقـال لـه: أيهـا العبـد الشـرير والكسـلان، عرفـت أنـي أحصـد حيـث لـم أزرع، وأجمـع مـن حيـث لـم أبـذُر. فكـان ينبغـي أن تضـع فضـتي عنـد الصـيارفة، فعنـد مجيئـي كنـت آخُـذ الـذي لـي مـع ربًـا. فخُـذوا منـه الوزنـة

وأعطوها للذي له العشر وزناتٍ. لأن كل من له يُعطى فيزداد، ومن ليس له فالذي عنده يُؤخذ منه. والعبد البطَّال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية، هُناك يكون البكاء وصَرِيرُ الأسنان" (مت ٢٥ : ١٤ ـ ٣٠).

إنسان مسافر دعا عبيده وسلَّمهم أمواله:

قد سبق وشبَّه الرب نفسه بتشبيهات كثيرة مثل الراعي الصالح والسامري المسافر، والمرأة التي أضاعت فلسًا، والأب الذي يطلب ابنه الضال... وهكذا.

هنا يشبه الرب نفسه بإنسان مسافر إلى زمان، يغيب عن أعين عبيده إلى حين ثم يرجع ليحاسب عبيده ويعلم ما عمله كل واحد، فالرابح يُمدح ويكون له كرامة والذي يوجد متكاسلاً يستحق عِقابًا أبديًا.

وهو بهذا المثل يقرِّب الحقيقة الواقعة، أن الرب في زمان غربتنا هذه ليس منظورًا بحسب العين الجسدية، ولكن ليس خفيًا أنه سيجيء في ظهوره الثاني المخوف والمملوء مجدًا.

والعبد الفطن، وإن غاب سيده عن عينيه لكن لا يغيب عن ذهنه أن سيده آتٍ في أي وقت، وذلك يدفعه إلى مضاعفة الجهاد، والتوقع يجعله دائم السهر والانتظار،

أما العبد الكسلان فغياب السيد عن نظره يجعله في تراخي واستهتار، لا يعبأ سوى بالساعة التي يعيشها ولا يعمل حساب لمجيء سيده، وهكذا يقف دون استعداد موقف المحاكمة، كمن يؤخذ في فخ أو كمثل المخاض الذي يباغت الحبلى فلا تنجو.

تنوع الوزنات:

أعطى السيد واحدًا من عبيده خمس وزنات، ولآخر أعطى وزنتين ولآخر وزنة واحدة، وأضاف الرب معلِّقًا، كل واحد على قدر طاقته. فالنعمة سخية في عطائها، كريمة في توزيعها، والسيد الرب أعطى الجميع وبلا استثناء، لكي لا يحتج أحد أنه لم يُعط شيء، ووراء عطاياه ومواهبه وإنعاماته توجد حكمة كامنة وفطنة إلهية، فهو فاحص القلوب ومختبر الكلى وعارف بالأشياء قبل كونها، فطاقة كل واحد وقدرته وإمكانياته أمور كلها واردة ومعروفة، لذلك فدينونته عادلة وأحكامه كلها حق وعدل.

بقى أن يعرف كل واحد ماذا أُعطى من لدن الرب، وكيف يتصرف فيما أوكل إليه أو أُؤتمن عليه، كيف يصون الوزنة، ثم كيف ينميها فتزداد، هذه هى عين المسئولية ولب

الموضوع!!

تاجر... فربح:

لا رِبح يأتي دون تعب التجارة وجهاد العمل... هذه قاعدة لا تخيب، أما الراغبون في الربح فكثيرون وأما محبو الجهاد وعرق العمل فقليلون... وتنمية الفضائل واستثمار النعمة كم أخذ من القديسين وقتًا وجهدًا وعرقًا وسهرًا... ومعاناة حتى الدم.

والتجارة تعني روحيًا تنمية الوزنات فما استلمه العبد الأول من وزنات تَضَاعف، فالخمس وزنات صارت عشرة، وكذلك الحال مع العبد الثاني صارت الوزنتان أربع وزنات إذ ربح مثل ما أخذ، أي زيادة مائة بالمئة في الحالتين.

وإن تأملنا في كنه الوزنات المعطاة لنا من الله، فما أكثرها فعلاً، وما أقل ما نتاجر فيها ونربح ونزداد، بل يا للحسرة عندما نفقد في أحيان كثيرة ما كان عندنا من وزنات فلا توجد.

ما هى الوزنات؟

يقول البعض أن أثمن وزنة أُعطيت للإنسان المسيحي

هـى الوقـت، سـنين وأيـام العمـر، فـإن اسـتثمرها صـارت مضاعفة مباركة مثمرة، كأيام السماء على الأرض، فالقديس بـولس الرسـول يوصـي قـائلاً: "اسـلكوا كحكمـاء لا كجهلاء مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة"... فإن ضاع الوقت وفُقد، فقد الإنسان كل شيء، لأن اليوم يوم خلاص والوقت وقت مقبول... لقد حول الآباء الأيام والليالي إلى زمن للتوبة، وزمن للحياة مع المسيح ودخلوا بالساعات إلى عِشرة الملائكة والسمائين وحولوا الزمن الميت إلى زمن حي يبقى إلى الأبد كرصيد لحياة أبدية.

وقد تكون الوزنات هى المواهب التي أجزلها الرب لنا بكل حكمة وفطنة فهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء وآخرون رعاة ومبشرين، لواحد أعطيت مواهب شفاء، وآخر موهبة التعليم، كما قسم الله أيضًا لكل واحد نصيبًا من الإيمان المدبر فباجتهاد، الراحم فبسرور، واحد استؤمن على قلب حكيم وعقل راجح، وآخر له محبة فياضة وعواطف مقدسة ولآخر أحشاء رأفات... إلى أخر هذه العطايا الجزيلة.

☩ فماذا يا ترى كان موقف كل واحد منا، هل وضع الوزنات عن الصيارف؟ هل تزداد النعمة فيه إذ تجد قلبًا مستعدًا فيمتد ملكوت الله داخله؟

أم تتقلص الوزنة كل يوم؟ وبعدما بدأ بالروح يكمل بالجسد. الأمر يحتاج إلى فحص النفس ووقفة جادة بضمير صاح لئلا نهمل أمر خلاصنا ونقف في خزي العبد الذي دفن الوزنة.

مضى وحفر في الأرض:

هذا ما فعله العبد الأخير، مضى وحفر في الأرض وأخفى فضة سيده، ما كلَّف نفسه أن يتعب، ولا فكر أن يتاجر فيربح، ولا انتظر مجيء سيده، ولا عمل حسابًا ليوم الحساب، بل ألقى نفسه إلى الإهمال والتواني وبتفريط استسلم للكسل، وهذه الآفات قادرة أن تجمد الحياة الروحية وتهدم بنيانها.

ظن العبد في نفسه أنه ما خسر شيئًا حينما دفن الوزنة كمن يحتفظ بها، وعلل نفسه بالعلل أنه ما أضاع شيئًا وجمَّد العلاقة بينه وبين سيده في هذا الإطار، وكشف عن حقيقة نظرته للسيد المُعطي العطايا، كأنه ديان فقط، وكأن السيد طالب منفعته الشخصية، وفي قبضة الخوف - خوف العبيد - ظل زمانه كله غير عمال، غير مثمر، هذا الخوف لا يليق بأولاد الله، لقد جاء المسيح لكي يعتق الذين كانوا كل زمانهم تحت العبودية بسبب الخوف، ويحرر ويخلِّص الإرادة إذ أن

فعل الخير دون إرادة حرة لا يعتبر خيرًا في ذاته.

دفن الوزنة:

⌖ دفن الوزنة في التراب يُشير إلى طمر المواهب في الجسد والجسديات، كل موهبة، كل عطية تتحول لخدمة الجسد والعالم، يكون الإنسان قد حكم عليها ودفنها في التراب.

⌖ فالعقل الراجح إن اشتغل لحساب الجسد وتفنن في الجسديات من أكل وشرب ولبس وشهوات ألا يكون قد انحصر في التراب.

⌖ والقلب المملوء بالحب إن انزلق إلى هوة الحب الشهواني والنجاسات ألا يكون قد اندفن مع الجسد الترابي في الأعماق السفلى.

⌖ والذهن الحكيم، إن تحول إلى المكر والخبث واللف والدوران وتأويل الكلام والمراوغة وعدم الصراحة، ألا يكون قد أخفى تحت تلال التراب والعدم.

⌖ والوقت إن انقضى في الملاهي والمشاغل، والارتباك بهموم العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء، ألا يكون الوقت قد اندفن في تلال التراكمات من الأمور الزائلة الترابية.

⌖ والغِنى والمال والثروة... إن خدمت أغراض الجسد، والزهو والكبرياء، والمفاخرة الكاذبة لتغطية الحياة بزخارف المجد الباطل الذي يفنى ألا يكون الإنسان قد دفن هذه الوزنة التي كان ممكنًا أن يُلقيها على موائد الفقراء والمعوزين وذوي الحاجات فتربح له أضعاف أضعاف ويجد الأرضيات قد تحولت إلى سمائيات بتجارته الرابحة؟

⌖ وهكذا كل الوزنات والمواهب والعطايا... إما تستثمر لحساب الروح أو تُدفن في تراب الجسد؟

⌖ بالنسبة للوالدين... أليس الأولاد وزنات غالية، ألم يستلمها الآباء من جرن المعمودية كأمانة، ليتاجروا فيها وينموها في خوف الله وحفظ وصاياه.

وماذا عن الأولاد الذين يضيعون في العالم وفي متاهات ومنحدرات خطرة، في خطايا ونجاسات وانحرافات... حتى إلى الموت؟ ماذا يكون جواب الآباء عن هذه الوزنات؟

أنه أمر خطير... خطير حقًا.

نعمًا أيها العبد الصالح:

تُرى ماذا يكون وقع هذه الكلمة وهى تخرج من فم الديَّان وأي فرح لا يُعبر عنه سرور دائم يكتنف نفس هذا العبد الذي

استحق هذا النصيب الصالح!؟

إنـه مدح من الله، أتـى في نهايـة المطـاف في يوم التكليل وكشف المستورات.

⌖ يوجد مدح من النـاس نسمعه كثيـرًا معظمـه مجـاملات وبعضه رياء ومداهنة، وبعضـه مدح لما يستحسنه إنسان وهذا قد لا يروق لآخر، ويوجد مدح غاش كاذب منـافق... وأنـواع كثيرة وهذا كله باطل وقبض الريح لأن ليس من يمدحه النـاس هو المزكى بل الذي مدحه من الله.

⌖ وهنـاك مدح الشياطين بغرض الغواية وإدخـال الكبريـاء إلـى الـنفس ولا سـيما السـاعين فـي الطريـق الكـرب ودروب الفضيلة، يمدحهم الشيطان قبل الأوان، إنـه مدح مزيـف قيل عنه في المزمور **"وليرجع بالخزي سريعًا القائلون ليَّ نعمًّا نعمًّا"** (مز ٦٩). ولكن القديسيون لم يعبأوا بـه ولا قبلوه، بل علـى قدر ما مدحهم على قدر ما زادوا احتقارًا لذواتهم وضاعفوا جهادهم فغلبوه.

⌖ إذن لا تترجـــى أن تســـمع كلمــــة الاستحســـان هـذه "**نعمًّـــا**" مــن فــم النـــاس أيًـــا كـــانوا، ولا تميــل أذنــك لتســمعها مــن ذاتــك فتمــدح نفسـك وتمجـد ذاتـك وأعمالـك، ولا يغويـك الشـيطان فتسـمعها منــه وتصــدقه، لأنــه كــذاب

وأبو الكذاب.

بل انتظر وترجى أن تسمعها من فم الرب المبارك، لأن مواعيده صادقة وأمينة وعطاياه بلا رجوع وبلا ندامة.

نعمًّا أيها العبد الصالح والأمين:

وَجَدَ العبد نعمة في عيني سيده فناداه "نعمًّا"، وامتدحه بحكمة إلهية مركزة في صفتين بدونهما تفقد الحياة الروحية معناها وتتحرف عن قصد الملكوت...

الصالح والأمين:

الصلاح يكون في الأعمال، والأمانة في الإيمان. ومن الاثنين يتكون نسيج الكمال المسيحي كما من السدة واللحمة التي لا يمكن تفضيل الواحد عن الآخر أو تزكية المثيل عن المثل، إذ كل منهما يقوم بالآخر ويعتمد عليه، الصلاح هو ترجمة الإيمان إلى أعمال صالحة مرضية أمام الله والناس، وكقول يعقوب الرسول أن الإيمان بدون أعمال ميت في ذاته والقديس يوحنا الرسول أيضًا يوجز عبارات إلهية **"إن قال أحدٌ: إني أُحب اللّه وأبغض أخاه، فهو كاذبٌ. لأن من لا يُحبُّ أخاهُ الذي أبصره، كيف يقدر أن يُحب اللّه الذي لم يُبصرهُ؟"**

(ايو ٤ : ٢٠).

⌖ إذن إن لـم يتحـول الإيمـان إلـى أعمـال صـالحة فما المنفعة؟ يكون والحال كذلك، كإيمان الشياطين الذين يؤمنون بوجود اللّه الواحد ويقشعرون ولكنهم لا يحيون بالإيمان وليس لهم صلة على الاطلاق باللّه، بل هم على النقيض تمامًا، إذ هم عادمون كل صلاح.

لقد تـاجر العبـد، ضـاعف الوزنـات عمليًـا، فـي الحيـاة والمعاملات عند الصيارف، بالجهد والعرق والاحتمال هذا هو الصـلاح. وانتظر بإخلاص مجـيء السيد المبارك، وهذا هو الإيمان برجاء.

والامتزاج بين ما عمل وآمن به كان كاملاً وحقيقيًا فصار في عيني القدير عبدًا صالحًا وأمينًا.

كنت أمينًا في القليل:

كـل مـا نـؤتَمن عليـه فـي هـذا العـالم يعتبـر قلـيلاً بالنسبة للأبدية، لأن هناك سيكون كمال كل شيء، واستعلان كـل شـيء. مـا نـراه الآن، كمـا فـي مـرآة، كما في لغز، سيستعلن هناك بأكثر جلاء وأكثر وضوح. هنا نسـلك بالإيمـان، والتصـديق القلبـي والإيقـان بـأمور

لا ترى، وأما هناك ففي نور وجه يسوع المسيح لا يوجد شيء مخفي أو مبهم، ولا يوجد أحد ناقص المعرفة.

⌖ لذلك فإن إيماننا يُختبر هنا على الأرض، في القليل الذي يعطى لنا، أو ما يسميه الكتاب المقدس بالعربون "أعطانا عربون الروح"... فإن وجد الإنسان أمينًا في القليل، فسيقيمه الرب على الكثير ويطلعه على الأسرار التي لم يُعَرف بها بنو البشر.

⌖ الآن نعرف بعض المعرفة، نعلم بعض العلم، نزداد في الإيمان. الآن نمارس الحياة مع الله ولكن في أسرار، أي بطريقة سرية قد لا تبدو للعيان ولا تدرك بالحواس. **"فما أحياه الآن ... أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلَم نفسه لأجلي"** (غل ٢ : ٢٠).

ثمة معنى آخر للإيمان جدير بالاعتبار، هو ما قاله الرب لملاك الكنيسة "تمسك بما عندك" هذه هى الأمانة في الإيمان، لأن الإيمان قد تسلم مرة للقديسين، والأمانة الأرثوذكسية التي نحياها هى حراسة الوديعة وحفظها والتمسك بما تسلمناه حتى النفس الأخير.

⌖ الآباء القديسون أبطال الإيمان أمثال أثناسيوس الرسولي وساويرس الأنطاكي وديسقورس وكيرلس الكبير، كم

ذاقوا من آلام حتى الدم في سبيل الحفاظ على الإيمان؟ حتى سلَّموا الأمانة لمن بعدهم خلوا من كل غش ومن كل ابتداع الهراطقة.

⌖ الشهداء الأبرار أثبتوا باستشهادهم أنهم غاية في الأمانة والحرص على إيمانهم، وكتبوا بدمائهم وثيقة حبهم وولائهم للملك المسيح ولم يفرطوا في شيء مما استلموه وتحدوا العالم بكل قوته.

⌖ الآباء النساك حفظوا الأمانة، وكمّلوا مسيرتهم في الطريق الضيق بإخلاص وأثبتوا بالقدوة والحياة أنهم عندما وجدوا الجوهرة كثيرة الثمن مضوا وباعوا كل ما لهم واشتروها ولم يفرطوا فيها حتى النفس الأخير.

⌖ وهكذا نشتم في سيرة الأبرار محبي المسيح من جميع عينات الناس رائحة الأمانة والإخلاص والتمسك بالحق وحفظ الوصايا وعدم التهاون أو التراخي، والسهر مع مخافة الله،... كل هذه علامات أن النفس صارت فعلاً مؤتمنة وأمينة على وزناتها التي قد أعطاها الروح القدس بحسب مواهبه المتنوعة.

كل هذا يُعتبر أمانة في القليل إذا ما قورن بما سنناله في ملكوت المسيح حيث الفرح لا ينتهي والنور لا يغيب، وشمس البر لا يغرب، وعشاء العريس الحقيقي في العرس الأبدي لا

يُعبّر عنه.

فالأبرار الذين أضاءوا هنا قليلاً سيضيئون إلى الأبد في ملكوت أبيهم.

وعربون العزاء الذي ناله القديسين هنا سيصير عزاءً أبديًا. والإيمان بما لا يرى هنا... سيصير رؤيا علانية أبدية.

هكذا إذ قد صارت النفس أمينة في القليل (أي الزمن الذي على الأرض) تُؤتمن على الكثير حيث لا زمن فيما بعد... بل حياة أبدية.

ادخل إلى فرح سيدك:

الفرح الروحاني السماوي، فرح المسيح الخاص، الذي لا يشوبه كدر ولا حزن، ولا وجع قلب، مثل باقي ما للمسيح الإله من أمجاد لا نهائية وسلام خالص فائق للطبيعة، هذا الفرح يُدخِل إليه الرب عبده الصالح الأمين لكي يتمتع بالفرح ويتنعم فيه، يا لها من سعادة لا يُعبَّر عنها. قد نذوق الفرح ونحن بعد في الجسد، ولكن كثيرًا ما يكون مشوبًا بشيء من الحزن والغموض في غمرة هموم الجسد وحروب الشياطين، مثل النار التي تشتعل ولكن لا يخلو اشتعالها من تصاعد الدخان. أما وقد وصلت النفس

أعتاب السماء، الموضع الذي هرب منه الحزن والكآبة ووجع القلب، فلا يوجد سوى سلام المسيح، فرح المسيح، وليس أمام النفوس المختارة سوى التمتع والتنعم إلى الأبد.

على أن كمال الفرح وبلوغ غايته لا يعرفه إلا الذي يناله، ويدخل إليه، فطالما نحن في الجسد فنحن متغربون عن الرب، فنسر بالأَولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب، وقد قال الرب لملاك الكنيسة في سفر الرؤيا "**من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المَنِّ المُخفَى، وأعطيه حصاةً بيضاء، وعلى الحصاة اسمٌ جديدٌ مكتوبٌ لا يعرفه أحدٌ غير الذي يأخُذ**" (رؤ ٢ : ١٧)، فمعرفة التنعُّم السماوي وكل ما يتبعه من عطايا جزيلة وإكرامات إلهية لورثة الملكوت يكون قاصرًا عليهم خاصًا بهم لا يمكن إدراكه إلاَّ بالدخول إلى الفرح عينه، على هذا يصير وصف هذا الفرح لمن لم يتمتع به ضرب من ضروب الخيال، كمن يصف طعامًا شهيًا لمن لم يذقه من قبل، فهيهات أن يتمتع بطعم أو رائحة، وبالأكثر فإن وصف الطعام مهما كان دقيقًا ومفصلاً فأنه لا يملأ جوف الإنسان، بل على العكس يزيده جوعًا على جوع، لذلك فإن الفرح الإلهي يدخل إليه الأبرار، وتكون النفس متغربة عنه إلى أن تدخل إليه، وحالما دلفت إليه فإنها

مقيمة فيه ومتنعمة به إلى دهر الدهور.

ثم جاء الذي أخذ الوزنتين:

مع اختلاف قيمة الوزنات وعددها فإن صاحب الوزنتين لم يفرق شيئًا عن سابقه الذي كان له خمس وزنات وربح خمسًا آخر فوقها. فإن الذي أخذ الوزنتين كان هو الآخر على مستوى الجهاد والإخلاص وعلى مستوى الصلاح والأمانة والإيمان.

تاجر فربح وزنتان أخريان فوقها:

ووقف أمام الديان العادل يحمل وزناته التي تضاعفت بسهر الصلاة وجهاد الأصوام وحمل الصليب وإنكار الذات وتنفيذ وصايا المسيح والحياة في الإيمان والرجاء والمحبة.

فسمع من فمه الإلهي ذات العبارات التي تغمر النفس بفرح لا ينطق به، نعمًا أيها العبد الصالح والأمين كنت أمينًا في القليل أقيمك على الكثير ادخل إلى فرح سيدك.

هذا يجعلنا ندرك أن العِبرة ليست فيما استؤمنا عليه من وزنات من حيث العدد أو القدر أو نوع المواهب والعطايا الإلهية، بل فيما آلت إليه وزناتنا بعد زمن هذا مقداره الذي

هو عمر كل واحد على الأرض.

ماذا أصابنا من ربح وماذا حققنا من نمو:

قال الرب يسوع في صلاته الوداعية: "أيها الرب أنا مجدتك على الأرض أنا أظهرت اسمك للناس" وهذا هو الكمال المطلق كما ظهر في شخص المسيح الكامل... الذي هو رئيس إيماننا ومكمله، ليتنا نستطيع أن نقولها بطريقة ما قبل انطلاقنا من العالم. فترى أن العبد الثاني قد حقق ذات النتيجة بكمال التعب والتجارة في الروح فتضاعفت الوزنات مائة بالمائة، إذ لا يقبل عمل ناقص أو لا يكلل جهاد ناقص ولا يحظى بمديح الديان العادل إلا الذي يستطيع أن يقول مع القديس بولس الرسول: "جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيرًا قد وُضِعَ لي إكليل البر".

ثم جاء الذي أخذ الوزنة:

أي موقف أسيف يقفه مثل ذلك العبد المخزي، لا سيما إذا ما قورن بالعبيد رفقائه الذين كانوا تحت الآلام مثله؟ إنه خزي وحسرة وندم مع حزن لا ينتهي مع مصير أبدي مشئوم، ومن المدهش أن العبد الكسلان والبطال يحاول محاولات

يائسة أن يجد لنفسه الأعذار في ما آل إليه حاله من البؤس والشقاء، وفيما هو يعلِل نفسه بالعلل ألقى بالملامة على السيد صاحب الفضل ومنبع الحب، وقال: "يا سيد علمت أنك تحصد حيث لم تزرع فخفت وأخفيت الفضة"، يا للعجب...!!

أليس هذا موقف الكثيرين بيننا، حينما يوجدون في موقف التقصير وموقع الخطاة والمتوانين، يسرعون بإلقاء اللوم على الله، كأنهم بهذا يجدون ما يُبرِر مسلَكهم الخاطئ وكأنهم بهذا ينجون من الدينونة العادلة.

أن يتبرر الإنسان أمام الله، هذا لا يأتي إلا ببر الإيمان العامل، وشهادة الضمير الحي وحفظ الأمانة الكاملة، أما أن يعتذر بالأعذار، فهذا من رابع المستحيلات، لأنه في الدينونة كل فم يستد لا يستطيع الكلام لأن أحكام الله حق وعادلة معًا.

على أن هذا يكشف لنا أغوار تدبير ذلك العبد غير الفَطِن، لقد عاش كل زمانه مقتنع بهذا الفكر الخاطئ، أن السيد قاس ومخيف، وأن الطريق الأمثل هو إخفاء الوزنة ثم ردها إليه إذا جاء، لقد أطغاه الشيطان بهذا الفكر الخاطئ وبنى كل حياته ومستقبله عليه..!!

جواب الرب:

جاوب الرب العبد البطَّال والكسلان قائلاً: علمت أنني سيد قاس أحصد حيث لم أزرع، وأجمع من حيث لم أبذر، هب أنني كذلك، كان الأجدر بك أن تضع فضتي في موائد الصيارف لتربح، فعندما أجيء استوفيها مع الربح...!! لقد استقر في ذهن العبد فكر شرير من نحو السيد وهذا قاده إلى تصرف أحمق أكثر شرًا، ينبغي أن يبني الإنسان فكره من نحو الله على أساس حقيقي، فما أكثر الأفكار التي تصور الله في ذهن الإنسان بذلك، ويتصرف على هذا النحو فيسيء إلى نفسه وإلى مصيره الأبدي.

☩ إن كل فكر لا يحثنا على مواصلة الجهاد الروحي، بل يدفعنا إلى الكسل والتسويف هو ليس من الله، وليس من الحق في شيء، فإن كان الفكر الذي استقر في ذهن العبد البطَّال كرًا نافعًا ما كان دفعه إلى الكسل وعدم السعي.

لم يكن للعبد أن يجاوب الله متعللاً ومعتذرًا، ولم يكن له أن يفتح فاه، ولكن صلاح الله الكلي سمح له بذلك، ومن أجل منفعتنا وخلاصنا أجاب الرب هذه الإجابة التي كشف لنا بها خداع الفكر القاصر وتزييف الحق.

خذوا منه الوزنة:

أمر الرب ملائكته، خدامه الصانعين إرادته أن يستلموا الوزنة من العبد البطَّال، في لحظتها أصبح بلا شيء، حتى القليل الذي اؤتمن عليه لم يُوجَد أمينًا فيه فنُزِع منه، وتجرد في ساعتها من كل فضيلة ومن كل صلاح ومن كل معرفة، ومن كل حكمة ومن كل موهبة.

ماذا يكون حال الإنسان إذا نُزِعت منه النعمة؟!

إن الإنسان في حال تخلي النعمة وهو على الأرض يصير في المسكنة والعوز ويتردى في الدركات السفلى في الخطايا والانحلال ومذلة العبودية كمن يرعى خنازير في كورة الجوع.

فإن كان تخلي النعمة على الأرض يجعل الإنسان هكذا، فماذا يكون وضعه في الدينونة حين يُنزع عنه آخر ما كان عنده من النعمة؟ قيل أنه يُطرَح خارجًا مُعَذبًا في بكاء وأنين وصرير الأسنان في الظلمة الخارجية.

وأعطوها للذي عنده العشرة وزنات:

قال الرب هكذا لخدامه الصانعين إرادته "لأن كل من له يعطى فيزداد أما من ليس له فالذي عنده يؤخذ منه"، الذي وُجِدَ أمينًا تضاعفت وزناته وربحت تجارته الروحية فاستأمنه الرب على فضائل أكثر ونِعم أوفر، هذا هو قانون الروح، كلما تاجر بالروح ازداد في الفضيلة، والفضائل حلقات متصلة، كدرجات السلم، الواحدة تصعدك إلى الأخرى، فضيلة تدفع إلى فضيلة والعكس صحيح، فالخطايا سلاسل، حلقة تسلّم إلى حلقة أخرى، وكنزول السلم، انحدار يقود إلى انحدار وخسارة تعقبها خسارة...

فصاحب الوزنات العشر ينمو إلى زيادة حتى الملء وصاحب الوزنة الواحدة ينحسر إلى نقصان حتى العدم.

ليجعل الرب نصيبنا مع صاحب الوزنات العشر الذي استحق ميراث الحياة إلى الأبد.

{١٥}
مثل الغَني ولعازر (لو ١٦: ١٩ ـ ٣١)

"كان إنسانٌ غنيٌّ وكان يلبس الأرجوان والبَزَّ وهو يتنعَّم كل يومٍ مترفِّهًا. وكان مسكينٌ اسمه لعازر، الذي طُرِحَ عند بابه مضروبًا بالقروح، ويشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغَني، بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه. فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ومات الغَني أيضًا ودُفِنَ، فرفع عينيه في الجحيم وهو في العذاب، ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه، فنادى وقال: يا أبي إبراهيم، ارحمني، وأرسل لعازر ليَبُلَّ طرف إصبعه بماءٍ ويُبرِّد لساني، لأني معذَّبٌ في هذا اللَّهيب. فقال إبراهيم: يا ابني، اذكر أنك استوفيت

خيراتـك في حياتـك، وكـذلك لعـازر البلايـا. والآن هـو يتعـزَّى وأنت تتعذَّب. وفوق هذا كلِّه، بيننا وبينكم هُوَّةٌ عظيمةٌ قد أُثبتت، حتـى إن الـذين يريـدون العبـور مـن ههنـا إلـيكم لا يقـدرون، ولا الـذين مـن هنـاك يجتـازون إلينـا. فقـال: أسـألك إذًا، يـا أبَـتِ، أن تُرسله إلى بيت أبـي، لأن لـي خمسة إخـوةٍ، حتـى يَشْهَد لهم لكيلا يـأتوا هـم أيضًا إلى موضع العـذاب هـذا. قـال لـه إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء، ليسمعوا منهم. فقال: لا، يا أبي إبراهيم، بـل إذا مضـى إلـيهم واحـدٌ مـن الأمـوات يتوبـون. فقـال لـه: إن كـانوا لا يسـمعون مـن موسـى والأنبيـاء، ولا إن قـام واحـدٌ مـن الأمـوات يُصدِّقـون" (لو ١٦ : ١٩ ـ ٣١).

الغَني وإبراهيم:

من المفارقات العجيبة حقًا أن إبراهيم أب الآباء كان رجلاً غنيًا ذو أمـلاك ومقتنيـات هذا عددها، ولـم يقف هذا الغِنـى وكثرة الأمـلاك حـائلاً بينـه وبين إلهه، بل سار أمام الله الذي دعاه قائلاً: **"سر أمامي وكُن كاملاً" (تك ١٧ : ١)**، وخرج وهو لا يعلـم أيـن يمضـي، وتغـرَّب فـي أرض الموعـد كأنهـا غريبـة وسـكن الخيـام كالغريـب علـى الأرض... وكثـرت أملاكـه وتعاظم جدًا، ولكن أينما حل كان يبني مذبحًا للرب، سالكًا

بالإيمان لا بالعيان، حتى اجتاز أقسى الامتحانات الإيمانية إذ لم يكن ضعيفًا في الإيمان بل تقوى، ولم يحسب حساب جسده إذ صار مماتًا ولا مماتية مستودع سارة، وبالإيمان أيضًا قرَّب إسحق ذبيحة وقُربانًا لله، إذ حسب إن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضًا.

فالعيب إذن ليس في الغِنى والمقتنيات بل في سلوك الإنسان ونظرته، هل هو من إيمان إبراهيم ويسلك في خطواته؟

ومن العجيب أيضًا أن هذا الغَني كان ينادي إبراهيم يا أبي...! بينما هو محروم من حضن إبراهيم، كيف يكون هذا؟ قال الرب للفريسين لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم، الموضوع إذن ليس هو انتسابًا جسديًا لأبي الآباء، أو افتخار الحسب والنسب ولكن شهادة الحياة وأمانة الإيمان وإخلاص النية وعمق العلاقة مع الله، لأن الله قادر أن يُقيم من الحجارة أولادًا لإبراهيم.

ترى هل سلك هذا الغَني في خطوات إبراهيم؟

قال الرب إنه كان يلبس الأرجوان والبَزَّ وهو يتنعم كل يوم مُترفهًا هذا لم يفعله إبراهيم.

✠ إبراهيم لم يذهب في طلب الغِنى، ولم ينجذب نحو سدوم وعمورة وقد كانت أرض إغراء بكثرة، خضرة كجنة

الرب كأرض مصر.

⌖ إبراهيم لم ينتفخ بكثرة الغِنى والأملاك ويتعالى بتعظيم، بل على العكس كان غاية في الاتضاع حتى سجد لسكان الأرض أصحاب حقل المكفيلة...

لم يُذكر عن أب الآباء أنه كان يتنعم مترفهًا، كان يستعمل العالم ولم يكن مُستَعبدًا للعالم، كان يملك الأملاك ولم تملك عليه الأملاك، الترف لم يعرف طريقًا إلى حياته، لقد عاش رغم كثرة الأملاك في خيمة الغربة رافضًا قصور الملوك وخصوصيات العظماء، قال لملك سدوم عندما عرض عليه أن يأخذ الأملاك التي استردها إبراهيم من السبي **"رفعت يدي إلى الرب الإله العليِّ مالك السماء والأرض، لا آخذنَّ لا خيطًا ولا شراك نعلٍ ولا من كل ما هو لك، لئلا تقول: أنا أغنيتُ أبرام"** (تك ١٤ : ٢٢ - ٢٣)، لقد رفع يده إلى إله السماء والأرض المالك الكل وقد قال الرب له: لا تخف أنا تُرسٌ لك أنا أَجْرُكَ الكثير جدًا، لقد صار الله هو الغنى الكامل، والنعيم الكامل.

ولكن إن غاب الله عن الحياة يغرق الإنسان في الغِنى الغير يقيني، يتكل على أمواله بل يظن أن حياته من أمواله، فلا يستخدم الغِنى بل يتفنن في النعيم والترف، وقد قال يهوذا

الرسول عن أمثال هؤلاء **"الذين يحسبون تنعُّم يومٍ لـذَّةً"** (٢بط ٢ : ١٣)، إنـه تنعم يوم، أي أنـه لذة وقتية زائلة وترف لحظي إذا ما قورن بالأبدية التي لا تنتهي.

يلبس الأرجوان والبز ويتنعّم كل يوم مترفهًا:

انحصرت حياة الغَني في هذه الأفعال، المأكل والملبس والتنعم والترف وهى كلها مختصة بالجسد، زائلة بزواله، وكلها للفناء وللاستعمال المؤقت، تفسدها كثرة الأيام وتتعتق بالزمن، فالملبس الفاخر اليوم هو خرقة بالية غدًا ومآدب القصور يكمل فيها كلام الرب **"الأطعمة للجوف و الجوف للأطعمة، والله سيُبيد هذا وتلك"** (١كو ٦ : ١٣).

وهذا المظهر الكاذب الذي يضيفه الغَني بملابس الأرجوان والبَزّ هى في الواقع محاولة فقيرة لكسي الخزي والعري وتغطيةً لصرف النظر عن الواقع... الأصل في الملبس أن يكون سِترة للعري... ولكنه تحول وانحرف إلى متاهات، وجنون الأزياء كل يوم يتفنن فيها الإنسان ويغوي بفنونها... أنها دوامة رهيبة حقًا ومن يستطيع أن يُنجي نفسه، فالإنسان يصير عبدًا للمظهر، لا سيما عند الأغنياء، فالملبس هو تعبير عن الغِنى، والتفاخر بالملبس، والتسابق

في هذا المعنى... أين إذن وصية الإنجيل "**لا تكُن زينتكُنَّ الزِّينة الخارجية**، من **ضَفرِ الشعر والتحلِّي بالذهب ولبس الثياب**" (١بط ٣ : ٣)، هذه زينة خارجية تجعل الإنسان يبدو على غير ما هو عليه، إنه نوع من الخداع. بل زينة الروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمن.

✠ لقد لبس هيرودس الحلة الملوكية وكان قد أنتن في الداخل.

✠ الفريسيون كانوا في ثيابهم الفضفاضة تبدو ظواهرهم مثل الصديقين ولكنهم من داخل كانوا كالقبور النجسة.

بينما يوحنا المعمدان كان يلبس وبر الأبل ومنطقة من جلد على حقويه... وتحت هذه الثياب الفقيرة كان يعيش أعظم مواليد النساء وقال الرب عنه "**ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟ ... أإنسانًا لابسًا ثيابًا ناعمةً؟ هوذا الذين في اللِّباس الفاخر والتَّنعُّم هُم في قصور الملوك**" (لو ٧ : ٢٤ ـ ٢٥)... أما يوحنا المعمدان فهو أرفع مقدارًا وأسمى شأنًا من سكان القصور.

التنعُّم:

الذين يحسبون تنعم يومٍ لذة، هؤلاء الذين كتب عنهم

الرسول أنهم غيوم بلا ماء ونجوم تائهة محفوظ لها قتام الظلام.

إن التنعُّم والترف هما أخطر آفة تُصيب خلاص الإنسان في الصميم، إنها وسائد لأوصال الأيدي لاصطياد النفوس، فحينما يحيا الإنسان حياة التنعم والترف، اسأله عن هذه...

- ✍ أين التوبة والانسحاق؟
- ✍ أين الاتضاع والمسكنة؟
- ✍ أين الجهاد والصراع والجهاد حتى الدم ضد الخطية؟
- ✍ أين ضبط النفس وحفظ الحواس؟
- ✍ أين الأصوام والتذلل؟
- ✍ أين السهر والصلاة؟

لقد اختفى كل ما يختص بالروح والإنسان مخمور بخمار العالم متخم بسكر الشهوات والتلذذ الحسي وغارق في نعيم لا يدوم... بل أن الإنسان في هذه الحالة يبغض كل ما من شأنه أن يوقظه، هو يريد أن يظل سعيدًا متنعمًا مترفهًا كل يوم.

التغاضي:

من شأن حياة كهذه هدفها الأول منحصر في التنعم

والترف أن تُصَيِّر الإنسان غاية في الأنانية وحب الذات، يريد أن يمتع نفسه ويلذذ ذاته بالمسرات ويجلب الفرح لنفسه... فهل من مشاركة لآخرين في ضيق؟ كلا، وهل من نظر إلى معوزين؟ من أين له ذلك!!

لقد انحصر في الذات ولم يعد يرى سواها.

هناك لعازر المسكين عند الباب، ما أقربه... ولكن يبدو أنه أسقطه من حسابه، أو ربما كان منظره هكذا يثير الاستياء، وربما طلب إليه أن يرحل أو أوحى إلى الخدام أن يلقوه بعيدًا عن القصر بعيدًا عن البصر لقد كان وجود لعازر يعد بمثابة فرصة هيأتها النعمة لأجل خلاص الغَني المسكين ولكنه لم ينتفع بها ولا أولاها اهتمامًا.

بل على العكس كان يهدرها اهدارًا.

كان لعازر يشتهي أن يملأ بطنه من الفتات الساقط من مائدة الغَني ويبدو أنه حتى الفتات كان يضن به عليه... فمن المؤكد أن ما يفيض من مائدة الغَني كان كثيرًا، بل وكثيرًا جدًا ومن المؤكد أيضًا أنه كان يُلقي كنفاية كل يوم ما يزيد أضعافًا عن حاجات لعازر المسكين، وكانت تتجمع الحيوانات الضالة كالكلاب لتجد طعامها من هذه النفايات... وهذا يعني أن لعازر لم يكن يخطُر على بال أحد، كان

بالنسبة للغني كمًا مهملاً ليس له حساب...

عمل الرحمة:

ما أعجب سلوك الأبرار... يُحكى عن الأنبا ابرآم أسقف الفيوم أنه كان يأكل مع الفقراء والمساكين، وقيل أيضًا أنه اكتشف ذات يوم أن الطباخ ميَّز بين طعامه وطعام المساكين، فأقاله من عمله...

ليس عمل الرحمة عملاً خارجيًا من عطاء للمساكين، بل هو عمل قلبي داخلي، ينبع من القلب، فيود الإنسان أن يعطي ذاته، يبذل نفسه، ويضع نفسه مكان الضعيف والفقير والمسكين، بل يضعها كخادم، وكآخر للكل.

مكتوب من يعطي الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه كأنه يصنع المعروف للرب نفسه، فيجازيه في يوم الدين بل أن الرب يسوع قال أنه سيقول للأبرار الذين يقفون عن يمين كرسي مجده، "**جُعتُ فأطعمتموني. عطشتُ فسقيتموني.. كُنتُ مريضًا فزرتموني**" (مت ٢٥ : ٣٥ ـ ٣٦)، الحق أقول لكم ما فعلتموه مع أحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي قد فعلتم ... إلى هذا الحد تقف الرحمة تفتخر في الحكم، طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون.

مات لعازر... مات الغَني أيضًا ودفن:

الموت يضع نهاية للمفارقات المؤسفة في هذا العالم، ويضع نهاية لأتعاب المساكين ودموع المظلومين، وفاقة الفقراء، تنتهي كل المظالم والمتاعب والاضطهادات والضيقات، والآلام والأمراض والأحزان والهموم والأوجاع وكل أنواع الأنين... كل هذا أيضًا له نهاية.

وبذات القياس يضع الموت نهاية للمسرات والضحكات والأفراح والتنعم والترف وفخر الملبس ولذات المآكل والمشارب، وتنعمات الجسد في الشهوات وافتخار المراكز وعظمة الكبرياء والتفاخر والرياء والتملق وحب الظهور... سيضع الموت نهاية أكيدة لكل هذه الأمور وما شابهها. إنها نهاية واحدة أخيرة ساوت بين الغَني ولعازر، انتهت الفروق الاجتماعية واعتبارات الغِنى الزائل، والفواصل المصنوعة بيد البشر وفكر الناس، التي تجعل الغَني يجلس في مكان الصدارة بينما يلقي الفقير عند موطئ القدمين.

أخيرًا عاد الاثنين إلى التراب بهيئة واحدة، ولا فرق... انحلت الأعضاء المُكرَّمة والمهانة معًا ولتعود إلى التراب

الذي أُخذت منه.

هذا على صعيد الجسد... أما المفارقة العجيبة فكانت على مستوى الروح...

حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم:

رجعت الروح إلى خالقها الذي أعطاها... أحاطت الملائكة بروح لعازر وحملتها في كرامة، منظر مهيب سري ومُعزي للغاية، فالملائكة الأطهار هم المكلَّفون بحمل النفس إلى الأحضان الأبوية بعد أن رافقوا مسيرة نفس لعازر المسكين وهو في الجسد، لا شك أنهم رفعوا الصلوات التي كان يصليها شاكرًا وهذا من صميم عملهم (كما حدث لكرنيليوس)، وما يمكن استخلاصه بسهولة من كلمات الرب، أن لعازر الذي استحق أن تحمله الملائكة إلى حضن إبراهيم قد استوفى أتعابه وبلاياه على الأرض، لا بد أن يكون قد عاش حياة مملوءة أسرارًا مع الله، انتهت به إلى الميراث الأبدي فالخارج كان مهانًا أشد الاهانة مُهمَلاً كل الاهمال ولكن داخل نفس لعازر وجد الرب راحة في قلب منكسر ومتضع.

والبلايا تحيط بجسده من كل جانب، لكن لا بد أنه عاش

حياة شكر بالروح أرضت الرب، وحياة تسليم وقناعة عجيبة.

وإن انبعثت من جسده المضروب بالقروح رائحة نتن، إلا أن عدم التذمر وعدم الشكوى صعدت من داخله كرائحة بخور ورائحة سرور أمام الله، بيد الملائكة الأطهار.

⌖ تُرى هل اعتنى أحد بجسد لعازر عند موته أم أن المجتمع الذي لفظه حيًا لم يشفق عليه ميتًا؟

لا بد أنهم اكتشفوا موته ربما بعد وقت طويل. وفي أضيق الحدود ووارو جسده التراب، كمجهول وغير مُعتد به أما المظاهر العالمية وافتخار الأغنياء، فقد رافقت الغَني عند موته، فكل ما هو فاخر وكل ما يليق بكرامته الوهمية عملوه إرضاء لكبرياء الأغنياء...

⌖ يذكر البستان قصة عن راهب تتلمذ عند رجل متوحد قديس، وحدث أن نزل الراهب لضرورة إلى المدينة، وفي هذه الأثناء شاهد موكب مهيب لجنازة فلما سأل قيل له أنه أحد أغنياء المدينة، وقد كان رجلاً غير مشهود له بالصلاح، ولما عاد الراهب إلى البرية وجد أن معلمه المتوحد البار قد تنيح. ووجد أن وحشًا يجر جسده على الأرض فصار الراهب متألمًا ومتعجبًا من أحكام الله، إذ كيف يكون هذا؟ فالذي عاش حياة عالمية، يكرمونه بموكب هكذا؟ والذي قضى حياته عبادة

وصومًا وسهرًا ووحدة... تكون نهايته هكذا؟ وفيما هو متفكر بهذا عزاه اللَّه وعرَّفه أن هذا الغَني كان قد صنع بعض أعمال الخير، وكان لا بد أن يستوفيها مجدًا من الناس أما المتوحد فكان قد جاز في بعض الزلات وكان لا بد أن يوفي ما عليه على الأرض لكي لا يكون مديونًا في السماء... فنال الغَني عزاءه كاملاً على الأرض... ولا عزاء له في السماء، ونال المتوحد بلاياه كاملة على الأرض ولا وجع هناك في السماء.

♱ وأيضًا في قصة تلك القديسة التي كانت كثيرة الأمراض والأتعاب في الجسد حينما ظهر لها ملاك في الرؤيا ممسكًا بإكليلين واحد مُرصّع بالجواهر واللآلئ والآخر مليء بالشوك والحسك، فسألته ما هذان فقال لها هما لك... واحد تنالينه على الأرض والآخر في السماء. فهتفت به قائلة: أعطني إكليل الشوك هنا بكل سرور.

هكذا قيل عن الغَني... مات الغَني ودفن، بكل ما تحوي الكلمة من معنى ومناظر ومظاهر متكررة في حياة الأغنياء قد يحلو للناس أن يتفاخروا بها أو يتحدثوا عنها كيف كان المنظر مهيبًا، والموكب، وعظمة المدفن... إلى آخر هذه المظاهر الكاذبة... ولكن ترى ماذا كان وراء كل هذا؟

فرفع عينيه في الهاوية!

هذا كان المنظر غير المرئي من الناس، الذي يحتاج إلى وقفة جادة... دع عنك المناظر والأشياء التي تُرى... دع عنك الأحكام بحسب الظاهر، وبحسب الإنسان الباطل.. ادخل إلى العمق... تفحَّص الأمر بالروح لا بحسب الجسد، تجد المنظر انقلب تمامًا ما كان على الأرض قد انتهى، مقاييس البشر لم تعد ذات قيمة، نفس لعازر محمولة في وسط جوقة من الملائكة النورانيين في مجد وبهاء لا يوصف.

ونفس الغَني المسكين تحدرها أرواح الظلمة إلى الهاوية بلا رحمة وبلا حنو وبلا شفقة!!

لقد تعرى الاثنان من غطاء الجسد، وانكشفت أسرار الروح فظهر أن نفس لعازر متزينة بالفضائل، مكملة بالمجد.

آلامها وأتعابها، ضيقتها وفقرها تحولت كلها إلى بهاء ومجد فرح أبدي ومسرة لا تنتهي.

وعلى النقيض بالنسبة للغني انتهى الضحك، والسهرات، والمسرات، انقضى زمان التنعم والتمتع، انتهى زمان الافتخار والكبرياء، تحول كل هذا إلى غم، ونوح وبكاء وصرير أسنان.

رفع الغَني عينيه في الهاوية، فتح عينيه على غير توقع، لقد أفاق المسكين، ولكن يا للحسرة كان ذلك بعد فوات الأوان، كان في حياته على الأرض يعيش في غفلة كاملة، ولم يكن يعلم، كانت الدوامة قد لفته، أعمى الشيطان قلبه وأغلق عقله واحكم حوله دوائر الهلاك، فلم يعمل حسابًا لتلك الساعة المخوفة. أخيرًا رفع عينيه فإذا هو في العذاب، يا لهول الكارثة، ماذا يمكن عمله؟ لا شيء... سوى الندم الأبدي الذي لا يُغيِّر من الواقع شيئًا والبكاء حيث لا ينفع البكاء.

تُرى أين كانت هذه الحقيقة حين كان بالجسد؟

هل فكر لحظة في زوال العالم.

يا للخداع!!

ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟

رأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه:

من الحقائق التي تكشفها هذه العبارة في قول الرب، أن الحياة بعد الموت فيها كشف ومعرفة، وبصيرة ثاقبة، إذ تعرَّف الغَني على إبراهيم، رغم أنه لم يكن يعرفه بحسب الجسد، ولا يمكن أن يعرف صورته ولا هيأته، إذ قد فصلت

بينهما آلاف السنين ولكن ما أن رفع عينيه بعد أن خلع الجسد حتى تعرف على إبراهيم وتعرف على لعازر.

أكيد أن لعازر في حضن إبراهيم قد تغير عما كان عليه وهو مطروح على باب الغَني.

ولكن عالم الروح حيث تُفاض المعرفة، يصير كل شيء واضح معروف، ولا يمكن تجاهله أو عدم تمييزه. هكذا بسهولة عرف الغَني – إذ سمح الرب لروحه أن تتطلع من بعيد رغم الفاصل والهوة السحيقة، ورغم اختلاف المصير – سمح له أن يتطلع فرأى إبراهيم ولعازر متنعمًا في حضنه. قد يتساءل الناس كثيرًا، هل سنتعرف على بعضنا البعض، وعلى أحبائنا الذين سبقونا؟ بكل تأكيد، ستصير كل الأمور مكشوفة ومنيرة في نور وجه يسوع، لن تنقصنا المعرفة، على أن المعرفة السماوية تفوق المعرفة بحسب الأرض والجسد، والعين الجسدية، وصلات القرابة واللحم والدم إذ نكون قد تحررنا من كل ذلك، فالمعرفة تكون خالصة حرة من قيود الذات ورباط الأنا والأنانية، سنعرف كما عرفنا من المسيح، أي بالأسلوب الذي عرفنا وأحبنا به، بذات الروح، روح المسيح.

ويكون الرباط الروحاني الأبدي الذي يربطنا بكل

السمائيين برباط الحب الإلهي أقوى بما لا يُقاس من رباط الحب الجسداني، أو صلات القربى الجسدية أو المعرفة والصداقة التي عرفناها ونحن بالجسد، والفرق بين الاثنين هو ذات الفرق بين السمائيات والأرضيات.

يا أبي إبراهيم:

هكذا صرخ الغَني عندما رأى إبراهيم، فهو من نسل إبراهيم – بحسب الجسد – ولكن في الأبدية لا يُحسب أبناء الجسد أنهم نسل، بل أبناء الروح الذين عاشوا بإيمان إبراهيم يحسبون أنهم أولاد إبراهيم، والذين سلكوا في خطوات حياة إبراهيم، وحُسب لهم إيمانهم برًا، وبالأعمال أكملوا الإيمان كما قدَّم إبراهيم وحيده محرقة وحسب أن اللَّه قادر أن يُقيمه، الذين صدقوا بقيامة يسوع المسيح بإيمان إبراهيم، هؤلاء يدعون بالحقيقة أبناء إبراهيم ويتكئون في حضنه. قال الرب لجماعة الفريسيين "**لو كُنتُم أولاد إبراهيم، لكنتُم تعملون أعمال إبراهيم!**" (يو ٨ : ٣٩).

ارحمني... وأرسل لعازر:

لا شك أن جميع الذين في العذاب يطلبون الرحمة ويتوسلون من أجل ذلك، ولكن بعد فوات الأوان، إذ

لا رحمة في الدينونة لمن لم يستعمل الرحمة، والرحمة تفتخر على الحكمة، وطوبى للرحماء لأنهم يُرحَمون. والآن من أين لك أن تنال رحمة، وتحصد رحمة، وأنت لم تزرع أعمال رحمة، إن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا، من يزرع بالبركات فبالبركات أيضًا يحصد، ومن يزرع بالشُّح، بالشح أيضًا يحصِد.

⌖ ومن المفارقات العجيبة والتي تحتاج إلى تأمل عميق أن الغَني يطلب عمل الرحمة بيد لعازر المسكين، ألم يقل الرب اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية!

وهكذا يبدو ظاهرًا إن ما احتقره الغَني وازدرى به وهو على الأرض احتاجه في الأبدية.

والأمور التي كرَّمها على الأرض وتلذذ بها صارت سبب عذاب وشقاوة له في الأبدية.

يا ابني اذكر!

هكذا أجاب أب الآباء، اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك الأرضية، ولم تبق شيء، ولم تعمل حسابًا لغدك.

⌖ عشت كل أيامك غارقًا في اللذات، والشهوات، والتنعم

والترف...! ألا تذكر هذا؟

لم تتألم ساعة من أجل الأبدية، ولم تشترك في آلام الآخرين...، بل هربت من الآلام حاسبًا تنعم يوم لذة...! ألا تذكر هذا.

قد نلت عزاءك على الأرض، كمثل الفريسين الذين استوفوا أجرهم مديحًا من الناس وكرامة، فلم يعد لهم أجر سماوي...! وعلى النقيض تمامًا كان لعازر المسكين، استوفى بلاياه كلها على الأرض، شبع وجعًا وآلامًا، في النفس والجسد معًا، وجاز جميع الامتحانات مجربًا ومتألمًا بكل نوع.

والآن هو يتعزى:

تحققت كل مواعيد الله، إن الذين يتألمون بحسب مشيئة الله، قد استودعوا أنفسهم كما لخالق أمين في عمل الخير... إذ يخرج من الأكل أكلاً ومن الجافي حلاوة.

⌖ لأن خفة ضيقتنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثِقل مجد أبديًا.

⌖ وإن آلام هذا الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا.

✥ وإنكم تبكون وتنوحون والعالم يفرح ولكن حزنكم يتحول إلى فرح.

✥ وإن كنا نتألم معه فسنتمجد أيضًا معه... إلى أخر هذه المواعيد العظمى والثمينة... لم يسقط حرف واحد.

الآن يسترجع لعازر، كل هذا متعزيًا بتنعمات سماوية تفيض إلى أبد الأبد.

بيننا وبينكم:

قال أبونا إبراهيم "**وفوق هذا كلّه، بيننا وبينكم هوَّةٌ عظيمةٌ قد أُثبتَت**..." (لو١٦ : ٢٦)، تجعل الانتقال من مكان التنعُّم إلى مكان العذاب أمرًا مستحيلاً فالتنعُّم أبدي لا ينتهي، والدينونة انفصال الأبرار عن الأشرار انفصال نهائي، هم في حالة خلطة في العالم فقط في الأرض والتراب، أما في السماء... فلا شركة بينهم على الاطلاق.

هذا ما عبَّر عنه أب الآباء بأنه توجد هوة عظيمة ثابتة، تعبيرًا عن الفاصل الرهيب بين ما هو للنور وما هو للظلمة. أن السماء ليست مكانًا بل مكانة، ووضع ومنزلة، والفارق بين مكانة الذين في التنعم والذين في العذاب، فارق رهيب،

وهوة عظيمة قد أُثبت.

ومجرد عبور الإنسان من التنعم إلى العذاب، أو العكس أمر غير وارد، بل إنه ضربٌ من ضروب الخيال.

لي خمسة إخوة:

⌖ أسألك إذًا يا أبي أن تُرسله إلى بيت أبي لأن لي خمسة إخوة لكي يشهد لهم لكي لا يأتوا إلى موضع العذاب هذا، هكذا أجاب الغَني متوسلاً إلى أب الآباء من جهة إخوته الذين مازالوا يعيشون في الأرض، أنهم يحيون بذات المنهج الذي عاشه هو، في التنعُّم الوقتي والترف الزائل، وهم إن استمروا هكذا فسيكابدون ذات المصير التعس لا محالة، وهو الحال كذلك، صار يتألم من أجلهم ويود لو يخلصهم وكأنه -لو صح التعبير - يتشفع فيهم لدى أبينا إبراهيم.

⌖ تأمل كيف توسل الغَني وهو في موضع العذاب من أجل إخوته، فكم بالأحرى تكون طلبات وتوسلات أولئك الذين في مواضع النياح والراحة؟

كم تكون شفاعات القديسين من أجل الذين هم بعد في الجسد؟

إنهم بالحقيقة يطلبون، بل أنهم لا يكفون عن الطلب، مؤازرين جهادنا "**إذ لنا سحابةٌ من الشهود مقدار هذه محيطةٌ بنا، ... ولنُحاضِر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكَمِّله يسوع**" (عب ١٢ : ١ـ ٢).

⌖ أجاب إبراهيم قائلاً: - أما من جهة إخوتك - فعندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم، عندهم الكتب المقدسة القادرة أن تحكم للخلاص، عندهم الوصايا المكتوبة بأصبع اللّه، مقدسة وصالحة، وصية الرب مضيئة تنير العينين.

عندهم أسفار موسى كلها قصص للخلاص، لأن المسيح شهد عن موسى قائلاً: "ذاك كتب عني". وعندهم الأنبياء أسفار مكتوبة، تبكيتًا للخطايا، وإنذارات لعدم التائبين ونبوات تدور كلها حول مشتهى الأجيال، مخلص العالم، وفادي النفوس.

عندهم موسى والأنبياء، فليسمعوا ويقبلوا فيخلصوا.

عندهم موسى والأنبياء، يقرأونه في كل سبت.

ولكن بالرغم من هذا فلا أثر للكتب المقدسة في الحياة، فلا توبة ولا رجوع، ولا ثمر روحي ولا حياة بحسب المكتوب عندهم موسى والأنبياء، وكأنهم لم يسمعوا قط كلمة ولا نخسوا في قلوبهم، بل أظلم ذهنهم وتقسّى قلبهم.

تُرى ماذا يحرك مثل هذه القلوب؟

لقد توسل الغَني للمرة الثانية لدى إبراهيم أبينا قائلاً: **"لا، يا أبي إبراهيم، بل إذا مضى إليهم واحدٌ من الأموات يتوبون..."** (لو ١٦ : ٣٠).

هكذا تصور الغَني المسكين، أن قلوب إخوته التي تقست بالخطايا، وانتفخت بالكبرياء، وتبلدت بكثرة الحياة في المظاهر وغرور الغنى، تصور أن قلوبهم ستتحرك بالتوبة إذا رأوا أحد الأموات قائمًا.

إن الذي لا تُحرِكه الكلمة، ولا يغيره الإيمان والتصديق القلبي بما لا يُرى عبثًا يتحرك بما هو مرئي وظاهر.

والذي لا يتوب بفعل الكلمة الإلهية المكتوبة، لا يتوب بمئات المعجزات حتى لو كانت قيامة من الأموات.

⌖ أليس هذا هو ما حدث فعلاً عندما أقام الرب أمواتًا وصنع قوات هذا عددها؟

كم من نفوس تبررت وتعجبت؟

كم مرة قالوا قد قام فينا نبي عظيم وافتقد اللّه شعبه؟

كم بُهتوا، وقيل أنهم آمنوا؟

ولكن أين هؤلاء وأولئك؟... لقد تبخَّر إيمانهم بعد المعجزات... لذلك قال الرب لليهود الذين آمنوا به "إنكم إن

ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي" ... فالكلمة قوية وفعالة وأمضى من كل سيفٍ ذي حدين.

لذلك قال إبراهيم "**إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء، ولا إن قام واحدٌ من الأموات يُصدِّقون**" (لو ١٦ : ٣١).

لقد ظنّ الغَني أنه إن كرز واحد مثل لعازر قائمًا من الموت بين إخوته فأنهم يصدقون، ويؤمنوا ويتوبوا راجعين عن طريقهم الردية ويسلكوا في طريق الحياة الأبدية، هذا ظن خاطئ، فإن التأثر بالآيات يكون تأثرًا وقتيًا، سريعًا ما ينساه الإنسان ويرتد إلى سيرته الأولى. إنما الإيمان والحياة في الإيمان فلا يستند إلى ما يرى بل إلى ما لا يرى، أليس الإيمان هو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى؟ فإن استند الإيمان إلى معجزة ظاهرة أو آية ملموسة، أو طلب أن يتحقق برؤى العين ولمس اليد فبئس الإيمان يكون.

إن ما بين أيدينا مما هو مكتوب من موسى والأنبياء وبالأكثر كثيرًا بشارة الخلاص في شخص ربنا يسوع المسيح يجب أن يكون لنا سبب بركة وخلاص وحياة أبدية، لأنه كيف ننجو إن أهملنا خلاصًا هذا مقداره قد سبق الرب بالتكلم عنه، وتثبت لنا بشهادة الذين رأوه حيًا بعد قيامته من الأموات.

{١٦}

مثل العبد الأمين الحكيم (مت ٢٤ : ٤٢ ـ ٤٤)

"اِسهروا إذًا لأنكم لا تعلمون في أية ساعةٍ يأتي ربكم. واعلموا هذا: أنه لو عَرَفَ ربُّ البيت في أي هزيعٍ يأتي السارق، لسهر ولم يَدَع بيتهُ يُنقَبُ. لذلك كونوا أنتم أيضًا مُستَعدِّين، لأنه في ساعةٍ لا تظنون يأتي ابن الإنسان" (مت ٢٤ : ٤٢ ـ ٤٤).

المثل:

"فمن هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيدُهُ على خَدَمِهِ ليُعطيهم الطعام في حينهِ؟ طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيِّدُهُ يَجدُهُ يفعل هكذا! الحق أقول لكم: إنه يُقيمُهُ على جميع أمواله. ولكن إن قال ذلك العبد الرَّديُّ في قلبه: سيدي يُبطئ قدومه. فيبتدئ يضرب العبيد رُفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى. يأتي سيد ذلك العبد في يومٍ لا ينتظره وفي ساعةٍ

لا يعرفها، فيُقَطِّعُهُ ويجعل نصيبه مع المُرائين. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (مت ٢٤ : ٤٥ ـ ٥١).

في مقدمة المثل بحسب إنجيل القديس متى جاءت هذه الكلمات عن مجيء المسيح وزمن مجيئه.

في أي هزيع يأتي رب البيت:

أمساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحًا... متى يأتي؟

هو لا بد أنه آتٍ ومجيئه الثاني المخوف المملوء مجدًا، حيث يجتمع إليه الكل ويقف أمام منبر المسيح المخوف ديان الأرض كلها كل واحد ليُعطي حسابًا عما قدّمه بالجسد خيرًا كان أم شرًا.

فهل يعمل الإنسان حساب هذا اليوم وهل يستعد بماذا يجاوب ديَّانه؟ المجيء العام للدينونة أمر مؤكد لدى جميع البشر.

أما قول الرب "لا تعلمون متى يأتي رب البيت..." فقد أخفى هو بحسب تدبيره موعد مجيئه وقالها بوضوح شديد للرسل الأطهار أن ليس لهم أن يعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه وحده وأن يوم مجيئه لا تعرفه ولا الملائكة الذين في السماء.

والمطلوب من الإنسان أن لا ينشغل بهذا الأمر إلا من جهة الاستعداد وأن يوجد الإنسان في ذلك اليوم وتلك الساعة بغيـــر خـــوف ولا اضـــطراب، بـــل يكـــون لـــه ثقـــة ولا يخجل من المسيح عند مجيئه.

أما وقد قسّم الرب ساعات الليل إلى مساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحًا.

فهذا ما أخذته الكنيسة ورتبت عليه صلوات السهر من المساء صلاة النوم إلى صلوات نصف الليل بالثلاث خدم ثم صلاة (صياح الديك) السحر وهى فجرًا، وقد ضُمت إلى صلاة باكر التي قال عنها الرب صباحًا، وقد جهزت الكنيسة أولادها المختارين بالتسابيح لتفهم الألحان ومصابيحهم موقدة في حالة استعداد يومي لملاقاة المسيح.

فـلا غفلـة ولا نـوم ولا كسـل بـل جهـاد وسـهر وصـحو وانتظار، هكذا عاش أولاد الله حياة الصلاة والسهر وانتظار مجيء المسيح.

وقد قيل أن هذه الساعات قد تعني مراحل عمر الإنسان المختلفة، فالمساء هو مقتبل العمر ونصف الليل هو نصف العمر وهكذا صياح الديك وصباحًا يعني اكتمال العمر في الشيخوخة.

وهكذا قد يترك الإنسان هذا العالم في أي لحظة في أي وقت وفي أي مرحلة من مراحل الحياة... والأمثلة لا تقع تحت حصر أو عد فقد رأينا المئات والآلاف يتركون العالم في جميع الأعمار وتحت كافة الظروف والمسببات وبدون أسباب... والأمر يحتاج إلى يقظة وتفهم وصية المسيح واعتبارها بكل الاعتبار **"ما أقوله لكم أقوله للجميع: اسهروا"** (مر ١٣ : ٣٧).

✥ هنا يأتي السهر بمعنى اليقظة الروحية مع الانتظار والتوقع لئلا تأخذ الإنسان غفلة فينام، فيسرق العدو خلاصه ويفقده إكليله.

المسيحي الحقيقي إنسان سهران دائمًا يقظ دائمًا بحسب وصية المسيح وبحسب قلب عروس النشيد المغبوطة حتى في نومها إلا أن قلبها دائمًا مستيقظ لا ينام.

قال الرب هذا الكلام ثم أردفه بالمثل موجِهًا كلامه إلى رسله الأطهار وقد أورد القديس لوقا الإنجيلي هذا المثل بعينه في (لو ١٢ : ٤١ ـ ٤٨).

"فقال له بطرس: يارب، ألنا تقول هذا المثل أم للجميع أيضًا؟ فقال الرب: فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذي يُقيمه سيده على خَدَمِهِ ليُعطيهم العُلوفة في حينها؟ طوبى

لـذلك العبـد الـذي إذا جـاء سـيِّده يجـدُهُ يفعـل هكـذا! بـالحق أقـول لكـم: إنـه يُقيمـه علـى جميـع أموالـه. ولكـن إن قـال ذلـك العبـد في قلبـه: سـيدي يُبطـئ قدومـه، فيبتـدئ يضـرب الغلمـان والجـواري، ويأكـل ويشـرب ويسـكر. يـأتي سـيد ذلـك العبـد في يـومٍ لا ينتظـره وفي سـاعةٍ لا يعرفهـا، فيَقطَعُـهُ ويجعـل نصـيبه مع الخائنين" (لو ١٢ : ٤١ ـ ٤٦).

المَثَل:

هذا المثل يخص بالدرجة الأولى الخُدام الذين أوتوا وكالة وإؤتمنوا من قبل السيد الرب على إخوتهم العبيد مثلهم. لكي يعطوا رفقاءهم طعام الحياة الأبدية في حينه الحسن وهو من أمثال الدينونة التي يظهر فيها المسيح الملك في مجيئه الثاني المخوف حين يعطي الطوبى للأمناء الأحباء ويجازي الأردياء...

وهو أمر يدعو إلى الانتباه والسهر والحِرص والأمانة وانتظار المسيح الذي لا بد وأنه آتٍ، وإن كان طويل الأناة وبطيء الغضب.

فحديث المسيح المبارك كان للرسل وقد فهموا وأدركوا كلام الرب ووعوده ولكن القديس بطرس في معرض حديث

الرب سأله سؤاله الشهير: ألنا تقول هذا المثل أم للجميع؟ وعلى عادة الرب لم يجب على القديس بطرس بالإجابة المباشرة ولكن أجاب بهذا المثل على السؤال، وهو إن كان يؤكد على مسئولية المسئولين إلا أنه أيضًا يخص الجميع على اعتبار أن كل واحد منا مسئول في حدوده، ومُكلَّف من قبل الرب على وكالة إن كبرت وإن صغرت فالذي لم يؤتمن على كنيسة وجماعة مؤمنين فهو قد أؤتمن على بيت وأولاد، والذي لم يُعطَ بيتًا وأولادًا فقد أُعطى بطريق آخر مسئولية محددة لا بد أن يُعطي حِسابًا عنها. ويسأل في الوكلاء بصفة عامة أن يوجد الوكيل أمينًا فمن أثبت أمانته في القليل فإنه يُقام على الكثير ومن وُجِد ظالمًا في القليل فكيف يؤتمن فيما بعد؟

ولنبدأ المثل بالسيد الرب الذي يُقيم العبيد ويحسبهم أمناء، وكأنه مسافر غائب في حين أنه دائم الحضور وواجب الوجود، لا يخلو منه زمان ولا يفتقر إليه مكان بل إنه فوق المكان والزمان فهو غير المحصور وغير المحدود ولكن غياب السيد كان في قلب العبد الرديء وفكره فقط، فقد غاب السيد عن بصره بل غاب عن بصيرته، وظن فيما يظن قوم التباطؤ، فحسب إمهال السيد تباطؤ وحسب

طول أناته كأنه غير عارف أو غير معاقب وغير محاسب.

ولكن هذه هى صفات الرب التي لا بد أن ندركها أنه حاضر دائمًا، ملاحظ دائمًا، سامع دائمًا، يكتب الأعمال في سفر التذكرة الأبدي، فالأقوال والأفعال محسوبة علينا مسجلة في سجلات الأبد وإن كانت الآن غير مرئية ولكنها ستُفتح حين يُفتح سفر الحياة وتُكشف حين تُكشف سرائر الناس.

ولأنه خيّر صالح بل هو الخير ذاته والصلاح ذاته، يحسب العبد أمينًا فيستأمنه ويستودعه خيراته ونعمه ويترجى فيه أن يُكمِل سيرته في الصلاح، والعيب دائمًا فينا حين لا تصير العطايا الإلهية دافعًا بالأكثر للجهاد في الأمانة وحين تنحرف بنا الطرق في منتصف المسيرة فلا تكمل الأمانة.

وقد يسأل السائل لماذا يأتمن الرب مثل العبد الرديء وهو يعرف سابقًا ما انعقدت عليه نية العبد البطال من الخيانة وعدم الأمانة؟ والجواب على ذلك أن معرفة الله للأمور قبل كونها هى سابق علمه إذ لا يُخفى عليه شيء وهذه المعرفة هى خاصة به وحده ولكنها لا تؤثر بحال من الأحوال على إرادة الإنسان وتدبيره، وحرية اختياره وحرية سلوكه.

وقد يقرب الأمر إلى الفهم مَثَل المُدرِس الحصيف الكثير الخبرة بأمور التلاميذ وقد يعرف المدرس بسابق خبرته في

بداية العام الدراسي من هو التلميذ الأول الممتاز ومن هو التلميذ البليد الأخير... ومع ما يبذله المدرس من جهد وما يعطيه من علم للجميع على قدم المساواة فإنه يَصدُق حَدس المدرس وما سبق فأنبا به إذ يتفوق الأول ويرسب الأخير، وفي هذه الحالة لا دخل لسِبق معرفة المدرس بهذه النتيجة التي توقعها وأنبأ بها، ومسرة المدرس دائمًا في نجاح جميع تلاميذه لأنه لا يُسر مطلقًا بالفشل. على هذا يؤخذ الأمر أن ربنا رغم سابق علمه بما سيكون من شأن العبد البطال فإنه يأتمنه ويقيمه، هذا أمر عجيب يظهر سخاء نعمة ربنا ويظهر إرادته الحسنة نحو الجميع إذ هو يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.

وهكذا كما قيل في مَثَل الزارع، أنه حتى الأماكن المحجرة والطريق والأرض التي بها شوك لم تعدم واحدة منها أن يلقي الرب بذاره عليها، لعلّها تأتي بثمر أو لعلّها تعود فتتصلح وتغيّر ما بها، فلو أنها تنقت لأثمرت للرب ثمرًا جيدًا.

فيا ليت عطايا ربنا ومواهبه تصير لنا بالأكثر سبب خلاص ونجاة وتجعل فينا روح المثابرة والأمانة فيما وضع بين أيدينا.

نعود إلى قول الرب: من هو يا تُرى العبد الأمين

والحكيم؟ ففي مقابل المسئولية يحتاج الأمر إلى ركيزتين:

١. الركيزة الأولى هى الحكمة:

أما من تَعوزه الحكمة فليطلب من فوق فستعطى له، ولا يوجد طريق آخر لاقتناء الحكمة النازلة من فوق سوى الصلاة والتضرع أمام الله وسكب النفس في اتضاع وتوسل حتى يُعطى الإنسان هذه العطية العظمى والثمينة.

والرب يُسر بطالبي الحكمة مثل سليمان حين لم يطلب سواها فإنه حازها باقي العطايا، وحين يتربى العبد على كلام الكتب التي هى أنفاس الله وحين يَجلِس إلى الشيوخ المدبرين حسنًا أي يتتلمذ على قدمي الآباء... يزداد حكمة...

ولكن شتان بين حكمة الروح وحكمة العقل، بين حكمة أولاد الله وحكمة حكماء هذا الدهر الذين يُبطلون، يكفي أن نعرف أن الحكمة النازلة من فوق هى أولاً طاهرة ثم مُسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأثمارًا صالحة عديمة الريب والرياء.

هذه هى صفات الحكمة الروحية إذا سكنت الإنسان فإنها تزينه بهذه الفضائل ولا سيما في خدمة النفوس التي يؤتمن

عليها.

صفتها الأولى القداسة لأنها حِكمة تصدر من ملء الروح القدس، فإن شابتها شائبة النجاسة فقد انتفى أن تكون حكمة الله، فإن افتقر الإنسان إلى الطهارة فإن حكمته مهما بلغت في أعين الناس فهي حكمة ليست نازلة من فوق بل هى أرضية نفسانية شيطانية.

صفة الخادم الحكيم الأولى هى تمسكه بروح القداسة والعفة، هى كنزه ورأس ماله فهو طاهر في قلبه، طاهر في فكره، طاهر في نظره، طاهر في كلامه، طاهر في صمته، ثم يتبع الامتلاء من الحكمة السلام. فخادم الرب الحكيم إنسان مُسالم بعيد عن العداوة والحقد والكيد والضغينة والسياسات والمؤامرات والتحزبات والتشويشات.

صفة الحكمة الروحية أنها مترفقة ومطيعة ومملوءة رحمة بالعبيد رفقائه، يا ليت الروح يُغني الكنيسة بمثل هذه النعم التي نفتقر إليها في غالب الأحيان.

٢. الركيزة الثانية هى الأمانة:

وفي اللغة العربية كلمة الإيمان والأمانة شيء واحد.

فالأمانة تعني أن يحفظ الإنسان ما عنده بدون إضافة أو نقصان ليسلِّمه كما هو أي ليس لذاته دور في الأمر، ما استلمه يحفظ ليسلِّمه.

كقول الرسول بولس "**سلَّمتُ إليكم في الأول ما قبلتُه أنا أيضًا**" (١كو١٥ : ٣)، فالعبد الأمين لا يُضيع ولا يُفرِّط في ما أخذه من الله من عطايا وهبات بل يتاجر بها ويربح بزيادة وبلا نُقصان... وهو عكس الذي يخون الأمانة ويتصرف فيما ليس له كأنه يخصه.

أما من جهة الذين ائتمنهم الله على كنيسته، فالأمانة هى الركيزة العظمى، فالحِفاظ على الإيمان المُسلّم مرة للقديسين بلا انحراف وبلا تغيير، والحفاظ على تُراث الكنيسة كما تسلم إليهم من الآباء من طقس وألحان وأعياد على بيت سيده يحفظه كما هو في ترتيبه وفي تدبيره.

ليس للعبد أن يُغير العوائد ولا أن يُدخِل إلى بيت سيده ما يستحسنه هو أو يستغني عن شيء مما في بيت سيده كأنه بلا قيمة، بل الأمانة تقتضي أن يحفظ كل شيء كما هو على يوم مجيء سيده، الأشياء التي لا يعرف قيمتها ويفتكر أنها بلا قيمة قد تساوي الكثير في عين سيده صاحب البيت وعارف قيمة الأشياء.

مـع تغيّـر الـزمن والأجيـال قـد تبـدو بعـض الممارسـات الكنسية أو الألحان الطويلة أو العبادات أو السهر أو التسبيح أنهـا لـم تَعُـد مناسـبة للجيـل أو لظـروف النــاس أو... إلــخ فيبتدأ المؤتَمَنـون فـي التخفيـف والتقليـل والحـذف والاسـتغناء، هذه ليست أمانـة فإن كان أحد لا يعرف قيمـة الجواهر، فإنـه يبيعها بأبخس الأثمان.

فالـذي لا نستسيغه أو لا نعرف قيمتـه لـيس من حقنـا أن نـتخلص منــه أو نلغيــه أو نهملــه أو نسـتغنى عنــه... مــا لا نعرف قيمتـه ليس أقل من أن نتركـه كما هو، ونحتفظ بـه بأمانـة كمثل إنسان ورث قصرًا كبيرًا عن أجداده فيدخل إلـى القصـر وهـو لا يعـرف قيمـة النفـائس والأشـياء غاليـة الـثمن ويفتكر فيها أنها قديمة بالية غير ذات قيمة، فيبتدئ يلقى بها إلـى خارج بينما هى لا تقدر بثمن ولكنها تحتـاج لعين خبير محنـك، أو أقـل مـا يقـال أنهـا غاليـة فـي عـين الآبـاء الـذي وضعوها بالروح بل وفي عيني صاحب البيت.

يسأل في الوكلاء أن يوجد الوكيل أمينًا، هكذا تعلمنا من الآبـاء القديسـين الـذين حفظـوا لنـا الكنيسـة بكـل مـا فيهـا مـن كنـوز حتـى وصـلت إلينـا وسلّمونا إياهـا... فهـل نكـون أمنـاء حتى نسلّمها كما هى لمن يأتي بعدنا؟

وما يُقال عن التفريط في الأشياء الثمينة، يُقال أيضًا عن الاضافات التي يَستحسن البعض أن يعملها في الكنيسة لكي يرضوا الناس أو لكي يُحببوا إليهم العبادة بأساليب غير كنسية مثل التراتيل والأنغام العالمية أو الغريبة أو الطرق والاختراعات والتطورات التي لا تمت إلى روحِ الكنيسة والآباء...

كل هذا يُعتبَر عدم أمانة لأن الزيادة أو النقصان يضران بالأمانة على حد سواء.

إن تاريخ كنيستنا حافل بأمثلة الآباء الذين حفظوا الأمانة حتى النفس الأخير وفرطوا حتى في حياتهم ولم يُفرِطوا في الأمانة، يكفي أن تدرس حياة أثناسيوس وديسقورس وكيرلس الكبير. بل كان الآباء البطاركة القديسون يضربون المثل الأعلى في الحفاظ على كل ما في خزائن الكنيسة من نفائس وذخائر الطقس والعقيدة والألحان والأعياد والصلوات... ووقفوا بحزم ضد كل تغيير أو كل ما كان يَرد على الكنيسة من بدع أو هرطقات أو ما يَهب على الكنيسة من رياح غريبة.

ومن أجمل الكلمات المتداولة في الحياة الكنسية كلمة "التسليم" "والتقليد"، وهو التسليم الشفاهي للحياة المسيحية،

فالشماس مثلاً يستلم الألحان... إنها أمانة سُلِمت له لكي ينقلها كما هى بروحها ونصها ولحنها لمن يأتي بعده...

والكاهن يستلم الذبيحة ويَستلم الأسرار... إنها أمانة أولاً وأخيرًا ومتى استلم الإنسان الأمانة سيأتي ساعة يقف فيها أمام رب البيت يُسأل هل كان أمينًا أم لا؟

مكافأة الأمانة:

الحق أقول لكم: إنه يُقيمه على جميع أمواله... هكذا قال الرب.

لا يَخطُر على فكر البشر نوع المكافأة التي سيُكلِل بها الرب مُختاريه الأمناء، إذا وجدهم أُمناء في القليل فإنه يعطيهم ملكوته ويُكللّهم بالكرامة.

ما بالنا لا نفكر في هذا النصيب الفاخر، وانحصر نظرنا في زوال العالم... إن الأجرة التي تنتظرنا لا تخطر على بال إنسان، لماذا لا نتشجع في طريق الحكمة والأمانة ونترجى ملكوت الله؟ لماذا نتكاسل ونُهمل؟ ولا نحفظ الأمانة بسَهر؟ إن عِوض الأتعاب الزمنية التي أظهرها الأبرار والصديقون والشهداء والنساك ولباس الصليب فإنهم نالوا بهاء ومجد وكرامة في السماوات، شيء لا يُعبَّر عنه!! فالأتعاب وقتية

والتنعم أبدي.

والضيقة خفيفة إذا ما قورنت بثقل المجد الأبدي **"خِفَّة ضيقتنا الوقتية تُنشئ لنا أكثر فأكثر ثِقَل مجدٍ أبديًّا"** (٢كو ٤: ١٧)، والآلام يسيرة وبعدها هو يكملكم بالكمال الذي لا يشوبه نقص ولا كدر.

ويكفي أن نتأمل كيف وعد الرب ملائكة الكنائس السبع في سفر الرؤيا: كل من يَغلِب كيف سينال مكافأة فائقة للإدراك ولا يعرفها سوى الذي ينالها ويتمتع بها.

العبد الرديء:

تصرفات العبد الرديء مشينة وفكر قلبه منحرف بطال. يبدأ الأمر في تصورات قلب العبد الشريرة... "إن سيدي يبطئ في قدومه"، وبناء عليه يبتدئ في تصرفات الرعونة والطياشة والغرور والكبرياء ثم الفساد والنجاسة فيبتدئ يضرب العبيد والإماء، "تسلط وكبرياء"، ويأكل ويشرب ويَسكر وكلها منعطفة نحو التلذذ الحسي والإغراق في العالميات مع الإفراط والتفريط.

ولكن دعنا نركز ذهننا في حُرمة انحدار القلب الذي منه مخارج الحياة.

قال في قلبه إن سيدي يبطئ في قدومه، فقد غاب وجود السيد وحضوره من قلب العبد البطال وتصوره... فالعبد الأمين، صاحب الإيمان يرى برؤيا الإيمان حضور السيد ويدرك وجوده مثل يوسف الصديق في القديم حين قال "**كيف أصنع هذا الشر العظيم وأُخطئ إلى الله؟**" (تك ٣٩ : ٩)، فالله عند يوسف الصديق حاضر وناظر ومطلع بينما هو بالنسبة لامرأة فوطيفار غائب بلا وجود بعيد لا تدركه الحواس، قال العبد البطال: سيدي يُبطئ في قدومه، أو لعله لا يأتي!!

تسويف العمر باطلاً هى إحدى الضربات الشيطانية التي يتعرض لها الكثيرون فمشورة العدو دائمًا هى تأجيل التوبة ومحاسبة النفس، أي تأجيل الوقوف أمام الله، والمصالحة مع الله، والإحساس بحضور الله، وهو لا يشير على النفس بعدم التوبة نهائيًا، بل فقط تأجيلها. وكأنه يهمس في الأذن ويقول الإنسان سيدي يُبطئ في قدومه ومادام الحال هكذا فلنأكل ونشرب ونسكر، ومن هو الذي يحاسبني؟

ما أخطر أن يغيب السيد الرب عن الذهن وعن العين والفكر والقلب...!!

بينما هذا العبد بذاته لو كان سيده حاضرًا لوجدته يعمل الأعمال بنشاط وإتقان وهو خائف لأن سيده واقف حاضر

يُلاحظ عمله.

لـــذلك يعوزنـــا الإيمـــان الحقيقـــي بحضـــور اللَّه الـــدائم فـــي حياتنـــا ويلزمنـــا أن يرافقنـــا هـــذا الإحســـاس أينمـــا كنـــا وحيثمـــا كنـــا... فنعمـــل أعمالنـــا فـــي حضـــرته ونـــتكلم كلامنـــا أمامه.

كنت أزور بيت أحد أحبائي فوجدت لافتة مُعلقة في حجرة الاستقبال مكتوب فيها أن الرب يسوع هو الضيف الدائم غير المرئي وهو يسمع لكل ما يقال في الحجرة ويلاحظ كل ما يُعمل فيها.

فلنحذر من التهاون ولنحذر من التسويف الباطل ولنعمل حســـاب أن الســـيد قـــد يـــأتي فـــي أيـــة ســـاعة لا نعرفهـــا ولا نتوقعهـــا، وقـــد أخفـــى ميعـــاد مجيئـــه لخيرنـــا إذ يجعلنـــا هـــذا الأمر في حال الاستعداد الدائم.

فيبتدئ يضرب العبيد رفقاءه:

إن غيـــاب الســـيد عـــن ذهـــن العبـــد البطـــال قلـــب المـــوازين عنده، فالعبيد رفقاءه وإخوته صاروا في ذهنه عبيده وجواريه، لقـــــد ارتفـــــع قلبـــــه وضُـــــرب بالضـــــربة المُـــــرة، تَعظمـــت الـــذات وأفرخـــت الكبريـــاء، صـــار ســـيدًا بـــين إخوتـــه

ومُتسلطًا عليهم وهذا هو ضد ناموس المسيح الذي يجعل الأول خادمًا والعظيم هو الذي يغسل الأرجل. وإذ تعظمت الذات صار ضرابًا معتديًا ظالمًا مجحفًا، بدل أن يكون رحيمًا في وسط إخوته مترفقًا حنونًا. الكبرياء شر مُهلك، تفسد كيان الإنسان وتجعله بلا رحمة وكأنه ديان محاسب وينسى أنه عبد كباقي العبيد.

يأكل ويشرب ويسكر:

انعطاف نحو الذات تضخمت، وإغراق في الملذات من أكل وشرب ثم سُكر من خمار العالم الزائل.

هذا مسلك مشين من عبد كان مؤتمنًا على أموال سيده. تحرزوا من خُمار هذا العالم لئلا تثقل قلوبكم، فالخمر المادية تثقل العقل أما من يسكر من ملذات العالم ويتخم من مجده الباطل فإن قلبه يُثقَل فيفقد الإحساس، أي يفقد حاسة الملكوت ويفقد الإيمان ويفقد الرجاء ويفتقر إلى كل ما هو روحي.

العبد الأمين والحكيم يعمل ليسعد إخوته، يعطيهم طعامهم في حينه ويسهر على راحتهم ويطلب خلاصهم... إنه خادم

باذل.

أما العبد البطال فهو يعمل لحساب ذاته ولحساب لذاته يأكل ويشرب ويسكر ولا يبالي بالعبيد رفقائه.

العبد الحكيم يعمل حسابًا وألف حساب ليوم مجيء سيده فيسهر مُستعِدًا يقظًا وصاحيًا منتظرًا.

أما العبد البطال فيُفاجأ بمجيء سيده بغتةً وعلى غير توقع وهو في حال سكره وخمار العالم قد أظلم عقله وقلبه وناظريه.

كمثل العبد البطال كان بيلشاصَّر الملك في غيه وغياب عقله يأكل ويشرب ويسكر مع جواريه، بل أنه أخذ آنية بيت الرب غير عابئ بقدسيتها أو عاملاً لحساب صاحبها... لقد بلغ الاستهتار منتهاه...

وإذ هو غارق في الملذات سكرانًا غائب الذهن أفاق فزعًا على منظر اليد التي كتبت قضيته على مُكَلَّس الحائط **"أحصى اللّه ملكوتك وأنهاه... وُزِنْتَ بالموازين فوُجِدت ناقصًا"** (دا ٥ : ٢٦ ـ ٢٧)، وقد كانت نهايته في تلك الليلة على غير توقع منه.

المجيء الثاني:

عند العبد الحكيم الأمين حالة توقع وانتظار مع فرح اللقاء

وحسن المجازاة فلسان حاله يقول: "آمين تعال أيها الرب يسوع" لأن صوت الرب ووعده "أنا آتي سريعًا وأجرتي معي" لا يغيب لحظة واحدة عن قلب العبد الأمين.

بينما هذا المجيء عينه يكون للعبد البطال مباغتة مرعبة ومواجهة مفزعة تنتهي على الفرح الكاذب والسُكر الذي يُغيب الوعي، يصحو كما يصحو إنسان من نومه على حريق مروع أو زلزال مهلك فيرتاع.

يقولون للجبال اسقطي علينا وللآكام غطينا من وجه الجالس على العرش، بئس النهاية وبئس المصير.

ألا يحتاج الأمر إلى مراجعة جادة مع النفس، وتوبة صادقة ورجوع إلى الله وطلب مراحم القدير، وما فاتنا نستطيع بنعمة المسيح أن نلحق به وما شيعناه من عمر وما قصرنا فيه من تأدية الأمانة وما أهملناه بسبب تسويف العمر باطلاً كل هذا يمكن استدراكه ويمكن إصلاح السيرة واستقامة المسيرة إن نحن وعظنا أنفسنا ووعينا قول المسيح المبارك في هذا المثل الحي.

يا ليت الرب يحسبنا مع عبيده الأمناء ويسند ضعفنا فنخدمه ببر وطهارة وتدبير حسن ويحنن قلوبنا على

إخوتنا فنخدمهم ونبذل نفوسنا لأجلهم ونقتني لنا صحوة روحية وإحساس صادق بقرب مجيء الرب مُخلّصنا الذي سيُكلل مختاريه بالكرامة ويجازي كل واحد بحسب عمله.

إطعام العبيد:

من خير صانع الخيرات ومن مخازن النعم الغنية يخرج العبد الفطن الأمين والحكيم في الحين الحسن، يخرج ليشبع ويغذي، ومائدة السيد ومخازنه ما كانت يومًا فارغة، لقد استودعنا السيد خيراته الإلهية وجعل عبيده وكلاء سرائره، فمن مخزن الحنطة الإلهية يُطعِم المستحقين خبز الحياة، وهو حاضر على المذبح كل يوم... الخبز النازل من السماء لكي يأكله الإنسان ولا يموت، ومن كنز الروح القدس يقدم الخيرات في مائدة كلمة اللَّه المشبعة للنفس، "وجدت كلامك حلو فأكلته"، "فأطعمني ذلك السفر" ويُشبِع النفس الذليلة، ويَكسِر للجائع خبز الشبع، من مشتهيات الروح يُشبِع متواضعي الروح، من صبر كثير ورجاء راسخ، وحب حقيقي وقداسة السيرة وملء الصوم وسخاء العطاء في الرحمة.

وكقول إشعياء: "إن أنفقت نفسك للجائع" وهذا هو قمة

العطاء، عطاء النفس على مثال المسيح مُخلصنا.

فبماذا يُكافئ مثل ذلك العبد، الذي لا يهدأ حتى يطعم ويريح ويشبع كل نفس، حاسبًا نفسه خادمًا للجميع يَنْفِق ويُنْفَق ويَكسر خبزه مع نفسه ويضع ذاته لأجل أحبائه؟!

بماذا يكافئ متى جاء سيده ووجده يفعل هكذا؟

حقًا أقول لكم إنه يُقيمه على جميع أمواله، هكذا قال الرب، إذ صار أمينًا فيما أُوكل إليه من عطايا الروح وغِنى المسيح فإنه يؤتمن إلى الأبد.

فما عاشه بالإيمان سينعم به بالعيان في استعلان ملكوت المسيح ومجيئه، الأمين في المحبة سيحيا مُحبًا مَحبوبًا في ملكوت محبة المسيح.

* الأمين في القداسة سيرث في ملكوت القديسين.

* الأمين في الأسرار سيؤتَمن على ما لا تراه العين ولم تسمع به الأذن.

إن قول الرب أنه سيُقيمه على جميع أمواله شيء يُحيّر العقول، فمن هو يا ترى كفء لهذه الأمور!!

بقى أن ندرك مِقدار أهمية هذا المثل في تدبير الكنيسة المقدسة، فقد جَعَلَته أمامنا كل يوم حين وضعته في صلاة نصف الليل في الخدمة الثالثة... لكي إذا ما صلينا كل يوم

في نصف الليل والعالم غارق في نومه... نُحسَب مع العبد السهران المنتَظِر قدوم سيده ونتحذر جدًا من مسلك العبد البطال.

ولنتأمل الطلبة العميقة التي تضعها الكنيسة في أفواهنا لنصرخ بتوسل وانكسار ونقول للرب "بعينٍ متحننةٍ يارب، أُنظر إلى ضَعفي، فعمَّا قليل تفنى حياتي، وبأعمالي ليس لي خلاصٌ. لهذا أسأل: بعينٍ رحيمةٍ أُنظر إلى ضعفي وذُلِّي ومسكنتي وغُربتي ونجِّني".

ثم كيف نبكت أنفسنا ونقول "ليس رحمةً في الدينونة لمن لم يستعمل الرحمة. لهذا اشفق عليَّ أيها المُخلِّص، لأنك أنت هو محب البشر وحدك".

فالرحمة القلبية هى الكيل الذي ينبغي أن نكيل به لكل أحد، كيل محبة وغفران وعطاء وسخاء، وبهذا الكيل نفسه يُكال لنا في السماء من قِبل الديان العادل الذي قال **"بالدينونة التي بها تدينون تُدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم"** (مت ٧ : ٢).

الفهـرس

مقدمة ٥

١ ـ مثل قاضي الظلم ٩
٢ ـ مثل الابن الضال ٢٥
٣ ـ مثل الغني الغبي ٥١
٤ ـ مثل الفريسي والعشار ٦٧
٥ ـ مثل الزارع ٨٧
٦ ـ مثل المتكأ الأخير ١١٥
٧ ـ مثل وكيل الظلم ١٢٧
٨ ـ مثل أصحاب الساعة الحادية عشرة ١٤٥
٩ ـ مثل العشر عذارى ١٧٣
١٠ ـ مثل السامري الصالح ١٩٩
١١ ـ مثل شجرة التين ٢٢٣
١٢ ـ مثل العبد غير الرحيم ٢٤١
١٣ ـ مثل عُرس ابن الملك ٢٦٥
١٤ ـ مثل الوزنات ٢٨١
١٥ ـ مثل الغني ولعازر ٣٠٣
١٦ ـ مثل العبد الأمين الحكيم ٣٢٧